الاكتشاف والمعرفة وأفكار متطرفة

أسـباب لترك الدِين



شمس اللادين

الاكتشاف والمعرفة وأفكار متطرفة

أسباب لترك الدِين

تأليف: شمس اللادين

توزيع سماشوردس

Distributed by Smashwords

الإصدار الأول من هذا الكتاب الإلكتروني كان في 2020
هذا هو الإصدار النهائي - 2024
ISBN 9781005796785

صدرت نسخة منه باللغة الإنغليزية:
Discovery, Knowledge and Extremism

الغلاف من عمل المؤلف، بصور مجانية:

السيف: PNGWing

المجهر: Clker - Pixabay

خلفية النجوم: ForestWander.com (مقتطعة, ملتفة)

الأقسام

مقدمة

الانتقاد.. صديق الاعتقاد. صديقك من صَدَقك، لا من صدّقك. بل هما ثنائي لا ينفصل إلا إذا اختل ميزان الحق. الدِين أساسه معتقَد، والمعتقد أفكار. لا يجب استثناء أي فكرة من الانتقاد والتشكيك، مع الاحترام التام لمعتقديها ولأي قيمة نبيلة قد تتضمنها.

وبالرغم من الحظر المفروض من بعض الحكومات، فإن انتقاد الأديان نافع، مهم، بل ضروري، لكي نرى الحق حقًا فنتّبعه ونرى الباطل باطلاً فنجتنبه، وفي سبيل أن يحِل الاستقواء بالحق محل الاستحقاق بالقوة.

التطرف.. صفة نسبية تعريفها خلافيّ لا يمكن حسمه، لكنّي أرى أن أسوأ نماذجه هو ما يصل بأهل معتقد ما إلى زعم أن معتقدهم يَجُبّ باقي المعتقدات ويجِب أن يُفرض على شعب كامل، ويدفعهم إلى الإرهاب تجاه من يخالفهم، وإلى إيذاء ذلك الإنسان أو حتى قتله، سواء بشكل رسمي عبر حكومة ما أو بشكل شخصي عبر فرد متشدد أو جماعة متشددة.

أن ندري أننا لا ندري.. أن نعترف بعدم معرفة كل الأجوبة خير لنا من اتخاذ أجوبة خاطئة توهّمًا أو مكابرة. لرؤية الأمور كما هي على حقيقتها لا بد من تجريد العقل من المعتقدات الموروثة ليتحرر من سيطرتها. من لا يستطيع تركها، فعلى الأقل، عندما يبحث أو يتفكر.. عليه أن يضعها في وضع «صامت».

بعد انتشار الإنترنت، وبالرغم من الحجب شبه التام الذي فرضته الحكومة السعودية ضد المواقع المنتقدة للدين والسياسة، كان لدي فضول ونزعة للتحرر واستكشاف الخفايا، فصرت أتجاوز الحجب. وبعد فترة.. اطلعت على معلومات لم تكن متاحة سابقًا حينما كانت الحكومات تُحكم سيطرتها على الإعلام والتعليم: ما نشره منتقدو الإسلام من براهين قوية على بَشَريّة الدين. وبالتفكر فيها، مع القدرة على فهم اللغة الفصحى.. أدركت مدى الزيف، ووعيت حجم الخديعة التاريخية؛ فتركت الدين على هذا الأساس.

وبمرور السنين.. جمعت أقوى البراهين، وأعدت صياغتها وزدت عليها، وأخيرًا وثّقتها في هذا الكتاب، مع بحوثي الخاصة وآرائي، لأتسلّح به في الدفاع عن موقفي. الحمد لمن سبقوني في اكتشافها ونشرها والشكر لهم (مسيحيين ولادينيين)، وبفضلهم عرفت الكثير منها. هذه البراهين تطال الأديان الإبراهيمية الثلاثة، إذ أن فيها نفس المثالب. ولا فرق بيننا وبين أتباع أي دين آخر؛ الأبناء يرثون معتقدات الآباء عبر مئات السنين، وهي مجرد معتقدات.. أكثرها وهمي، بُني على جهل ودجل، وترغيب وترهيب.

للعالِم بالقرآن أقول: «إن كنت لا تدري فتلك مصيبة، وإن كنت تدري فالمصيبة أعظم.»

أيها القارئ، أيتها القارئة، يقول القرآن: «أفلا يتدبرون القرآن؟ أم على قلوب أقفالها؟» 47|24 هذا الكتاب يعينك على ذلك، إذا كنت ممن يفضّلون الحقائق على الأوهام؛ وهو موجّه إلى من يؤمن بالمعتقَد الإسلامي ومن يهمه

الأمر، للإسهام في تحقق الإنسانية والحرية والكرامة لكل الناس، وزوال الإرهاب المادي والمعنوي؛ وهو وسيلة دفاع لا هجوم، فالغرض الأساسي منه هو تدوين وتبيين الأسباب التي دفعتني إلى ترك الدِين، ومزيد من الأسباب التي قد تجعل غيري يتركه أو يجتنبه، وإثبات أننا تركنا الباطل في سبيل الاهتداء إلى الحقّ.

حرية التعبير حق من حقوق الإنسـان
والتعبير عن الرأي يشــمل انتقاد الأديان

حججٌ وبراهين، ذُكرت مصادرها
أعرضها لا أفرضها.. لماذا تصادرها

لو أنّا كتمنا الحقّ صمَتنا
لطغت أمراضٌ وقصمَتنا
ولعلا الشرُّ وقصّ مَتنا
لكنّ الإرادة عصمَتنا

^ ^ ^ ^

الفصل الأول

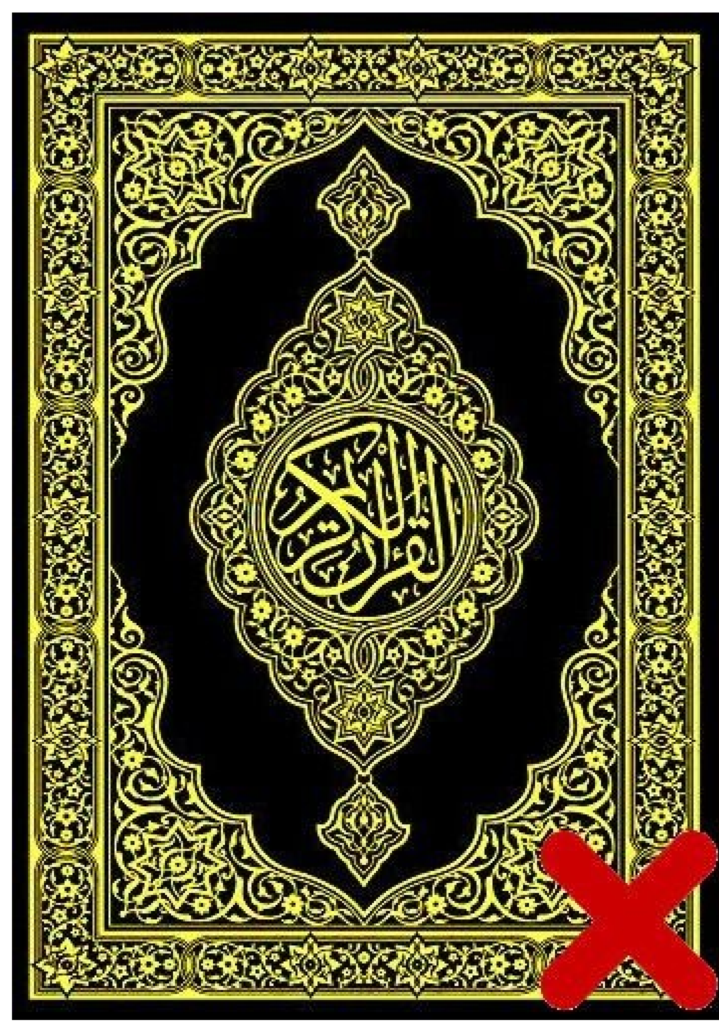
الأرض لا تدور .. والفكر في الصدور

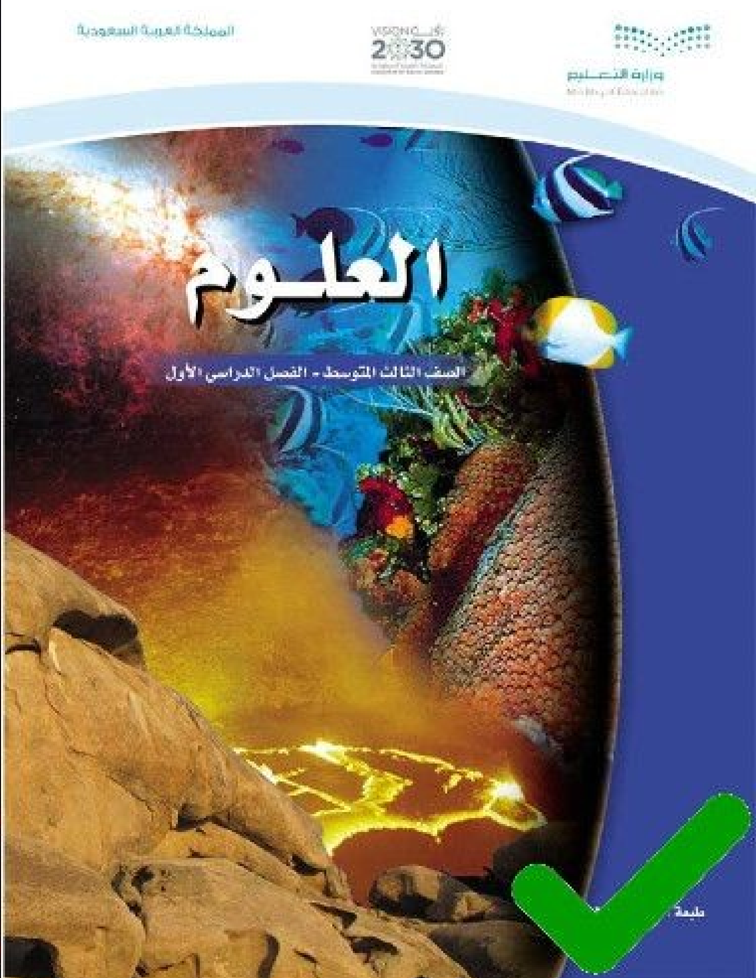
عن بعض الأخطاء العلمية في القرآن و براهين على بَشَريّته

الأديانُ ودّعتنا
والمعارفُ دعتنا

لطبيعةٍ أبدعتنا

مخاوفنا ما ردعتنا





^ ^ ^ ^

1. المعاني وافية .. لا أسرار خافية

جاء القرآن باللغة العربية لكي يكون مفهومًا للعرب:
{إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} 43|3
(تفسير ابن كثير: بِلُغَةِ الْعَرَبِ فَصِيحًا وَاضِحًا، لَعَلَّكُمْ تَفْهَمُونَهُ وَتَتَدَبَّرُونَه)
(الطَبَري: أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا عَلَى الْعَرَبِ، لِأَنَّ لِسَانَهُمْ وَكَلَامَهُمْ عَرَبِيٌّ، فَأَنْزَلْنَاهُ بِلِسَانِهِمْ لِيَعْقِلُوهُ وَيَفْقَهُوا مِنْه)
(القُرطبي: أَيْ: تَفْهَمُونَ أَحْكَامَهُ وَمَعَانِيهِ. فَعَلَى هَذَا الْقَوْلِ يَكُونُ خَاصًّا لِلْعَرَبِ دُونَ الْعَجَمِ)

والكلام الذي فيه.. واضح صريح، ليس باطنيًا ولا رمزيًا ولا مجازيًا:
{.. أَنْزَلْنَاهُ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ..} 22|16
(ابن كثير: وَاضِحَاتٍ فِي لَفْظِهَا وَمَعْنَاهَا)
{.. أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا • قَيِّمًا ..} 18|1-2
(الطَبَري: مُسْتَقِيمًا [...] لَا عِوَجَ فِيه، وَلَا مَيْلَ عَنِ الْحَقّ)
(ابن كثير: لَمْ يَجْعَلْ فِيهِ اعْوِجَاجًا وَلَا زَيْغًا وَلَا مَيْلًا بَلْ جَعَلَهُ مُعْتَدِلًا مُسْتَقِيمًا)
{قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ ..} 39|28
(الطبري: غَيْرَ ذِي لَبْسٍ)
(ابن كثير: لَا اعْوِجَاجَ فِيهِ وَلَا انْحِرَافَ وَلَا لَبْسَ، بَلْ هُوَ بَيَانٌ وَوُضُوحٌ وَبُرْهَانٌ)

وهو كتاب شامل لشؤون الحياة كافّة:
{.. وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ ..} 16|89
(ابن كثير: قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: قَدْ بَيَّنَ لَنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ كُلَّ عِلْمٍ، وَكُلَّ شَيْءٍ. [...] فَإِنَّ الْقُرْآنَ اشْتَمَلَ عَلَى كُلِّ عِلْمٍ نَافِعٍ مِنْ خَبَرِ مَا سَبَقَ، وَعِلْمِ مَا سَيَأْتِي، وَحُكْمِ كُلِّ حَلَالٍ وَحَرَامٍ، وَمَا النَّاسُ إِلَيْهِ مُحْتَاجُونَ فِي أَمْرِ دُنْيَاهُمْ وَدِينِهِمْ، وَمَعَاشِهِمْ وَمَعَادِهِمْ.)

ويؤكد ذلك قول منسوب إلى عمر بن الخطاب (أحد أقرب أصحاب محمد إليه، وأحد العشرة المبشّرين بالجنة، وأحد أربعة يوصفون بأنهم «الخلفاء الراشدون المهديّون») في شأن آلاف الكتب التي كانت في بلاد فارس: «اطرحوها في الماء، فإن يكن ما فيها هدىً فقد هدانا الله بأهدى منه، وإن يكن ضلالاً فقد كفانا الله.» [1]
وفي شأن آلاف الكتب التي كانت في مكتبة الإسكندرية: «إن كان فيها ما يوافق كتاب الله ففي كتاب الله عنه غنى، وإن كان فيها ما يخالف كتاب الله فلا حاجة إليها.» [2]

وفيه تفصيل كل شيء، ليس مُجملاً ولا موجزًا:

﴿كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ..﴾ 41|3

﴿.. كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ 11|1

﴿وَلَقَدْ جِئْنَاهُم بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ ..﴾ 7|52

﴿.. وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا﴾ 17|12

﴿.. مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ ..﴾ 12|111

وهو يوصف بأنه مُحكم، محفوظ من التحريف، وخالٍ من أي خطأ أو باطل:

﴿.. كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ..﴾ 11|1

(القُرطبي: جُعلَتْ مُحْكَمَةً كُلُّهَا لَا خَلَلَ فِيهَا وَلَا بَاطِلَ. وَالْإِحْكَامُ مَنْعُ الْقَوْلِ مِنَ الْفَسَادِ)

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ 15|9

﴿.. وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ • لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ 41|41-42

(الطبري: عَزِيزٌ بِإِعْزَازِ اللَّهِ إِيَّاهُ، وَحِفْظِهِ مِنْ كُلِّ مَنْ أَرَادَ لَهُ تَبْدِيلًا أَوْ تَحْرِيفًا، أَوْ تَغْيِيرًا [...] لَا يَسْتَطِيعُ ذُو بَاطِلٍ تَغْيِيرَهُ بِكَيْدِهِ، وَتَبْدِيلَ شَيْءٍ مِنْ مَعَانِيهِ عَمَّا هُوَ بِهِ، [...] وَلَا إِلْحَاقَ مَا لَيْسَ مِنْهُ فِيهِ)

وهو يوصف بأنه كلام «الله» الذي يعلم كل شيء ولا يغيب عن علمه شيء:

﴿إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ 20|98

﴿.. لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ 5|97

﴿.. لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ 65|12

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ 3|5

﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ 6|59

﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ 34|48

(الطبري: الْوَحْيِ...يُنْزِلُهُ مِنَ السَّمَاءِ، فَيَقْذِفُهُ إِلَى نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ [...] عَلَّامُ مَا يَغِيبُ عَنِ الْأَبْصَارِ)

وهو يحثنا على التفكّر في نصوصه وتتبّع دلائلها:

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ..﴾ 4|82

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ 47|24

أما النص التالي.. فيستغله المدافعون عن الدين ضد الانتقاد والتشكيك:

{هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ} 3|7

يزعمون أن «المتشابهات» هنا تشمل ما يسمّونه «شبهات»، وهي النصوص التي يجد فيها خصومهم عيوبًا. لو صح هذا لكان هذا النص مناقضًا للنصوص التي تصف القرآن بأنه واضح ومُحكم وتحثّ على التفكّر فيه. لكن المفسّرين الأوائل (الأقرب إلى جيل مؤسسي الإسلام) علموا المقصود بها:

«الْمُتَشَابِهَات» هي الحروف المقطّعة في أوائل بعض السور، مثل «الم»، «المر»، لأنها متشابهة في اللفظ، وموافقة لحروف حساب الجُمَّل. روي أن نفرًا من اليهود منهم حيي بن أخطب أتوا محمدًا، فقال له حيي: بلغنا أنه أنزل عليك «الم» ... فإن كان ذلك حقًا فإني أعلم مدة ملك أمتك، هي 71 سنة، فهل أنزل غيرها؟ قال: نعم، «المص». قال: فهذه أكثر، هي 161 سنة، فهل غيرها؟ قال: نعم، «الر». قال: هذه أكثر، هي 231 سنة، ولقد خلّطت علينا، فلا ندري أبكثيره نأخذ أم بقليله، ونحن ممن لا يؤمن بهذا.

فجاء هذا النص ليقول أن ما أرادوه لن ينالوه، وأنه لا يعلمه إلا الله. «وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ»: المتدارسون علم التوراة وهم عبد الله بن سلام وأصحابه من مؤمني أهل التوراة. [3]

هذه الأوصاف التي يصف القرآن بها نفسه.. تقتضي أن نصوصه المعروضة في الأقسام اللاحقة من هذا الكتاب.. هي نصوص واضحة مُحكمة مفصّلة، لا مجال للتملّص منها بادّعاء أنها حمّالة أوجه، أو أن المعنى فيها باطني أو رمزي أو مجازي، أو أن القرآن مُجمل أو موجز، أو أن له لغة خاصة لا يفهمها إلا أشخاص معيّنون، أو أنه كتاب ديني محض لا علاقة له بالعلوم الطبيعية والحقائق الكونية.



[1] تاريخ ابن خلدون ج1 ص631، المفردات في غريب القرآن للأصفهاني ص32

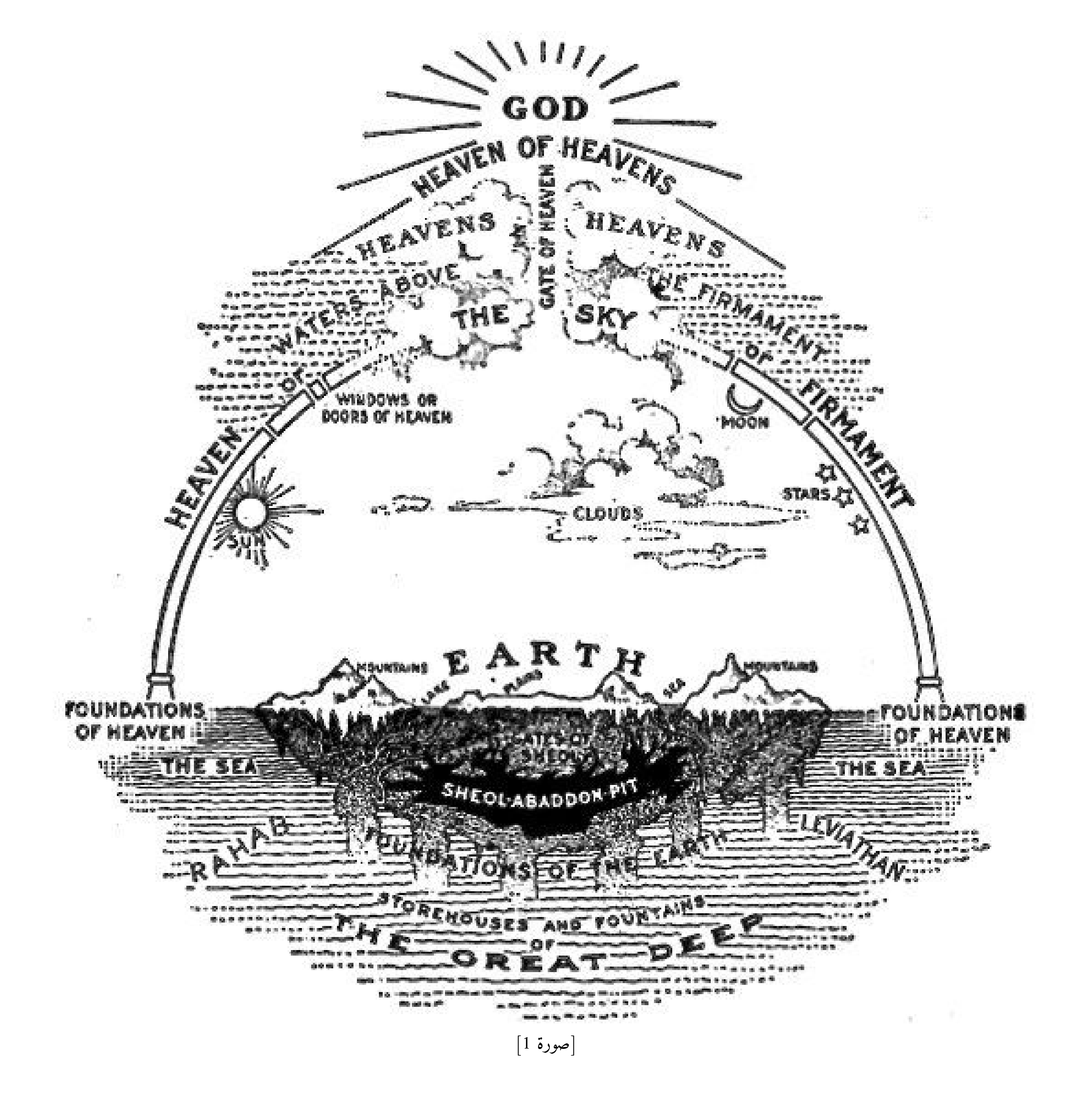
[2] إخبار العلماء بأخبار الحكماء للقفطي ص266، تاريخ مختصر الدول لابن العبري ص175

[3] تفاسير مقاتل بن سليمان، معاني القرآن للفرّاء، الطبري، البغوي 3|7

^ ^ ^ ^

2. قاعٌ مسقوف .. وسراجٌ يطوف

كان الناس في قديم الزمان.. ينظرون حولهم، فيرون الأرض منبسطة ممتدة، وينظرون فوقهم، فيرون الشمس والقمر والنجوم والغمام. وبغياب العِلم.. ساد الاعتقاد بأن الأرض مسطّحة ثابتة تمتد في الأسفل، وأن الذي فوقهم سماء (من السموّ) تمتدّ كالقُبّة مقابلة لها في الأعلى، وأن الشمس تطلع كل صباح من مكان في طرف الأرض الشرقي، ترتفع وتجري إلى أن تنزل وتغيب في طرف الأرض الغربي (مثل الرسم التوضيحي التالي):



[صورة 1]

وبقيت تصورات كهذه لدى بعض الناس إلى زماننا هذا، ومنهم شيوخ الإسلام المعاصرين، لأن مصدرهم للعلم.. كتاب يسمى القرآن. فيما يلي عرض لبعض ما جاء فيه.. عملاً بالتدبّر الذي دعا إليه.

الأرض

{وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ ..} 13|3

{وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا ..} 15|19

{أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ [...] وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ} 88|17-20

{وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ} 51|48

{الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشًا ..} 2|22

{وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطاً} 71|19

{أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَاداً} 78|6

القرآن: الأرض ممدودة، مسطّحة، مفروشة، كفِراش أو بساط أو مهاد.

تظافرت هذه المترادفات لتؤكد تصور مؤلِّفي القرآن.. أن الأرض (مثل الرسم التوضيحي أعلاه) كالبساط وليست كالكُرَة.

العلم: الأرض كوكب من الكواكب يجول في الفضاء.

(القرطبي: بَسَطَ الْأَرْضَ طُولًا وَعَرْضًا [...] بَسَطْنَاهَا كَالْفِرَاشِ عَلَى وَجْهِ الْمَاءِ [...] وهو يَرُدّ عَلَى مَنْ زَعَمَ أَنَّهَا كالكُرَة [...] وَالَّذِي عَلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ وَأَهْلُ الْكِتَابِ الْقَوْلُ بِوُقُوفِ الْأَرْضِ وَسُكُونِهَا وَمَدِّهَا، وَأَنَّ حَرَكَتَهَا إِنَّمَا تَكُونُ فِي الْعَادَةِ بِزَلْزَلَةٍ تُصِيبُهَا.)

{أَمْ مَنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا ..} 27|61

{وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ ..} 16|15

القرآن: الأرض قرار، لا تميد ولا تزول عن مكانها.

العلم: الأرض كوكب يدور حول نفسه ويطوف حول الشمس.

(ابن كثير: قَارَّةً سَاكِنَةً ثَابِتَةً، لَا تَمِيدُ وَلَا تَتَحَرَّكُ بِأَهْلِهَا [...] أَنْ تَضْطَرِبَا عَنْ أَمَاكِنِهِمَا)

الجبال

{وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ..} 16|15

{وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا..} 41|10

{وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا} 79|32 {وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا} 78|7

{وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ} 88|19

القرآن: الجبال أُلقيت في الأرض كالأوتاد.. لإرسائها وتثبيتها.

العلم: الجبال برزت من الأرض، نتيجة تحرّك صفائحها وتصادمها وتصدعها وانثنائها، أو نتيجة نشاط بركاني. [1]

(ابن كثير: .. الْجِبَالَ الرَّاسِيَاتِ، لِتَقِرَّ الْأَرْضُ وَلَا تَمِيدُ، أَيْ: تَضْطَرِبُ بِمَا عَلَيْهَا [...] عَنْ قَتَادَةَ، سَمِعْتُ الْحَسَنَ يَقُولُ: لَمَّا خُلِقَتِ الْأَرْضُ كَانَتْ تَمِيدُ، فَقَالُوا مَا هَذِهِ بِمُقِرَّةٍ عَلَى ظَهْرِهَا أَحَدًا. فَأَصْبَحُوا وَقَدْ خُلِقَتِ الْجِبَالُ. لَمْ تَدْرِ الْمَلَائِكَةُ مِمَّ خُلِقَتِ الْجِبَالُ.)

(القرطبي: «رَوَاسِيَ» أَيْ: جِبالًا ثوابت، وَاحِدهَا رَاسِيَة، لِأَنَّ الْأَرْض تَرْسُو بِهَا، أَيْ: تَثْبُت، وَالْإِرْسَاء الثُّبُوت [...] نُصِبَتْ عَلَى الْأَرْضِ، بِحَيْثُ لَا تَزُول؛ وَذَلِكَ أَنَّ الْأَرْض لَمَّا دُحِيَتْ مَادَتْ، فَأَرْسَاهَا بِالْجِبَالِ.)

السماء

السَمَاءُ: سَقْفُ كُلِّ شَيْءٍ وَكُلِّ بيْت. وَتُجْمعُ سَماءً وَسَموات. وَمِنْهُ يُقالُ لِسَقْفِ الْبَيْت سَمَاءَةٌ أو سَماوَة. وَالسَماءُ الَّتِي فَوْقَنا أُنْثَى عِنْدَ الْعَرَبِ لِأَنَّها جَمْعُ سَماءَة، وَسبَقَ الْجَمْعُ الْوُحْدَانَ فِيها. وَالسَماءَةُ أَصْلُهَا سَماوَة. وَإِذَا ذُكِّرَ السَماءُ عَنَوْا بِهِ السَقْفَ؛ وَمنهُ «السَماءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ» 73|18 وَلَمْ يَقُلْ «مُنْفَطِرَة». وَقَوْلُهُ «اسْتَوَى إِلَى السَماءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَات» 2|29 لَفْظُهُ لَفْظُ الوَاحِدِ وَمَعْنَاهُ مَعْنَى الجَمْعِ، وَالدَليلُ قَوْلُهُ «فَسَوَّاهُنَّ»، أي أَنْ السَماءَ جَمْع كَالسَموَاتِ، لِأَنَّ الوَاحِدَ سَمَاءَةٌ أو سَماوَة. [2]

وفي زمان تأليف القرآن.. كانت **الكواكب** في لغة العرب تعني النجوم. [3] وهي تشمل كل الأَجرام التي نراها في الفضاء. والنَجْمُ في الأَصل: اسمٌ لكل واحد من كواكب السماء، وهو بالثريَّا أَخَصُّ. [4] لم يكن عندهم فرق يُذكر بين الاسمين؛ فمثلاً، قال المفسّرون أن معنى «الخُنَّس»: النجومُ الدرارِيُّ الخَمْسَةُ، المَرِّيخُ وزُحَلُ وَعُطَارِدُ والزهرَةُ وَالمُشْتَرِي، [5] وهذه الكواكب مع الشمس والقمر، كانوا يسمّونها.. الكواكب السيّارة السبعة. [6] ويؤكّد ذلك نصّا القرآن «زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ»67|5 و»زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ وَحِفْظًا»37|6-7 إذ أن الأَجرام التي نسميها كواكب الآن.. لا ضوء لها ولا يصحّ وصفها بالمصابيح. إذن، الكواكب في القرآن هي النجوم. وكلمة «وَحِفْظًا» دليل على أن المقصود بالكواكب يشمل الشُهُب التي تُقذف بها الشياطين، وهي كانت تُسمّى الكواكب الراجمة. [7]

{قال محمد: فضلُ العالِمِ على العابِدِ، كفَضْلِ القمرِ ليلةَ البدْرِ على سائِرِ الكواكِبِ.} [8]

{.. خلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى} 20|4
{أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا ..} 50|6
{وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ ..} 67|5
{وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ • وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ • إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ} 15|16-18
{إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ • وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ} 37|6-7
{.. جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا} 25|61

القرآن: «السماء» كان مبنيّ عالٍ ننظر إليه فوقنا، مُزيَّن بالنجوم والكواكب، وفيه الشمس والقمر.
العلم: الأرض كوكب محاط بتلك الأجرام من كل النواحي، لا من فوقه فحسب.

{.. وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ..} 8|11

{.. وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ ..} 30|24

القرآن: «السماء» أيضًا ينزل منها الماء. إذن، «السماء» تشمل النجوم والغلاف الجوي.

العلم: النجوم أجرام بعيدة منفصلة بفضاء، بينما الغلاف خاص بكوكب الأرض ملتصق به. لذا لا يصح اعتبار «السماء» كيانًا يشمل النجوم والغلاف، متميزًا عن الأرض.

{أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ ..} 67|16

{وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَٰهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَٰهٌ ..} 43|84

{وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ} 51|22

{وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ • وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ..} 15|16-17

القرآن: «السماء» كيان منفصل عن الأرض.

العلم: الأرض كوكب يجول في الفضاء المسمى «سماء».

{أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ • وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ} 88|17-18

{وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا ..} 55|7

{اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ..} 13|2

{وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ} 52|5

{أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا [...] وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ} 21|30-32

{.. وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ ..} 22|65

القرآن: «السماء» (الكيان الذي فيه نجوم وكواكب والشمس والقمر).. قوله «أَفَلَا يَنْظُرُونَ» و«تَرَوْنَهَا» يعني أنه يمكننا أن ننظر ونرى أنها رُفِعَتْ. إذن، هي رُفِعَتْ عن شيء نراه، وهو الأرض. وهي سقف مبنيّ للأرض، ممسوك لكي لا يقع عليها.

(الطبري: قَوْلُهُ «وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ» يَعْنِي بِالسَّقْفِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ: السَّمَاءَ. وَجَعَلَهَا سَقْفًا، لِأَنَّهَا سَمَاءٌ لِلْأَرْضِ، كَسَمَاءِ الْبَيْتِ الَّذِي هُوَ سَقْفُهُ. وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ.)

(ابن كثير: قَوْلُهُ «وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا» أَيْ: عَلَى الْأَرْضِ، وَهِيَ كَالْقُبَّةِ عَلَيْهَا)

{الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً ..} 2|22

{.. السَّمَاءُ بَنَاهَا} 79|27 {وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا ..} 51|47

{أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ} 50|6

القرآن: «السماء» بناء مبنيّ، ليس به شقوق. إذن، هي بناء مادي متصل (سقف)، وليست فضاء.

(ابن كثير: سَقْفًا لِلْعَالَمِ [...] وَالْبِنَاءُ هُوَ نصبُ الْقُبَّة)

(الطبري: عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ، وَعَنْ نَاسٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ .. بِنَاءُ السَّمَاءِ عَلَى الْأَرْضِ كَهَيْئَةِ الْقُبَّةِ، وَهِيَ سَقْفٌ عَلَى الْأَرْضِ. [...] مَا لَهَا مِنْ صُدُوعٍ وفُتُوق)

(القرطبي: السَّمَاءُ لِلْأَرْضِ كَالسَّقْفِ لِلْبَيْتِ [...] «فروج» جَمْع فَرْج وَهُوَ الشَّقّ [...] لَيْسَ فِيهَا تَفَاوُت وَلَا اِخْتِلَاف وَلَا فُتُوق)

{.. إِنْ نَشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِنَ السَّمَاءِ ..} 34|9

{أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا ..} 17|92

قال «كِسَفًا»، أي: قِطَعًا، ولم يقل شُهُبًا.

{فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ • وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ} 69|15-16

{وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ} 77|9 {إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ • وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ} 82|1-2

القرآن: هذه «السماء» (السقف الذي فيه النجوم)، سوف تنشقّ وتُفرج.

أيضًا، الكواكب والنجوم سوف تسقط منتثرة على الأرض.

(الطبري: إِذَا السَّمَاءُ انفطَرَت: انْشَقَّتْ، وَإِذَا كَوَاكِبُهَا انْتَثَرَتْ مِنْهَا فَتَسَاقَطَتْ)

{.. جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا} 25|61

{وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ} 67|5

{إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ} 37|10

{وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ • وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ • النَّجْمُ الثَّاقِبُ} 86|1-3

القرآن: النجوم مصابيح تزيّن «السماء» (سقف الأرض)، ورجوم تُقذف على الشياطين. (لا تمييز بين النجم البعيد الضخم والشهاب القريب الصغير.)

العلم: النجوم أجرام عظيمة بعضها أكبر من الشمس. أما الشهاب الذي يصيب الأرض (كأنه رجمة)، فما هو إلا نيزك.. جرم بحجم صخرة أو أصغر. [9]

انظر لجهل من ظن أن النجوم
مصابيح وللشياطين رجوم

الأرض والسماء

{وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ} 21|16

{الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ..} 25|59

{وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ..} 39|67

{.. خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا} 71|15

{.. خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ..} 65|12

{ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ} 41|11

{إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ ..} 35|41

تقترن الأرض مع «السماء» أو «السماوات» في العديد من النصوص.. بحيث يشكّلان ثنائيًا متكافئًا. ويظهر هذا جليًّا بكلمة «مِثْلَهُنَّ». وقوله «يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ» يدل على أن الاتجاه فيهن عمودي (نزول)، وهذا يؤكد التصور بأن الأراضي «طِبَاق» مثل «السماوات»، أي أننا في الطابق العلوي من الأرض، وتحتنا طوابق ستة غيره.

ولا مناص من تماثل الحجم في هذا التصور: الأرض بحجم قبضة اليد اليسرى، و«السماوات» تطوى في اليد اليمنى. لكن ماذا يمثّل كوكب الأرض الصغير بالنسبة للكون وما فيه من مجرّات لا تحصى؟ لا مبرر لتكرر هذا الثنائي.. إلا التصور بأنهما متقابلتان.. أرض شاسعة تمتد في الأسفل و»سماء» تمتد مقابلة لها في الأعلى.

{.. وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ..} 57|21

<u>القرآن</u>: يقترن عرض «السماء» وعرض الأرض، وهذا يقتضي أنهما متكافئتان متقابلتان ممتدتان أفقيًا.

<u>العلم</u>: لا وجود لشيء اسمه «السماء» ليكون له عرض، أما الفضاء فليس له عرض محدد.. لأنه يتمدد.

لم يكتف مؤلفو القرآن بضرب المثل بعرض «السماء» وحدها، أو عرض الأرض وحدها.. بل جمعوهما. لكن ماذا يمثّل عرض كوكب الأرض بالنسبة للفضاء؟ لا شيء يُذكر. إذن، قول كهذا لم يكن ليصدر إلا من بشر كانوا يتصورون الأرض عريضة تمتد في الأسفل كما «السماء» عريضة تمتد في الأعلى.

الشمس

{.. خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا • وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا} 71|15-16

<u>القرآن</u>: الشمس مجرد سراج للأرض.

<u>العلم</u>: الشمس كتلة مركزية أضخم بمليون مرة من كوكب الأرض الذي يطوف حولها مع غيره من الكواكب. وهي تشكّل أكثر من 90% من مجموع كل أجرام المجموعة الشمسية (الشمس وكواكبها).

{أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ..} 22|18

<u>القرآن</u>: الشمس تسجد.

{قالَ محمد لأبِي ذَرٍّ حِينَ غَرَبَتِ الشَّمْسُ: أتَدْرِي أيْنَ تَذْهَبُ؟ قال أبو ذَرّ: اللَّهُ ورَسولُهُ أعْلَمُ. قالَ: فإنَّها تَذْهَبُ حتّى تَسْجُدَ تَحْتَ العَرْشِ، فَتَسْتَأْذِنَ فيُؤْذَنُ لَها. ويُوشِكُ أنْ تَسْجُدَ فلا يُقْبَلَ منها، وتَسْتَأْذِنَ فلا يُؤْذَنَ لَها، يُقالُ لَها ارْجِعِي مِن حَيْثُ جِئْتِ، فَتَطْلُعُ مِن مَغْرِبِها. فَذلكَ قَوْلُهُ تَعالَى «والشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَها» 36|38} [10]

(هذا الحديث صحيح ولا مصلحة لأحد في تزويره، إذ حينما دوِّنت الأحاديث، كان كل الناس يعتقدون أن الشمس تجري حول الأرض.)

تكلّم محمد عن أمور غيبية مثل كيفية غياب الشمس، فهل كان يهتدي بوحي من خارج الكوكب؟ لو أنه كان يوحى إليه.. فالمفترض ألّا يتكلّم إلّا بحقائق.

{وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ ..} 2|115

{فَلا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ} 70|40

(الطبري: إِنَّ الشَّمْسَ تَطْلُعُ مِنْ ثَلاثِمِائَةٍ وَسِتِّينَ مَطْلَعًا، تَطْلُعُ كُلَّ يَوْمٍ مِنْ مَطْلَعٍ)

{رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ} 55|17

(الطبري: مَشْرِقِ الشَّمْسِ فِي الشِّتَاءِ، وَمَشْرِقِهَا فِي الصَّيْفِ)

{.. قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ ..} 2|258

القرآن: للشمس أماكن في أقصى الشرق تطلع منها «مَشَارِق»، وأماكن في أقصى الغرب تغيب فيها «مَغَارِب». أيضًا، نبي معصوم كان خليل «الله» قال أن الشمس تأتي من المشرق، وبما أن قوله ثُبّت في القرآن (الحق الذي لا يأتيه باطل)، فهذا القول حق بحسب القرآن.

العلم: ليس في الكون مشرق ولا مغرب أصلاً. التسمية الصحيحة هي «شرق وغرب» وجمعها «أشراق وأغراب».

مفهوم المشارق والمغارب ينسجم مع تصور أهل ذلك الزمان أن الأرض مسطحة ثابتة. كلمة «مشرق» على وزن «مفعل»، مثل «مسجد» وهو مكان السجود، كذلك «المشرق» هو مكان الشروق. وبما أن القرآن دقيق الألفاظ.. فلا شك أن «المَشارِق» هي أمكان شروق الشمس في طرف الأرض الشرقي، و«المَغارِب» أماكن غروبها في طرف الأرض الغربي.

{وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا [...] حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا [...] حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا} 18|83-90

النص لا يتكلم عن رؤية ذي القرنين للأمور، إنه يخبرنا عن رحلته. الرجل استطاع أن يصل إلى المكان الذي تغرب فيه الشمس «بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ».. وهو «عَيْنٍ حَمِئَةٍ»، أي ينبوع طيني، كما تصوّره القدماء. النص يقول «بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ» ولا يقول «بلغ الغرب». يقال «مجلس» لمكان الجلوس، كذلك «مغرب الشمس» هو مكان غروب الشمس. هذا كان تصور الناس قبل اكتشاف أن الأرض كوكب. والنص يؤكده بقوله أن الرجل وجد الشمس «تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ». إنه يقول «وَجَدَهَا» ولا يقول رآها. لم يكن يتخيل، فقد كان واقفًا عند العين «وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا».

كنتُ أُصدِّقُ مَن ظَنّ الشمسَ تجري
وأُمَنّي النفسَ بالنعيم والأجرِ

القمر

{.. خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا • وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا ..} 71|15-16
القرآن: القمر نور في سبع «سماوات».
العلم: القمر نور في الأرض فقط. هو جِرم صغير يخص الأرض، نوره انعكاس لضوء الشمس ينير أماكن في الأرض فقط، لا في «السماوات».

الشمس والقمر

{وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا • وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا • وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا • وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا} 91|1-4
القرآن: القمر يتلو الشمس.
العلم: القمر لا يتلو الشمس، لا بالمكان ولا بالزمان. هو جِرم تابع لكوكب الأرض يطوف حوله دائمًا، بينما نرى الشمس بسبب دوران الأرض. وأحيانًا نراهما في وقت واحد.

{.. وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى ..} 39|5
{وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ • وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ • لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ} 36|38-40
القرآن: الشمس تجري كما يجري القمر، ولا يراد لها أن تدركه.
العلم: الأرض كوكب يدور حول محوره فيحدث الشروق والغروب، ويطوف حول الشمس فتكون الفصول الأربعة.

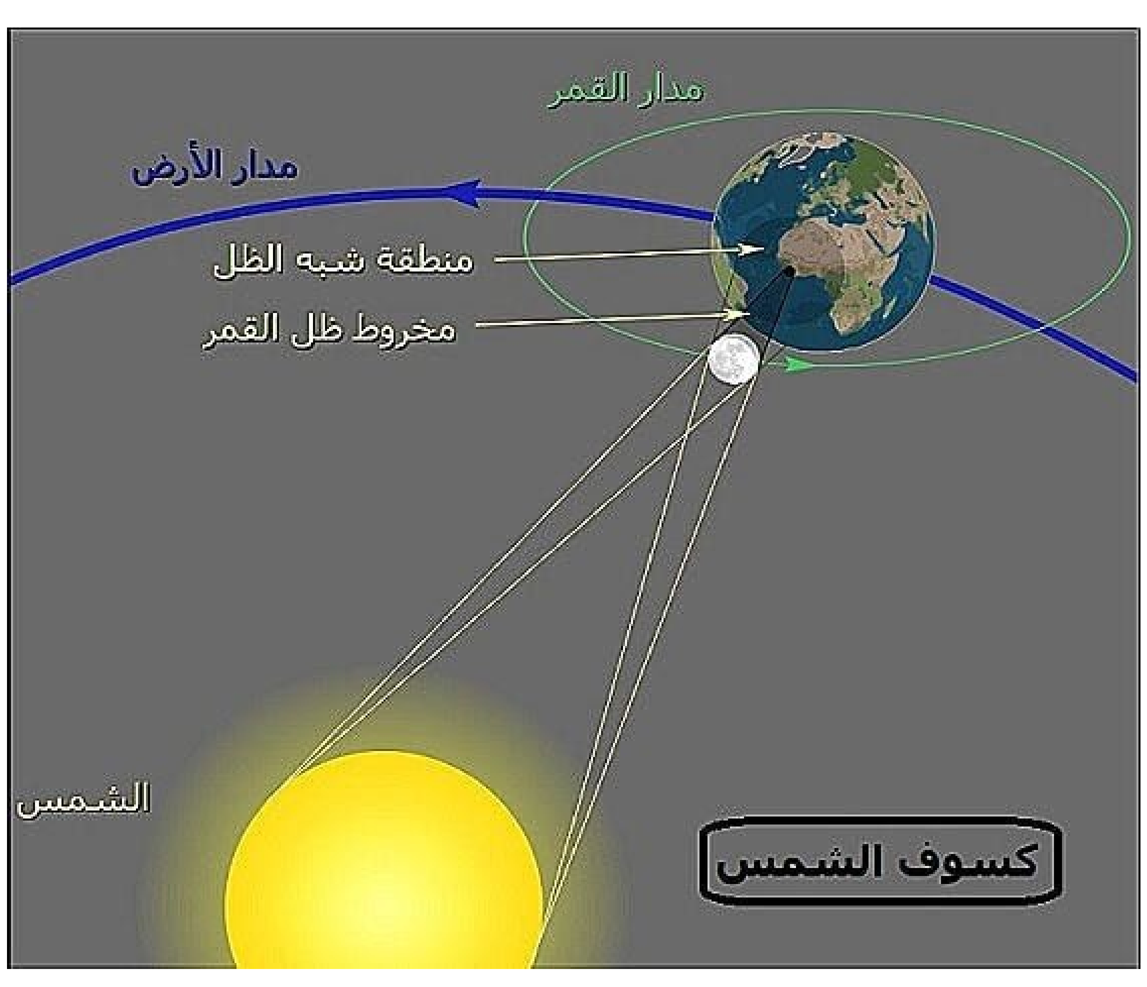
{فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ • وَخَسَفَ الْقَمَرُ • وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ • يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ} 75|7-10
القرآن: القمر، الجِرم الصغير الذي يحوم حول الأرض، سوف يُجمع مع الشمس، الكتلة المركزية الضخمة التي تطوف حولها كواكب منها الأرض.
العلم: هذا لا يليق، لا بالشمس ولا بالقمر.

الكسوف

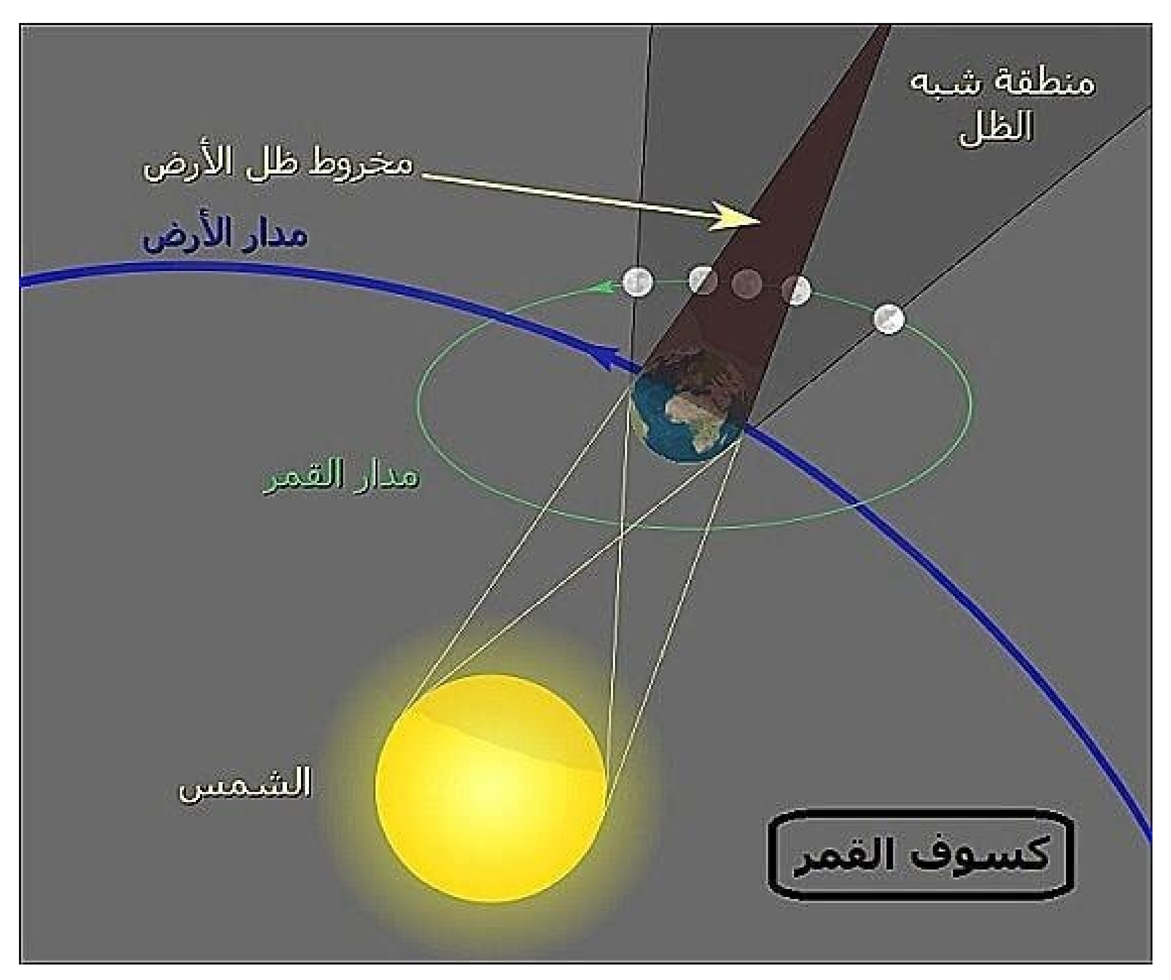
{فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ • وَخَسَفَ الْقَمَرُ} 75|7-8 {وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا} 17|59
(ابن كثير: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ..: «إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ، وَإِنَّهُمَا لَا يَنْكَسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا

لِحَيَاتِهِ، وَلَكِنَّ اللَّهَ .. يُرْسِلُهُمَا يُخَوِّفُ بِهِمَا عِبَادَهُ ..») [11]

لم يبيِّن محمد للناس كيفية كسوف الشمس والقمر (كما هي في الرسمين التوضيحيين التاليين)؛ واستغل هذه الظواهر الكونية في تخويفهم وتعبيدهم. هذا التصرف لا يخرج عن احتماليتين: إما أنه جهل منه، أو أنه تجهيل متعمد.



[صورة 2]



[صورة 3]

الليل والنهار

{وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ} 21|33

{لَا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ} 36|40

القرآن: الليل والنهار كائنان يَسبحان.

العلم: الليل والنهار مجرّد مَظهرَين لحضور ضوء الشمس وغيابه.

{وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا • وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا • وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا • وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا} 91|1-4

{.. يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا ..} 7|54

{وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ} 36|37

القرآن: النهار كائن يجلّي الشمس، والليل كائن يغشاها ويغشى النهار، و النهار ينسلخ من الليل.

العلم: النهار حالة على نصف كوكب الأرض المواجه للشمس، والليل حالة على النصف الآخر منه. هما مَظهران ناتجان عن أشعة الشمس ودوران الأرض، وليسا كائنين يؤثّران على الشمس أو غيرها.

{يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ..} 24|44

{.. يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى ..} 39|5

القرآن: الذي يتقلّب ويتكوّر هو الليل والنهار، والذي يجري هو الشمس (كما يبدو للناظر الجاهل الذي يتصور «السماء» قبّة).

العلم: الذي يتقلّب ويتكوّر ويجري هو كوكب الأرض.

(الطبري: يُغَشّي هَذَا عَلَى هَذَا، وهَذَا عَلَى هذَا، كَمَا قَالَ «يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ» [...] يَحْمِل اللَّيْل عَلَى النَّهَار [...] يُدَهْوِرهُ [...] يَجِيء بِالنَّهَارِ وَيَذْهَب بِاللَّيْلِ، وَيَجِيء بِاللَّيْلِ، وَيَذْهَب بِالنَّهَارِ)

(ابن كثير: أَيْ: سَخَّرَهُمَا يَجْرِيَانِ مُتَعَاقِبَيْنِ لَا يَفْتُرَانِ كُلّ مِنْهُمَا يَطْلُب الْآخَر طَلَبًا حَثِيثًا كَقَوْلِهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى «يُغْشِي اللَّيْل النَّهَار يَطْلُبهُ حَثِيثًا»)

(القرطبي: أَيْ: يُلْقِي هَذَا عَلَى هَذَا وَهَذَا عَلَى هَذَا. وَهَذَا عَلَى مَعْنَى التَّكْوِير فِي اللُّغَة، وَهُوَ طَرْح الشَّيْء بَعْضه عَلَى بَعْض؛ يُقَال كَوَّرَ الْمَتَاع أَيْ: أَلْقَى بَعْضه عَلَى بَعْض؛ وَمِنْهُ كَوْر الْعِمَامَة)

{قال محمد: يَنْزِلُ رَبُّنا تَبارَكَ وتَعالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إلى السَّماءِ الدُّنْيا، حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ فيَقولُ مَن يَدْعُونِي فأسْتَجِيبَ له ..} [12]

(هذا الحديث صحيح ولا مصلحة لأحد في تزويره.)

ثلث الليل الآخر يحل على مدينة ما، ثم بعد برهة على قرية أو بلدة مجاورة، ثم التي تليها، وهكذا. المؤمنون، ومنهم آل محمد وأصحابه، انتشروا شرقًا وغربًا. هذا يعني أحد أمرين: إما أن «الله» يتردد على الدنيا كثيرًا، أو.. أن هذا الحديث الصحيح.. هراء.

الظل

{أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا • ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا} 25|45-46

(ابن كثير: الظِّلُّ [وفقًا لأكثر المفسّرين] هُوَ مَا بَيْنَ طُلُوعِ الْفَجْرِ إِلَى طُلُوعِ الشَّمْسِ. «وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا» أَيْ: دَائِمًا لَا يَزُولُ)

هذا النص القرآني.. إن دل، يدل على أن القائل كان يجهل أن الأرض كوكب، وأن هذه الظاهرة ما هي إلا أثر لدورانه حول محوره وللحجب الجزئي لضوء الشمس.

الرياح

{وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ ..} 7|57

{وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَاحَ ..} 30|46

{اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا ..} 30|48

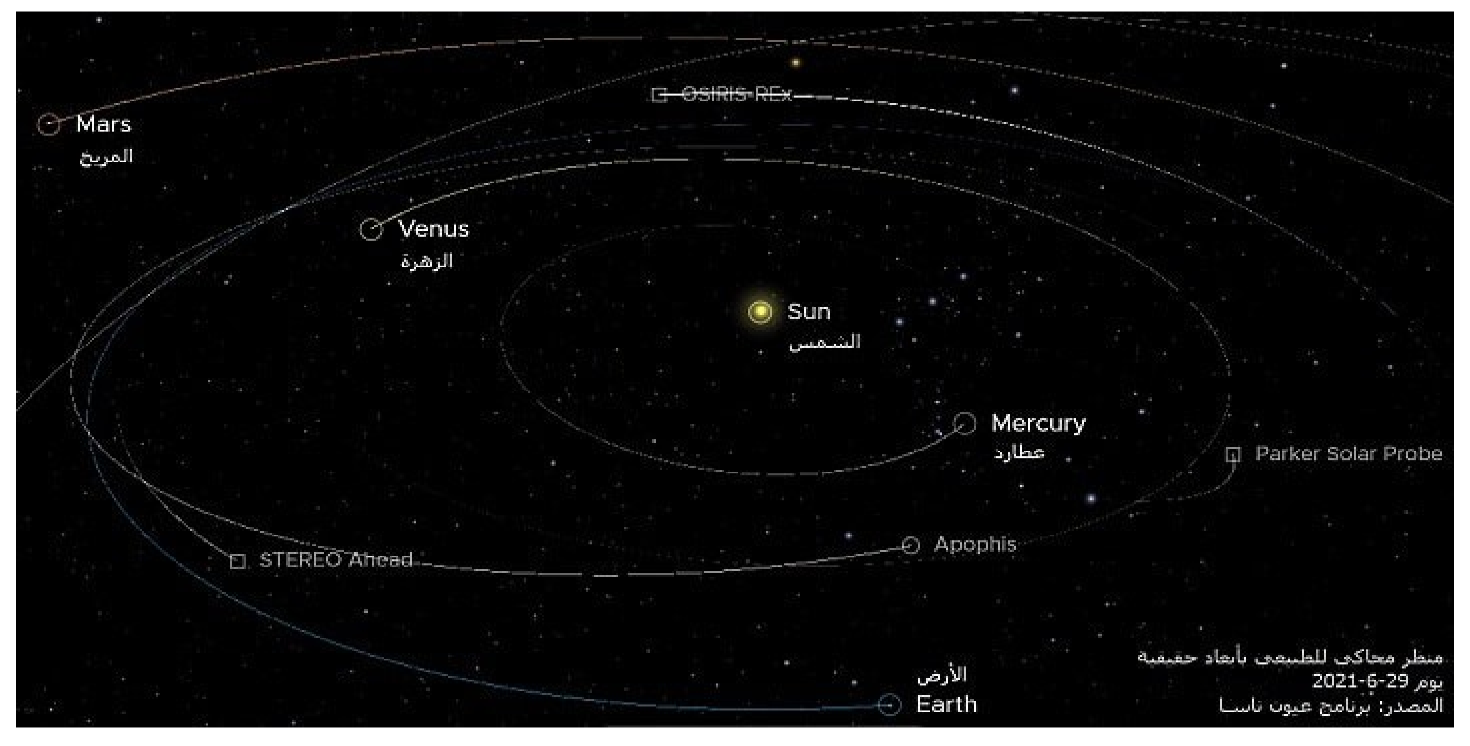
القرآن: تتحرك الرياح لأن الله يرسلها من مكان إلى آخر.
العلم: تتحرك الرياح لأن الضغط الجوي يتفاوت من مكان لآخر، فيتوجّه الهواء من الضغط العالي إلى الضغط المنخفض، مثله مثل أي غاز أو سائل. ويحدث انحراف في هذه الحركة بسبب دوران الأرض. وتفاوت الضغط سببه تفاوت حرارة الشمس بين خط الاستواء والقطبين وبين اليابسة والبحار وبين الوديان والمرتفعات. [13]

البَرَد

{.. وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاء ..} 24|43
القرآن: البَرَد يتساقط من جبال في «السماء». القرآن دقيق اللفظ، ولم يقل «من سحاب كالجبال».
العلم: البَرَد يتساقط من السحاب.
(الطبري: يُنَزِّل مِنَ السَّمَاء مِنْ جِبَالٍ فِي السَّمَاء مِنْ بَرَد ..)
(القرطبي: خَلَقَ اللَّه فِي السَّمَاء جِبَالًا مِنْ بَرَد، فَهُوَ يُنَزِّل مِنْهَا بَرَدًا ..)
(ابن كثير: مَعْنَاهُ أَنَّ فِي السَّمَاء جِبَالَ بَرَدٍ يُنَزِّل اللَّه مِنْهَا الْبَرَد ..)
كما يتضح من التفاسير القديمة، كان هذا التصور شائعًا لدى الناس لتفسير هذه الظاهرة، ومؤلفو القرآن منهم.



منظر محاكي للطبيعي بأبعاد حقيقية للشمس وبعض الكواكب، يوم 29-6-2021، كما أظهره برنامج عيون ناسا على المجموعة الشمسية، المتاح في موقع ناسا:



[صورة 4]

كيفية حصول الفصول الأربعة نتيجة دوران الأرض حول الشمس ومحورها مائل:

[صورة 5]



تسطّح الأرض وثباتها وبناء «السماء» سقفًا لها وجريان الشمس.. كانت تصورات أهل ذلك الزمان. لو كان محمد القرشي رسولاً يأتيه ملَك اسمه جبريل.. لعرف منه أن الأرض كوكب، فهذا من عظائم الأمور. وبعد أن نصّب نفسه المعلّم الأعظم يعلّم الناس كل كبيرة وصغيرة.. كان عليه أن يعلّم أصحابه أن الأرض كوكب، وكيفية الليل والنهار والصيف والشتاء والكسوف. هم صدّقوه في شأن البعث، وكانوا سيصدّقونه في أي شيء لو قدّمه لهم بوسائل إيضاحية. ألم يأت ليخرجهم من الظلمات إلى النور؟ لو استطاع فعل ذلك لحقق المعجزة والإعجاز؛ لكنّه وافقهم وشاركهم تصوراتهم الخاطئة، ورسّخها بهذه النصوص، وتركهم في ظُلمة الجهل. لا مبرر لذلك سوى أنه هو كان قابعًا في تلك الظُلمة.

يا من يذمّ ويشتم ويلوم

هل تظنّ أن سينفعك الهجوم

اسأل وفتّش لا تكتفِ بالمعلوم

فنور النهار لا يريك النجوم



[^][1] ويكيبيديا – تكوين الجبال
[^][2] لسان العرب – سما
[^][3] لسان العرب، القاموس المحيط، معجم الرائد – كوكب
[^][4] لسان العرب، مختار الصحاح، معجم الرائد، معجم الغني – نجم، تفسير ابن كثير 6|76
[^][5] القاموس المحيط – خنس، تفاسير الطبري والقرطبي والبغوي 81|15
[^][6] تفسير ابن كثير 6|76، تفسير القرطبي 15|16
[^][7] تفاسير القرطبي وابن عطية 37|8
[^][8] صحيح الترمذي 2682، صحيح أبي داود 3641، صحيح ابن حبان 88، صحيح ابن ماجه 183، مسند أحمد 21715
[^][9] ويكيبيديا – نيزك
[^][10] صحيح البخاري 3199، 7424، صحيح مسلم 159
[^][11] صحيح البخاري 1044، صحيح مسلم 901
[^][12] صحيح البخاري 1145، 7494، صحيح مسلم 758، صحيح الترمذي 3498، صحيح أبي داود 1315، صحيح ابن حبان 920، مسند أحمد 16745
[^][13] ويكيبيديا – ريح
[^][صورة 1] من كتاب «Leaders of Israel» لـ George L. Robinson
[^][صورة 2] من commons.wikimedia.org/wiki/File:Geometry_of_a_Total_Solar_Eclipse.svg
[^][صورة 3] من commons.wikimedia.org/wiki/File:Geometry_of_a_Lunar_Eclipse.svg
[^][صورة 4] من NASA's Website – Solar System [^][صورة 5] من عمل المؤلف باستخدام صورة الأرض من Calimero

^ ^ ^ ^

3. بنيان الشيوخ .. بأساس مشروخ

بعد تأسيس الإسلام، جرى تمييز أشخاص من أتباعه بوصفهم علماء أو «أهل العلم». وقد أدى هذا التمييز بهم إلى أن يحقّروا الآخرين ويصفوهم بأنهم «عوامّ» و»جهّال». شجّعهم على ذلك عدم توفر وسائل التعليم للناس. هل يرضى أحد من الأجيال المتعلمة أن يصنَّف بأنه من العوامّ والجهّال؟

يتجرأ بعض المفتين على تحريم المباحات، ويُكثرون في فتاويهم من عبارة «هذا لا ينبغي». ومنذ أن كنت في المدرسة وأنا أستنكر هذا، فالدروس الدينية الإجبارية -للأسف- كانت تُلقَّن لنا، شاغلة الحيز الأكبر من أوقاتنا المدرسية، وقد تَعلّمنا أنواع الأحكام (وجوب، تحريم، استحباب، كراهة، إلخ)، ولم يكن منها بتاتًا نوع اسمه «بُغية». هذه من التفاصيل التي أسهمَت في إدراكي للتأثير البشري في الدين الذي يزعمون أنه خالص لله وحده بطاعة أوامره واجتناب نواهيه، حتى استوعبت أن الدين في أصله وأساسه بشري.

فيما يلي أقوال بعض من الشيوخ المتأخرين ذوي التصور الخاطئ المبيّن في القسم السابق.

الشيخ عبدالعزيز بن باز

رئيس إدارات البحوث العلمية والإفتاء، المفتي العام للسعودية حتى 1999

قال في كتابه «الأدلة النقلية والحسية على إمكان الصعود إلى الكواكب وعلى جريان الشمس والقمر وسكون الأرض»: قد دل القرآن الكريم والأحاديث النبوية وإجماع علماء الإسلام والواقع المشاهد على أن الشمس جارية في فلكها [...] وأن الأرض ثابتة قد بسطها الله [...] فمن زعم خلاف ذلك وقال إنَّ الشمس ثابتة لا جارية فقد كذّب الله وكذّب كتابه [...] وكل من كذب الله سبحانه أو كذب كتابه الكريم أو كذب رسوله [...] فهو كافر ضال مضل يُستتاب فإن تاب وإلا قُتل كافرًا مرتدًا ويكون ماله فيئًا لبيت مال المسلمين كما نص على مثل هذا أهل العلم. [1]

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

(عبدالعزيز آل الشيخ، صالح الفوزان، عبدالله بن غديان، عبدالرزاق عفيفي، عبدالعزيز بن باز)

<u>السؤال:</u> أنا مدرس في إحدى مدارس منطقة الرياض لمادة الجغرافيا، وحيث إنه قد ورد إلي موضوع يتعلق بدوران الأرض حول نفسها وحول الشمس وحيث إنه قد سبق وأن قرأت كتابًا لسماحتكم، حيث كان هناك تعارض بين ما ذكرتموه سماحتكم وبين الكتاب المدرسي لذا أرجوا إفادتي.

<u>الجواب:</u> يجب على مدرس الجغرافيا إذا عرض على الطلاب نظرية الجغرافيين حول ثبوت الشمس ودوران الأرض عليها أن يبين أن هذه النظرية تتعارض مع الآيات القرآنية والأحاديث النبوية وأن الواجب الأخذ بما

دل عليه القرآن والسنة ورفض ما خالف ذلك. ولابأس بعرض نظرية الجغرافيين من أجل معرفتها والرد عليها كسائر المذاهب المخالفة، لا من أجل تصديقها والأخذ بها. [2]

العلّامة يحيى بن علي الحجوري

كتاب الصبح الشارق (صدر عام 2000) – ص196: فالذي يعتقد أن الأرض تدور وتتحرك يجب عليه أن يلتمس لهذا القول دليلاً من القرآن والسنة، وإلا كان صاحب معتقد فاسد لا يعتمد على دليل عن الله ورسوله. وأنّى لصاحب هذا القول الدليل؟ فدون ذلك خرط القتاد، وإنما هي الشُبه .. [3]

العلّامة محمد العثيمين

في مجموع فتاويه – المجلد الأول (صدر عام 1993) – الربوبية – 24: .. فإننا مستمسكون بظاهر الكتاب والسنة من أن الشمس تدور على الأرض دورانًا يحصل به تعاقب الليل والنهار، حتى يقوم دليل قطعي يكون لنا حجة بصرف ظاهر الكتاب والسنة إليه – وأنى ذلك – فالواجب على المؤمن أن يستمسك بظاهر القرآن الكريم والسنة في هذه الأمور وغيرها [...] .وأما ما ذكره علماء الفلك العصريون، فإنه لم يصل عندنا إلى حدّ اليقين فلا ندع من أجله ظاهر كتاب ربّنا وسنة نبينا [...] لأن القرآن الكريم كلام الله تعالى الذي هو خالق الكون كله، والعالم بكل ما فيه من أعيان وأحوال، وحركة وسكون، وكلامه تعالى أصدق الكلام وأبينه، وهو سبحانه أنزل الكتاب تبيانًا لكل شيء، وأخبر سبحانه أنه يبين لعباده لئلا يضلوا. [4]

الشيخ عبدالكريم الحميد – هداية الحيران في مسألة الدوران (الإبطال بالأدلة النقلية والعقلية لنظرية دوران الأرض)، كتاب ضخم.. مخصص لنَفي دوران الأرض (صدر في النصف الثاني من القرن العشرين) [5]

الشيخ حمود التويجري – كتاب الصواعق الشديدة على أصحاب الهيئة الجديدة (صدر عام 1968) [6]

الشيخ محمد بن عبدالله الإمام – كتاب نقض النظريات الكونية (صدر عام 2008) [7]

هؤلاء الشيوخ وغيرهم، بنوا أقوالهم على كتاب اسمه القرآن، لا برهان على صحة ما فيه، ولا على أنه من علّام للغيوب، لذا.. يجب تبديل صفتهم من «أهل العلم» إلى أهل الجهل.

كم ضاعت أوقات بقراءة أضغاث أهدرت المحابر
وكم انزعجت نفوس بسماع جهالات شغلت المنابر



[1] الأدلة النقلية والحسية على إمكان الصعود إلى الكواكب وعلى جريان الشمس والقمر وسكون الأرض لعبدالعزيز بن باز
[2] فتاوي اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء - الفتوى 15255 – دوران الأرض
[3] الصبح الشارق ليحيى الحجوري
[4] مجموع فتاوي محمد العثيمين – المجلد الأول
[5] سيرة الشيخ عبدالكريم الحميد
[6] الصواعق الشديدة على أصحاب الهيئة الجديدة لحمود التويجري - الفهرس
[7] نقض النظريات الكونية لمحمد الإمام

^ ^ ^ ^

4. الصلاة والصيام .. والساعات والأيام

بما أن من طبيعة الحياة التكاثر، والانتشار في أنحاء الأرض.. فقد توزّع البشر عبر التاريخ على بلاد قريبة وبعيدة من منشئهم الأصلي.

ومعروف للمسلم أن للإسلام خمسة أركان.. إن انكسر أحدها.. انهار بنيانه وتحطم.

الصلاة

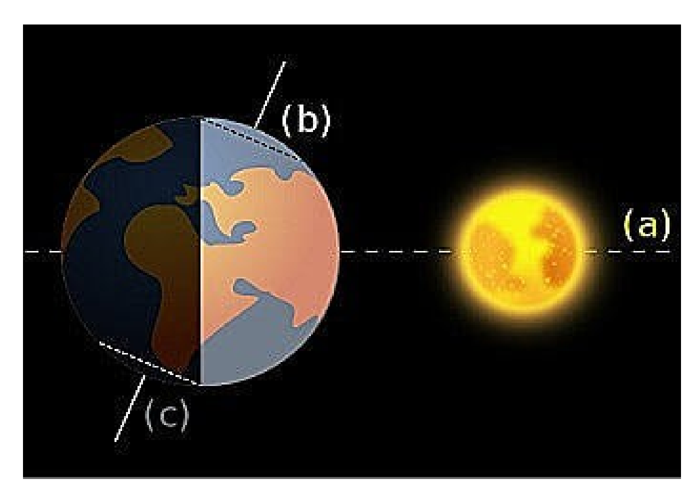
الركن الرئيس هو الصلاة الإجبارية؛ تبطُل ولا تُقبل لو لم تؤدى خمس مرات يوميًا في أوقات محددة تدخل وتخرج؛ تعتمد حصرًا على الشمس. هذا بإجماع المسلمين، وبنص صريح:
{.. إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا} 4|103
تُحدد هذه الأوقات وفقًا لاتجاه الشمس؛ وهي: فجر، ظهر، عصر، مغرب، عشاء؛ وهذا تنظيم اعتيادي للمسلمين.

الآن، لنقم برحلة (إسراء) افتراضية من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى. نلاحظ أن تلك الأوقات تختلف قليلًا من حيث الزمن بين كل صلاة والتي تليها؛ وهذا بسبب ميل محور الأرض الذي تدور حوله بالنسبة لمستوى الشمس.

نواصل الرحلة شمالاً عبر أوروبا.. فنجد أن الاختلاف (في الزمن بين كل صلاة والتي تليها) يزيد كلما اتجهنا شمالاً.

نصل أخيرًا إلى الاكتشاف الذي غاب عن المسلمين عبر القرون (وأولهم مؤسسو الإسلام): بلاد أقصى شمال الكرة الأرضية، وهي أيسلندا، فنلندا، النرويج، السويد، جرينلاند، روسيا، كندا والولايات المتحدة.. تقع أجزاء منها ضمن الدائرة القطبية الشمالية. تلك الأجزاء تشمل بلدات مأهولة بملايين البشر. فيها تبقى الشمس قريبة من الأفق، عدة أسابيع أو أشهُر فوقه ومثلها تحته؛ لا تحدث اتجاهاتها من الشروق إلى الغروب بشكل يمكن تمييزه خلال اليوم. [1]
لذا يستحيل تحديد أوقات الصلاة (فجر، إشراق، ظهر، عصر، مغرب، عشاء).

إذن، الصلوات الخمس غير قابلة للتطبيق. لو أراد أحد أولئك البشر اعتناق الإسلام.. فلن يستطيع إقامة ثاني أركانه.



[صورة 1]

الصيام

الركن التالي يتمثل في الصيام الإجباري نهارًا مدة شهر كل عام؛ يبطُل ولا يُقبل لو لم يتم من الفجر إلى الغروب: {شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ [...] وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ..} 2|185-187

بغض النظر عن ضرر الصيام الإسلامي الناجم عن الجفاف بسبب عدم شرب السوائل، ما زلنا في منتهى رحلة الإسراء.. بلاد أقصى الشمال. المواطن فيها ليس «مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ»، لو أراد اعتناق الإسلام.. فلن يستطيع إقامة ثالث أركانه. خلال الشهور التي تكون فيها الشمس تحت الأفق.. هو لا يصوم الشهر القمري، إذ لا نهار فيه؛ وخلال الشهور التي تكون فيها الشمس فوق الأفق.. عليه أن يصوم الشهر القمري متواصلًا، إذ لا ليل فيه.. التزامًا بنص القرآن الذي لا خيار فيه؛ ولو فعل لهلك عطشًا.



هل الإسلام صالح لكل زمان ومكان؟ لم يُذكر في نصوصه أن مواقيت الصلاة والصيام لا تشمل بلاد أقصى الشمال، وأن من يعتنقه فيها عليه الهجرة جنوبًا. الواقع أن المسلمين هم الذين يهاجرون إلى الشمال؛ ولم يكفهم هذا العيب الكبير ليدركوا أن هذا الدين بشري شرق-أوسطي وليس صالحًا لكل زمان ومكان. لا تبرير لهاتين المشكلتين اللتين تكسران ركنين من أركانه.. إلا جهل مؤسسيه.



[1] • Burn, Chris. – The Polar Night, The Aurora Research Institute

• U.S. Naval Observatory • What is the Midnight Sun Phenomenon?

[صورة 1] مقتطعة من Polar-circle.svg لـ MikeRun، تحت رخصة CC Attribution-Share Alike 4.0 International

^ ^ ^ ^

5. تنبيه المؤمنين .. لتكوّن الجنين

قال مؤلفو القرآن:
{فَلْيَنْظُرِ الإنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ • خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ • يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ} 86|5-7
تُجمِع التفاسير على أن الصُلْب هو الظهر، وأن الترائب هي الصدر أو النحر أو الأضلاع.
كلام مؤلف السورة عن «مَاءٍ دَافِقٍ» (المنيّ)، وقال «يَخْرُجُ مِنْ» ولم يقل «أصله من». إذن، المقصود هو المصدر الذي يخرج منه هذا الماء عند دفوقه.

لا علاقة للمني بما بين الظهر والصدر. هو يتكون في الغدد التناسلية، وكلها في وسط الحوض (أسفل البطن). [1]

بعض الإسلاميين، لكي يقلبوا هذا الخطأ إلى إعجاز، زعموا أن المقصود هو نشأة الغدد التناسلية في الجنين. لكن حتى هذه لا علاقة لها بما بين الظهر والصدر. هي تنشأ من البريتونيوم (peritoneum)، الغشاء المَصلي الذي يشكّل بطانة تجويف البطن. [2]
يسبق ظهور الأعضاء الدائمة وجود مجموعة بنى، هي جنينية بحتة، تختفي تمامًا، باستثناء القنوات، قبل نهاية الحياة الجنينية. تتطور الأعضاء التناسلية من الأديم المتوسط (intermediate mesoderm)، [3] وهو من طبقات التبرعم، ينتج منه عدة أعضاء، منها القلب والأعضاء التناسلية والعظام والعضلات. [4]
إذن، هذا الأصل (في الجنين) يُنتج أعضاء مختلفة ثم يختفي، ولا يصح الحديث عنه في هذا السياق وزعم أنه هو المقصود.

وقالوا:
{وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ..} 7|172
هنا أكّدوا اعتقادهم أن ذُرّيّة الرجل في ظهره. وها قد بيّن العِلم أن هذا المعتقد في وادٍ والحقيقة في وادٍ آخر؛ فإضافة إلى الخطأ أعلاه، هنا خطأ ثانٍ؛ إذ أن ما لدى الرجل هو حيوان منوي يمثّل نصف الكروموسومات التي ينشأ على أساسها الجنين (الذُرّيّة)، والنصف الثاني تمثّله البويضة لدى المرأة؛ [1] وهذا يعني أن الذُرّيّة لا تنشأ إلا بعد التلاقح بين النصفين، وأنها لا وجود لها قبل ذلك.

وقالوا:
{وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ • ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ • ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ..} 23|12-14

بحسب هذا النص، وبوجود حرف الفاء و «ثم»، يوجد ترتيب في عملية تكوّن الجنين، هكذا:
نُطْفَة -> عَلَقَة -> مُضْغَة -> عِظَام -> لَحْم

العَلَقَة في القرآن تعني قطعة دم متجلط، وقد أجمع المفسرون العرب على ذلك. ولو كان المقصود بالعَلَقَة «شيء عالق» لما قصّر الرسول في إيضاح ذلك المعنى غير المتداول، ولما ترك الناس يفهمونها بمعناها السائد.
(ابن كثير: .. عَلَقَة حَمْرَاء عَلَى شَكْل الْعَلَقَة مُسْتَطِيلَة. قَالَ عِكْرِمَة: وَهِيَ دَم.)
(الطبري: ثُمَّ صَيَّرْنَا النُّطْفَة الَّتِي جَعَلْنَاهَا فِي قَرَار مَكِين عَلَقَة، وَهِيَ الْقِطْعَة مِنَ الدَّم.)
(القرطبي: وَهُوَ الدَّم الْجَامِد. وَالْعَلَق الدَّم الْعَبِيط، أَيْ: الطَّرِيّ.)

في عصر العلم تبيّن أن أول مرحلة جنينية لا علاقة لها بالدم.

هذا الوصف البدائي لا يليق أن يصدر عن عليم خبير.. مقارنة بما تم اكتشافه من أن التكون يبدأ بحيوان منوي وبويضة حجمهما أدق من رأس الإبرة، فضلاً عن انقسام الخلايا وتمايزها وتطورها. لو أن القرآن وحي، لأمكن أن يُذكر فيه، مثلاً، أننا نُخلق من مثقال ذرة. فما الذي منع الإخبار عن ذلك الشأن الغيبي حينها غير الجهل؟ لم يأت مؤلفو القرآن بشيء غير ما كان مدوّنًا في ذلك الزمان في كتابات الإغريق عن حالات إجهاض نزل منها ما يشبه العلقة، وحالات نزل منها ما يشبه المضغة (قطعة لحم ممضوغة)، وتخمين باقي المراحل بعظام تكسى بلحم. وقد غاب عنهم أهم خطوة.. وهي التلقيح، فاقتصروا على نطفة الذكر ولم يذكروا بويضة الأنثى.

يبيّن علم الأجنة أن المُضْغَة - إن جازت التسمية - لا تحول إلى عظام.. بل إلى جسد جنين كامل.

{قال محمد: إِنَّ خَلْقَ أَحَدِكُمْ يُجْمَعُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَهُ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَهُ، ..} [5]
هذا الحديث صحيح ولا مصلحة لأحد في تزويره. هو يشرح لنا نص القرآن.. بأن نطفة الرجل لا تحول إلى علقة إلا بعد 5 أسابيع. وقد بيّن العلم أن الجنين حينها يبلغ من الحجم والشكل ما لا يصح وصفه بعلقة. ويكمل محمد: أن العلقة لا تحول إلى مضغة إلا في الأسبوع 11، ولا يأتي دور اللحم والعظم إلا بعد 17 أسبوعا أي 4 أشهر. وقد بيّن العلم أنهما يتكونان قبل الأسبوع العاشر. هذا يثبت أن الكلام من شخص جاهل، ولم يكن وحيًا يوحى.

علم الأجنة يبيّن لنا أن اللحم والعظم يتكونان تدريجيًا بشكل متزامن، وأنه لا مجال لادعاء أن اللحم يتلو العظم.

إن العظم لا ينتج مباشرة، وإنما يتكون في الجنين هيكل غضروفي، ثم يتعظّم بالكالسيوم. ويختلف حساب الزمن إذا اعتبرنا الغضروف عظمًا:
• إذا اعتبرنا الغضروف عظمًا.. فإن تكونه متزامن مع تكون اللحم في الأسبوع الخامس. لكن لا يصح تسمية الغضاريف عظامًا وهي لم تتعظّم، فمعروف عن القرآن دقة الألفاظ، وليس كل غضروف يصير عظمًا: «قد يبقى غضروفًا، أو يختفي، أو يصير رباطًا، أو يتكلس فيصير عظمًا.»

• إذا كان يُقصد بالعظم الهيكل بعد أن يتعظّم بالكالسيوم.. فإن اللحم يسبقه في الأسبوع الخامس، والتعظّم لا يبدأ إلا في التاسع.

مراجع عديدة في علم الأجنة تبيّن تكوّن اللحم والغضاريف بشكل متزامن، وأن التعظم يبدأ لاحقًا. يمكن قراءة بعض صفحاتها كالتالي:

الخط الزمني لتكوّن الجنين يظهر فيه تزامن تكوّن الأنسجة وأن تكوّن اللحم يبدأ قبل العظم

Embryology at a Glance – Samuel Webster & Rhiannon de Wreede, 2016 - P.10

«من المهم إدراك أن جميع نظم الأعضاء تتكون بشكل متزامن خلال الفترة الجنينية [الأسابيع بين 3-8]»

Embryology – Ronald W. Dudek & James D. Fix, 2005 - P.22 L.12

«خلال الشهر الثاني [الأسابيع بين 5-8] جهاز عصبي بدائي يجعل العضلات المتكونة حديثًا تنقبض.»

Life-Span Human Development – Carol K. Sigelman & Elizabeth A. Rider - P.98 C.2 L.13

«يبدأ التعظم في الأسبوع الثامن.»

Langman's essential medical embryology – Thomas W. Sadler, Jan Langman - P.33 L.8

«اول خطوة لتمايز العضل الهيكلي تحدث في الأسبوع الخامس.» – P.128 Par.4 L.2

«توجد كل عضلية في الأسبوع الخامس.» – P.137 pic.8-7

«اول غضروف يبدأ بالتكون في الأسبوع الخامس.» – P.100 Par.2 L.3

«يبدأ التعظم في الشهر الثالث [الأسبوع التاسع].» – P.110 Par.2 L.5

Basic Concepts in Embryology – Lauren J. Sweeney

«الغضروف قد يبقى غضروفًا، أو يختفي، أو يصير رباطًا، أو يتكلس فيصير عظمًا» [لذا لا تصح تسميته عظمًا.]

A Manual of Histology, General Anatomy, Embryology & Genetics – B. Marjit - P.4.6 L.10



[1] ويكيبيديا – مني

[2] Wikipedia – Development of the gonads

[3] ويكيبيديا – تطور الجهاز التناسلي

[4] ويكيبيديا – أديم متوسط

[5] صحيح البخاري 7454، صحيح مسلم 2643

^ ^ ^ ^

6. الطين والصلصال .. والنطق والاتصال

الصلصال

{لَقَدْ خلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ} 95|4
{خلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جعَلَ منْهَا زَوْجهَا ..} 39|6
{يا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ ..} 7|27
{إِنَّ مثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدمَ خلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} 3|59
{.. خلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ} 30|20
{.. خلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ..} 6|2
{.. إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ} 37|11
{وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُد لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا} 17|61
{وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ} 23|12
{خلَقَ الْإِنْسَانَ مِن صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ} 55|14
{ولَقَد خلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حمَإٍ مَسْنُونٍ • وَالْجَانَّ خلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ • وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ • فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ} 15|29-26
{إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ • فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ [...] قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ • قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ} 38|71-75

وفقًا للقرآن.. الإنسان خُلق في أحسن تقويم، سوّاه «الله» بيديه من صلصال كالفخار. وذلك الصلصال من تراب، أي من عناصر التراب نفسه، لا من عنصر اختلط به. لكن الحقيقة هي أن العنصر الرئيس في التراب هو السيليكا، بينما العنصر الرئيس في الأحياء هو الكربون.

وقوله «ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا» يعني أن الذكر (آدم) خُلق أولاً ثم أتت الأنثى (حوّاء) بعده.

التطوّر

عملاً بالنصيحة {وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ} 21|51، أبصرنا فرأينا الحقيقة، وهي أن الإنسان من الثدييات، لم يخلقه أحد بيديه. أثبت العِلم أنه يشترك مع جميع الكائنات الحية في أصل واحد، هو كائن وحيد الخلية (نشأ في مكان ما، في لحظة ما، عندما توافقت الظروف والعناصر المناسبة،) وأنه نتاج تطور واصطفاء طبيعي، فيهما الذكر والأنثى على حد سواء، عبْر عدة عصور ومليارات السنين من كائنات حية سابقة أقل تطورًا، على النحو التالي:

خلية بسيطة (كائنات وحيدة الخلية، بكتيريا، قبل 3.5 مليار سنة)

-> خلية معقدة (حقيقيات النوى)

-> ديدان

-> حبليات

-> فقريات بحرية

-> أسماك

-> أسماك تحولت زعانفها إلى أرجل (لغرض صيد حشرات من اليابسة)

-> فقريات رباعية الأطراف ذات رئتين

-> زواحف أولى

-> زواحف شِبه-ثديية

-> ثدييات صغيرة، ذات ذيل، آكلة حشرات، تبيض

-> ثدييات صغيرة تلد

-> فوق-رئيسيات (ذات مخالب، سَلَف مشترك مع القوارض)

-> رئيسيات (ذات أصابع تمسك الأغصان، تعيش في الشجر، آكلة ثمار ونبات)

-> قرَدة صغيرة (سَعادين)

-> قرَدة صغيرة بلا ذيل تتعلق على الشجر

-> قرَدة كبيرة تتعلق على الشجر وتمشي على ساقين

-> شِبه-بشر (كان يمشي على ساقين حصرًا، استعمل أدوات حجرية، أضاف لغذائه اللحم من بقايا فرائس الغير)

-> بشر (صنع أدوات أكثر تعقيدًا، تكونت فيه إمكانية النطق، قبل مليوني سنة إلى ما قبل 300 ألف سنة)

-> البشر الحالي (منذ 300 ألف سنة)

الصورة التالية فيها تصور لمراحل التطور في السلسلة الفرعية الخاصة بالبشر:



Dickinsonia costata from the Ediacaran biota, 635–542 Ma, a possible early member of *Animalia*.



Proporus sp., a xenacoelomorph.



A sea cucumber (*Actinopyga echinites*), displaying its feeding tentacles and tube feet.



Pikaia



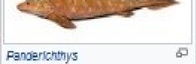
Conodont



Agnatha



A placoderm



Coelacanth caught in 1974



Panderichthys



Tiktaalik



Acanthostega



Ichthyostega



Hylonomus



Phthinosuchus, an early Therapsid



Cynognathus

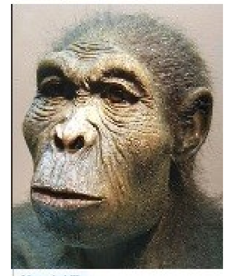
Repenomamus




Sahelanthropus tchadensis

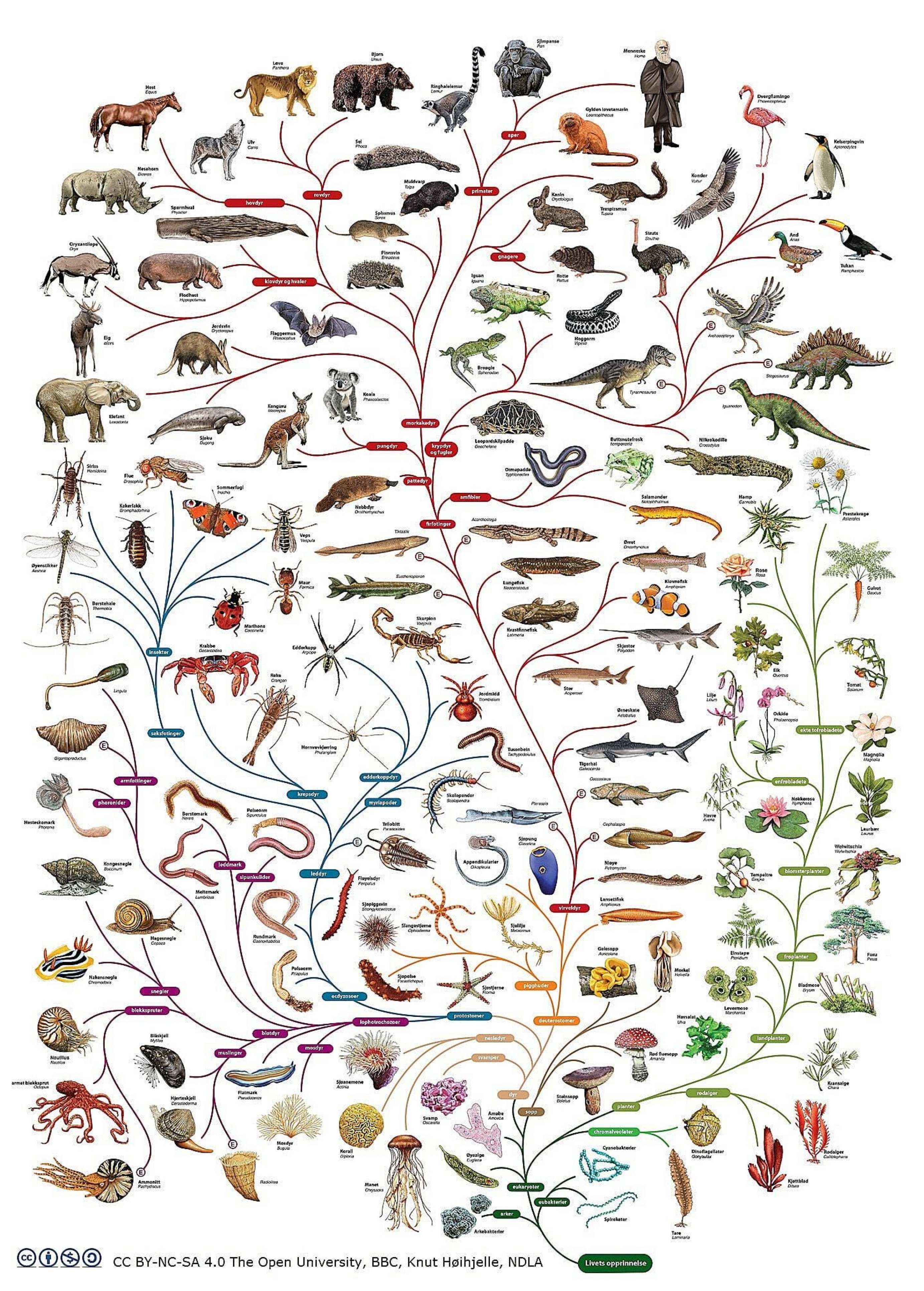

Ardipithecus


Australopithecus afarensis


Homo habilis

[صورة 1]

الرسم التوضيحي التالي يُسمّى شجرة الحياة، يُظهر أنواع الأحياء، وأن لكل كائن حي سلسلة تطور متفرعة من سَلَف مشترك مع كائنات غيره:



[صورة 2]

هذه الحقيقة ثبتت بأدلّة علمية في مجالات الأنثروبولوجيا، علم المستحاثات الإنسانية، البيولوجيا النمائية، المورفولوجيا، التشريح، الجينات والحمض النووي؛ وتأتي اكتشافات ودراسات وأدلة جديدة وتؤكدها من حين لآخر. [1] ويُجمع علماء الأحياء على أن التطور هو من أكثر الحقائق تأكيدًا على نحو موثوق في العلوم. [2]

والاصطفاء الطبيعي هو أن الأحياء التي تتكيف مع البيئة تبقى وتتكاثر، والتي لا تتكيف تهلك وتنقرض. (ليس لها رب يرحمها.)

وعملية التطور عشوائية تخطئ وتصيب. أنواع لا تحصى من الأحياء تنشأ، أكثرها يخطئ فيَهلك وينقرض، والقليل يصيب فيبقى. ومثلها تخصيب البويضة.. ملايين الحيامن في سائل منوي، حيمن واحد منها يصيب البويضة ويخصبها فيتكوّن منها الجنين والملايين الباقية تذهب هدرًا. (لو أنّ للأحياء صانعًا حكيمًا.. هل يكون كل هذا الهدر والهلاك؟)

الطفرات التي تحدث في الجينات عشوائية، والبيئة تحدد احتمالية النجاح التناسلي. التطور هو نتيجة محتومة لعملية النسخ التي تحدث بها أخطاء، ولتكاثر الكائنات الحية ذاتية التناسخ عبر ملايين السنين في ظل ضغوط البيئة الاصطفائية. نتيجة التطور ليست كائنات حية كاملة التصميم، وإنما متكيفة على بيئتها الحالية. الاصطفاء الطبيعي ليس تقدمًا نحو هدف أو غرض نهائي. التطور لا يسعى لإنتاج أشكال حياة أكثر تقدمًا أو ذكاءً أو تعقيدًا . مثلاً: البراغيث (طفيليات بلا أجنحة) تحدّرت من الذبابة العقربية، والأفاعي هي سحالي لم تعد بحاجة إلى أطراف، مع أنَّ أفعى الأصلة ما زالت تنمو لديها بقايا سيقان سلفها الخلفية.
الأحياء ليست إلا نتيجة لاختلافات تنجح أو تفشل، وهذا يعتمد على الظروف البيئية في حينها. [3]

بالإضافة إلى ما سبق، توجد قرائن في جسد الإنسان تشير إلى تطوره من كائن سابق، منها:
• شعر الجسد: أقل كثافة من أن تكون له فائدة، يؤلمنا لو انشدّ، وهو ما تبقّى من شعر كثيف كان على أجساد أسلافنا
• الأظافر: أضعف من أن تكون لها فائدة، تطول فنقصّها، وهي النسخة البشرية من مخالب أسلافنا
• العصعص: هو ما تبقّى من الذيل الذي كان متدلّيًا من ظهور أسلافنا
• تسرّب الدم من جسد المرأة في العادة الشهرية لا يليق بخالق يحب الطهارة
• المشكلة الشائعة.. تشوّه الأسنان بالتزاحم والتداخل بينها، بسبب عدم تناسبها مع حجم الفكين، والاضطرار إلى تقويمها وقلع أضراس العقل جراحيًا. هذا ليس ناتجًا عن مخالفة للدين؛ إنه دليل على أن الأحياء ليسوا مخلوقين من قِبل خالق «أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ» 32|7

القرآن والتطور

في القرآن، عندما قال «الله» لملائكته..

{.. إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ • فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ} 38|71-72

في اللغة.. قول «إني فاعل كذا» يكون للمستقبل (بمعنى «سوف أفعل كذا»). ليس من المنطقي بتاتًا أن يُصدر لهم هذا الأمر ويقول لهم: «سوف أخلق بشرًا من طين (يعني سوف أبدأ مشروع تطوير البشر لمدة ملياري سنة أرضية من خلية في وسط طيني، ثم بكتيريا، ديدان، فقريات، أسماك، زواحف.. وصولاً إلى أشباه بشر..) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ.» المنطقي أن يصدر أمره السامي في الوقت المناسب.. فيقول لهم: «قد خلقت بشرًا (يعني قد أتممت تطوير البشر وها هو في مرحلة شبه بشر..) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ.» أما أن يقول لهم «فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ» قبل كل تلك المراحل وقبل ملياري سنة من موعد السجود.. فهذا غير منطقي ودليل على جهل مؤلفي القرآن.

والوصف في نصوص القرآن (أعلاه).. يتضمن سرعة التنفيذ، وينافي التطور البطيء الذي استغرق أكثر من 3 مليار سنة. والقرآن يخلو تماماً من أي نص يذكر مراحل التطور ولو بالتلميح (مثل نص مراحل تطور الجنين، الذي تم تفنيده في القسم 5؛) وفي المقابل فيه نصوص عديدة عن الإنسان تحديدًا (دونًا عن باقي الأحياء) وأن «الله» خلقه «طينًا»، وأنه خلقه بيديه الاثنتين من طين كالفخار. وفيه أيضًا أن أنواع الدواب والنباتات خُلقت خلقًا، على حدة، أو أُنزلت إنزالاً، ولم تتفرع من سَلَف مشترك:

{.. وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ} 31|10

{وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ ..} 24|45

{أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ} 88|17

{وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا ..} 16|5

{.. وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ ..} 39|6

الاتصال

{وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ..} 2|31

{وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ [..] قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ} 5|27

وفقًا للقرآن.. آدم تعلّم الأسماء والكلام، وعلّم ذلك لأبنائه وبناته، فكانوا يتحاورون. المفترض إذن أن تصير لغتهم هي لغة بني آدم (البشر)، لغة واحدة تنتقل عبر الأجيال.

الواقع هو تعدد اللغات. ولمحاولة تفسيره.. جادت قريحة رجال الدين بخرافة، [4] ووُضعت في سفر التكوين، الذي ثبت بطلانه (في القسمين 7 و24). تقول الأسطورة: {1 وَكَانَتِ الأَرْضُ كُلُّهَا لِسَانًا وَاحِدًا وَلُغَةً وَاحِدَةً. ... 4 وَقَالُوا: «هَلُمَّ نَبْنِ لأَنْفُسِنَا مَدِينَةً وَبُرْجًا رَأْسُهُ بِالسَّمَاءِ. وَنَصْنَعُ لأَنْفُسِنَا اسْمًا لِئَلاَّ نَتَبَدَّدَ عَلَى وَجْهِ كُلِّ الأَرْضِ». 5 فَنَزَلَ الرَّبُّ لِيَنْظُرَ الْمَدِينَةَ وَالْبُرْجَ اللَّذَيْنِ كَانَ بَنُو آدَمَ يَبْنُونَهُمَا. 6 وَقَالَ الرَّبُّ: «هُوَذَا شَعْبٌ وَاحِدٌ وَلِسَانٌ وَاحِدٌ لِجَمِيعِهِمْ، وَهذَا ابْتِدَاؤُهُمْ بِالْعَمَلِ. وَالآنَ لاَ يَمْتَنِعُ عَلَيْهِمْ كُلُّ مَا يَنْوُونَ أَنْ يَعْمَلُوهُ. 7 هَلُمَّ نَنْزِلْ وَنُبَلْبِلْ هُنَاكَ لِسَانَهُمْ حَتَّى لاَ يَسْمَعَ بَعْضُهُمْ لِسَانَ بَعْضٍ».} سفر التكوين 11|1-7

أما القول العلمي فهو أن اللغات المختلفة دليل على أن البشر.. في البداية لم يكونوا ناطقين بلغة كلامية، وإنما كانت لغتهم بالصوت والإشارة، ثم تكوّنت تدريجيًا لديهم مهارة الكلام لاحقًا كمرحلة متقدمة من التطور قبل أكثر من 100 ألف سنة، فبدأت اللغة الكلامية بكلمات بسيطة، وبناءً عليها وبتكاثرهم وتفرّقهم وانتشارهم طوّر كل أناس لغتهم بطريقتهم. وبناءً على ذلك نشأت الثقافات المختلفة. [5]

من طلَب العلم وعليه دأبَ
زاد به طيب نفسه ما اكتأبَ

عَلِم أن حيوانًا كان له أبا

فتواضع ما استكبر ولا أبى



[1] ويكيبيديا العربية والإنغليزية - تسلسل زمني لتطور البشر

[2] ويكيبيديا - تطور

[3] ويكيبيديا - مدخل إلى التطور

[4] تفاسير الطبري والقرطبي والبغوي 2|102، 16|26، الكامل في التاريخ لابن الأثير ج1 ص103

[5] ويكيبيديا - أصل النطق

[صورة 1] مجمّعة من Wikipedia - Timeline of human evolution

[صورة 2] من NDLA

^ ^ ^ ^

7. الكون بلا مكوِّن .. والدِين لم يدوَّن

معضلة الخلق

{.. خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ..} 25|59

{.. خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ [...] وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ • ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ • فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا ..} 41|9-12

بحسب القرآن، خلق الأرض استغرق يومين، وما فيها من رواسي وأقوات 4 أيام؛ أما «السماوات» فأخذت يومين فقط، فالنجوم مجرد «مصابيح» (كما هو مذكور في القسم 2) ولا حاجة لأكثر من يومين!

هل المجموع 6 أيام أم 8 أيام؟ ولماذا يحتاج خلق كوكب الأرض وقتًا أطول من خلق «السماوات».. التي فيها نجوم وكواكب ضمن مجموعات شمسية ضمن مجرّات لا تحصى؟ لا بد أن المؤلفين كانوا يتصورون نِدّيّة وتقاربًا في الحجم بين الأرض و«السماء». لقد ظنوا أن «الله» بدأ الخلق من الأرض.. ثم توجّه إلى «السماء» «وَهِيَ دُخَانٌ» «فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ». لكن الأرض كوكب ضئيل في إحدى المجموعات الشمسية ضمن إحدى المجرات، ليست قاعدة بناها «الله» ثم انطلق إلى «السماء».

النص السابق يقول أن «الله» خلق الأرض أولاً «ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ». ويؤكده النص التالي:

{.. خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ ..} 2|29

معنى «مَا فِي الْأَرْضِ» يُفهم من قوله:

{.. وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ} 31|10

فنجد أنه يشمل الحيوان (كل دابّة) والنبات. إذن «خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا» بما فيه من حيوان ونبات، «ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ». ونص آخر يقول:

{.. السَّمَاءُ بَنَاهَا • رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا • وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا • وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا • أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا} 79|27-31

إذن هو بنى «السماء» «فَسَوَّاهَا»، ثم الأرض «أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا». وبحسب هذه النصوص يكون الترتيب هكذا:

خلق الأرض -> الحيوان -> النبات -> تسوية «السماء» -> إخراج الماء والمرعى.

وهذا يعني أن «الله» ترك الحيوانات يومين، ثم أخرج لها الماء والمرعى. فلماذا أوجدها أولاً، وتركها تعطش وتجوع بينما يُنبت النبات ويعمل على السماوات ثم الماء والمرعى؟ الأَولى أن يُخرج الماء والمرعى أولاً ثم يوجِد الحيوانات.

عمر الكون

عمر الكون في الأديان الإبراهيمية لا يتعدى بضعة آلاف سنة:

القرآن يقول: {.. خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ..} 25|59

والقرآن يعترف بصحة «الكتاب المكدّس» إلا ما حرّف منه:

{وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ ..} 5|48

والتحريف مستبعد في نصوص تسرد قصة الكون:

{وَدعَا اللهُ النُّورَ نَهارًا، وَالظُّلْمَةُ دَعاهَا لَيْلاً. وَكَانَ مَسَاءٌ وَكَانَ صَبَاحٌ يَوْمًا وَاحِدًا. [...] وَرَأَى اللهُ كُلَّ مَا عَمِلَهُ فَإِذَا هُوَ حَسَنٌ جِدًّا. وَكَانَ مَسَاءٌ وَكَانَ صَبَاحٌ يَوْمًا سَادِسًا. • فَأُكْمِلَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ وَكُلُّ جُنْدِهَا. [...] هذِهِ مَبَادِئُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ حِينَ خُلِقَتْ، يَوْمَ عَمِلَ الرَّبُّ الإِلهُ الأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ. • كُلُّ شَجَرِ الْبَرِّيَّةِ لَمْ يَكُنْ بَعْدُ فِي الأَرْضِ، وَكُلُّ عُشْبِ الْبَرِّيَّةِ لَمْ يَنْبُتْ بَعْدُ، لأَنَّ الرَّبَّ الإِلهَ لَمْ يَكُنْ قَدْ أَمْطَرَ عَلَى الأَرْضِ، وَلاَ كَانَ إِنْسَانٌ لِيَعْمَلَ الأَرْضَ. • ثُمَّ كَانَ ضَبَابٌ يَطْلَعُ مِنَ الأَرْضِ وَيَسْقِي كُلَّ وَجْهِ الأَرْضِ. • وَجَبَلَ الرَّبُّ الإِلهُ آدَمَ تُرَابًا مِنَ الأَرْضِ، وَنَفَخَ فِي أَنْفِهِ نَسَمَةَ حَيَاةٍ. فَصَارَ آدَمُ نَفْسًا حَيَّةً • وَغَرَسَ الرَّبُّ الإِلهُ جَنَّةً فِي عَدْنٍ شَرْقًا، وَوَضَعَ هُنَاكَ آدَمَ الَّذِي جَبَلَهُ.} سفر التكوين 1|5-31، 2|1-8

قوله «وَدعَا اللهُ النُّورَ نَهارًا، وَالظُّلْمَةُ دَعاهَا لَيْلاً. وَكَانَ مَسَاءٌ وَكَانَ صَبَاحٌ يَوْمًا وَاحِدًا.» دليل على أن الأيام الستة هي أيام أرضية بنفس طول أيامنا. وقوله «وَلاَ كَانَ إِنْسَانٌ» دليل على أن آدم كان أوّل البشر على الأرض.

والقرآن يقول: {.. خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ..} 2|29

وبما أنه خلقه «لَكُمْ»، أي للبشر، فليس من الحكمة ترك ذلك الخلق ملايين السنين عبثًا. لا بد أنه خلق آدم بعد خلق ما في الأرض فوريًا.

السرد القصصي في الكتاب المكدس متواصل، ولم يلمح إلى شيء يسمح بوضع احتمالية مرور فترة طويلة بين خلق الأرض وخلق آدم.

إذن، عمر الكون في الأديان الإبراهيمية معادل للخط الزمني للبشر، وبحسب السرد التوراتي.. هو 6000 سنة تقريبًا. [1]

لكن البراهين العلمية أثبتت أن عمر الكون مليارات السنين، وأن الأحياء، ومنها البشر، تكونت بتطور بطيء بدأ من كائن وحيد الخلية وامتد لمئات الملايين من السنين.

قوانين الكون

قوانين الكون.. منها بقاء الطاقة وبقاء المادة (أن الطاقة والمادة لا تفنيان ولا تستحدثان من العدم، [2]) وتوازن القوى (لكل قوة فعل قوة رد فعل مساوٍ له في المقدار ومعاكس له في الاتجاه، [3]) والتجاذب والتنافر، والتمدد والتقلص، والانصهار والتجمد. ونظرية الحتمية السببية.. هي أن كل شيء أو حدث هو نتيجة لسبب ما. [4]

هذه القوانين (النواميس) والنظريات والكثير غيرها، هل تؤيد فرضية وجود صانع للكون أم تعارضها؟

أنا لاأدري؛ أي أني أتبنى موقف اللاأدرية، وهنا أطرح وجهتيّ النظر.. الربوبية واللاربوبية.

من يعتقد بوجود صانع.. يرى أن هذا نظام دقيق وتصميم عاقل مرتّب متقن؛ ويستنتج أنه لا بد له من صانع قدير (هو السبب الأول).

أما من وجهة نظر من لا يعتقد بوجود صانع.. فيبدو الأمر مختلفًا:

أولاً: لو أخذنا برأي المؤمنين.. فلنا كذلك أن نتساءل كيف أتى هذا الصانع إلى الوجود؟ هل هو أزلي ليس قبله شيء؟ هذا غير منطقي، ينافي الحتمية السببية وغيرها. بما أن كل شيء هو نتيجة لسبب، ما هو السبب الذي أتى الصانع كنتيجة له؟ ولنا أن نفترض أنه بمواصفاته الممتازة وقدراته العظيمة وما له من سمع وبصر وحواس بها يحيط بالكون علمًا، وجوارح بها يخلق ويبرأ ويصوّر.. لا بد أن له صانعًا أعظم منه!
إذا لم يكن للفرضية الثانية مبرر.. فلا مبرر للأولى. بدلاً من افتراض وجود صانع خارجي.. هو الأول ليس قبله شيء.. من الأَولى أن نفترض أن الكون هو الصانع؛ كوّن نفسه، وهو يتوسّع ويتطوّر ويزداد ذكاء وتعقيدًا بمرور الزمن. أي أنه أزلي وأبدي. (وَمَا قَدَروا الكَونَ حَقَّ قَدْرِه.)

إن التشابه بين بنية الكائن الحي (وغير الحي أيضًا) وبنية الكون، وكأنه نسخة مصغرة منه.. فيه دلالة على أن الكون يطوّر نفسه من خلال الكائنات، وأن الكائن ليس بمخلوق خلقه خالق ما، بل هو جزء من كوكب، والكوكب جزء من الكون، ينبثق الصغير من الكبير كما ينبثق من الشجرة غصن ومن الغصن ورقة أو زهرة أو ثمرة.

ثانيًا: يقول المؤمنون أن لكل حدث محدِث، وأن العلم قد أثبت أن الكون حدثٌ (بالانفجار العظيم) فمن أحدثه؟ لكن ليس بالضرورة أن لكل حدث محدِث عاقل، ونظرية الانفجار العظيم ليست بدليل على وجود صانع. هي نظرية أُسست برعاية الفاتيكان، افترض كثير من الناس بناءً عليها أن للكون بداية. هذا لا يقتضي أن كائنًا ما أحدثها. وحتى لو سلّمنا بأن للكون محدِث، فإننا لا ندري ما صفاته، وهل هو إله يريد أن يُعبد ومستحق لذلك، وهل هو ما زال موجودًا أم لا.

هنالك وجهة نظر ثانية تقول بأن هذه النظرية خاطئة، وأنها بُنيت على تصور خاطئ بأن ابتعاد المجرّات عن مجرتنا دليل توسّع ناتج عن انفجار، بينما الصواب أن سبب تحرّك المجرّات هو أنها -كغيرها- تطوف في مدارات خاصة بها. وبناء على هذا تكون فرضية أزلية الكون وأبديته قائمة ووجيهة.

لو كان للكون خالق سَنّ قوانينه.. فالمفترض أن هذا الخالق.. خارق، متفوق على الطبيعة، قادر على خرق قوانينها. لكننا لم نر أو نسمع عن أي حدث حقيقي خارق للطبيعة. تدل قوانين الكون على أنه ليس له رب يخلق ما فيه ويدبّر أموره. لو كان هذا حقًا.. لَتدخّل هذا الرب في مُجريات الكون، ولأحدث أمرًا جديدًا من حين لآخر، ولكان له تأثير مميّز في أرجائه.

أيّ رب هذا الذي صنع كونًا خاويًا باردًا مظلمًا وتركه هكذا طوال مليارات السنين.. كُتل جرداء تحترق وتخبو وتجول في فضاء بلا فائدة؟
لماذا كل هذا الهدر في المواد الخام؟ ولماذا لم نرَ أو نسمع عن شيء استُحدث من العدم؟ هل مات هذا الصانع دون إكمال مشروعه؟

ثالثًا: كما يبدو، لا وجود لتنظيم إداري أو هندسي؛ لا شقق ولا فلل سكنية في الكون، ولا ما هو أبسط من ذلك، بحيث يدل على وعي وتخطيط وفعل فاعل عاقل. تشكُّل الكون له مدى زمني طويل، وهو حين نشأ لم يكن منتظمًا. انتظم جزئيًا خلال مليارات السنين، وما زالت تعمه العشوائية. إنما هو تجاذبات وطرد مركزي وكُتل متناثرة تحترق وتخمد. لا وجود لمبرر منطقي كافٍ للاعتقاد بأن هذا فعل فاعل عاقل.

الأحياء بتفاصيلها المعقدة، ومنها الإنسان الذي أقام التنظيم الإداري والهندسي، لم يخلقها أحد، وإنما هي نتاج تطور بطيء جدًا على مدى مليارات السنين.

لو كان للكون صانع عاقل.. لوجدنا فيه تنظيمًا وعمرانًا وتفاصيل تفوق ما أنجزه الإنسان في القرون الماضية.
بهذه المقارنة، لو كان هنالك من يستحق التأليه.. فهو الإنسان.. على الأقل في هذا الكوكب.

بناء على ما تقدم.. يمكننا افتراض أن استمرار الكون بالسببية وبقوانين داخلية ثابتة دائمة.. يدل على أنه ذاتي الوجود والتنظيم، بلا أي تأثير خارجي.

كلما تمكن العلم من تفسير المزيد من بنية الكون وظواهره.. قل حيّز فرضية وجود خالق له.

أُقسم بالنجم إذا هوى
أنّ القوم يتّبعون الهوى

كالصحراء بتطرّفها وَ

سوف أقولها على الهوا



[1] عمر الكون - gotquestions.org

[2] ويكيبيديا - حفظ الطاقة (فيزياء)

[3] ويكيبيديا - قوانين نيوتن للحركة

[4] • Merriam-Webster Dictionary – Determinism

• Encyclopedia Britannica – Determinism

^ ^ ^ ^

8. منوّعات

الطير

{أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ ..} 16|79
{أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ ..} 67|19

القرآن: الطائر في الجوّ.. لا يمنعه من السقوط إلا «الله».

العلم: الطائر، والطائرة والمروحية والدرون (طائرة بلا طيّار).. الذي يبقيها معلّقة في الجو هو الهواء وآليّة التحليق. [1]

الأحياء الدقيقة

القرآن: لا يوجد نص في القرآن يذكر الأحياء الدقيقة.. لا بالتصريح ولا بالتلميح.

محمد ذكر الأمراض التي تنتقل بسببها بقوله:
{لَا عَدْوَى. فَقَامَ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ: أَرَأَيْتَ الإِبِلَ، تَكُونُ فِي الرِّمَالِ أَمْثَالَ الظِّبَاءِ، فَيَأْتِيهَا البَعِيرُ الأَجْرَبُ فَتَجْرَبُ؟ قَالَ النَّبِيُّ ..: فَمَنْ أَعْدَى الأَوَّلَ؟} [2]
لقد نفى محمد وجود العدوى نفياً باتّاً، ولم يكن يعلم كيف يمرض المريض الأول.

العلم: البكتيريا، الفطريات، الجراثيم، والفيروسات، هي كائنات عظيمة الوجود والتأثير؛ بعضها يسبب أمراضًا مؤذية عانى منها ملايين الناس، وأمراضًا فتاكة قتلت ملايين الناس؛ وبعضها أساسي للحياة، لا تقوم الحياة إلا بوجوده (في التربة وفي الجهاز الهضمي). فلماذا يا ترى لم يَرد ذكرها في القرآن؟ لو أنها ذُكرت فيه.. لكانت هي «الإعجاز» حقًا.

عقلك في صدرك

لا يوجد نص في القرآن ولا أحاديث محمد يقول أن القلب يضخ الدم.

{.. لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا ..} 7|179
{.. قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ ..} 5|41
{.. يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ..} 48|11
{يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ ..} 9|64
{قُلْ إِنْ تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ ..} 3|29
{.. وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ} 3|154
{بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ..} 29|49
{أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ} 22|46

القرآن: قلب المرء الذي في صدره.. به يفقه ويؤمن ويعقل ويحفظ العلم، وقد يعمى.
العلم: القلب هو مضخّة الدم؛ أما الفقه والاعتقاد والعقل والذاكرة، فهي في الدماغ.

قيام الليل

{قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا • نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا • أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا} 73|2-4
{أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ ..} 39|9
{وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا} 25|64
{إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ [...] كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ • وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ} 51|15-18
{تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ • فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} 32|16-17

القرآن: قيام الليل عمل صالح محمود.

العلم: قيام الليل مخالف لطبيعة البشر.. في أن نور النهار يوقظهم ويعينهم على النشاط وظلام الليل يهدئهم ويعينهم

على النوم، وهو مخالف لصحتهم فيما ثبت علمياً من أن الصحة تتطلب النوم لمدة 7 ساعات يومياً، وأن نقصها ولو ساعة ضار، [3] وأن فائدة النوم في الليل هي أضعاف الفائدة في غيره من الأوقات، ولا تكون الساعات السبع كافية إلا في الليل. [4]

كان غرض مؤسسي الدين من هذا الأمر هو تدريب الرجال على الغزو ليلاً، كما يبيّن القسم 17.

شخصية الرعد

{وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ ..} 13|13

الرعد ملَك جبّار، حين يُسبّح.. نسمع صوته المدوّي.

في القرآن يُعطف العام مع الخاص. أمثلة:
{مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ} 2|98
جبريل وميكال من الملائكة، ومع هذا عُطفا عليهم.
{وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ} 16|5
الدفء من المنافع، ومع هذا عُطف عليها.

(الطبري-2|19: الرَّعْد مَلَك يَزْجُر السَّحاب بِصَوْته [...] مَلَك مُوَكَّل بِالسَّحَابِ، يَسُوقهُ كَمَا يَسُوق الرَّاعِي الْإِبِل، يُسَبِّح كُلَّمَا خَالَفَتْ سَحَابَة سَحَابَة صَاحَ بِهَا، فَإِذَا اشْتَدَّ غَضَبه طَارَتْ النَّار مِنْ فِيهِ فَهِيَ الصَّوَاعِق الَّتِي رَأَيْتُمْ [...] الرَّعْد: اسْم مَلَك، وَصَوْته هَذَا تَسْبِيحه، فَإِذَا اشْتَدَّ زَجْره السَّحَاب اضْطَرَبَ السَّحَاب وَاحْتَكّ فَتَخْرُج الصَّوَاعِق مِنْ بَيْنه [...] مَلَك يَنْعِق بِالْغَيْثِ كَمَا يَنْعِقُ الرَّاعِي بِغَنَمِهِ [...] علي بن أبي طالب قال: الرَّعد الملَك، والبرق ضَرْبه السحابَ بمخراق من حديد.)

{أقبلتْ يهودُ إلى النبيِّ فقالوا يا أبا القاسمِ نسألُك عن أشياءَ إن أجَبْتَنا فيها اتَّبعناك [...] فأخبِرْنا عن الرَّعدِ ما هو قال الرعدُ ملَكٌ من الملائكةِ مُوَكَّلٌ بالسَّحابِ ... في يدِه مِخراقٌ من نارٍ يزجرُ به السحابَ، والصوتُ الذي يُسمعُ منه زَجْرُهُ السَّحابَ إذا زجَرَه حتى ينتهِيَ إلى حيث أمرَه.} [5]

الإزعاج العلمي

ما يروّج على أنه إعجاز (إزعاج علمي).. ليس سوى تفكير رغبوي ومحاولات فاشلة للتلفيق والتوفيق بين العلم والقرآن، تتوفر الردود عليها في مصادر انتقاد الأديان، وما يصح منها يعود الفضل فيه إلى المصدر القديم الذي سُرق منه. ولو بقي ما لم يلق الرد الكافي.. فيمكن اعتباره أحجية تنتظر الحل. في المقابل تظهر الأخطاء بيّنة، مثبتة أن مؤلفه ليس بعليم ولا منزّه عن الخطأ. أمثلة:

{.. السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا [...] وَجعَلْنَا السَّمَاء سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ} 21|32-30

ادعاء أن نص «كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا» فيه «إعجاز» وأنه يعني الانفجار الكوني، ادعاء باطل؛ فالأرض لم تتكوّن إلا بعد الانفجار، والقرآن يقول أن السماء بناء وسقف رُفع، لم ينفجر ولم يتمدد، كما يوضح القسم 2.

(ابن كثير: كَانَتْ السَّمَاء وَالْأَرْض مُلْتَزِقَتَيْنِ، فَلَمَّا رَفَعَ السَّمَاء وَأَبْرَزَ مِنْهَا الْأَرْض كَانَ ذَلِكَ فَتْقهمَا ..)

(الطبري: كَانَتَا مُلْتَصِقَتَيْنِ، فَرَفَعَ السَّمَاء وَوَضَعَ الْأَرْض..)

{وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ} 51|47

«مُوسِعُونَ» لا تعني التوسيع، بل الوِسع، أي: قادرون، كقوله {.. وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ ..} 2|236

نعم في الدين إعجاز

أعجزنا عن الإنجاز

ثقّف نفسك واسمع جاز

اسمع إن حرُم وإن جاز

الجِنّ والقرآن

لا أنفي وجود كائنات عاقلة خفيّة (جانّة) تكوينها من طاقة ذات تردد عالٍ فلا نشعر بها؛ فهنالك دلائل تشير إلى ذلك، منها السحر الأسود مثلاً. وربما يكون من الحقائق هروبها من صوت القرآن، لكن لسبب هو عكس ما يُعتقد: أنها تتظاهر بذلك، لأنها تريد للناس الضلال عن الحقّ باتجاه هذا الدين (بأن يعتقدوا أن هذا إعجاز) وليس لأن القرآن يؤثّر عليها.

كل ذي علم

«أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا»؟ «بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ»؟ «عَلَّامُ الْغُيُوبِ»؟ [6]

هذه نصوص في ذاتها تدل على كذب قائلها، حتى لو كان إلهًا، إذ كيف له أن يجزم بأن ما أحاط به هو كل شيء في الوجود؟ ربما في الوجود أشياء غير ذلك. لا أحد يستطيع وصف نفسه بهذه الصفة المفترضة على أنها حقيقة محسومة، حتى لو كان أعظم إله.

وهو بهذا يناقض قوله «فَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ» 12|76، حيث أنه لم يستثنِ نفسه من هذه القاعدة.

وكذلك مقولة «هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ» 57|3، لا يمكن لكائن مهما كان.. أن يعلم هل كان قبله شيء أم لا وهل سوف يكون بعده شيء أم لا.

كورونا والصابون

في العام 2020، أتى وباء كورونا (كوفيد-19).. ففضح فشل الأديان وعجزها، وعدم جدواها لأهل هذا الزمان.. فانصاع المتدينون لتوجيه العلماء، واستقبلوا اللقاح والدواء، وهجروا المعابد الناشرة للأدواء، ومرت شهور الوباء، لا يفيدهم الدعاء، ولا تنفعهم آلهتهم الصمّاء، هم وغيرهم في الهواء سواء. هذا بالرغم من أنهم يتبعون محمدًا الذي كان ينكر وجود العدوى.

ومن دلائل زيف هذه الأديان.. عجز مؤسسيها عن معرفة أبسط الأشياء، ومنها الصابون، الشيء الذي أجمع البشر، المسلمون وغيرهم، على أنه رفيق الماء الذي يجب حضوره دائمًا للنظافة والطهارة. (وهذا أحد أهم تعليمات الوقاية من الوباء.)

أثبتت الأدلة الأثرية أن الصابون كان موجودًا لدى البابليين سنة 2200 ق.م.، وقدماء المصريين 1500 ق.م.، والرومان 58 ق.م. [7] وبالرغم من أنه مكتشَف قديم، لم يبلغ محمد من العلم والاطلاع ما يكفي ليتعرف عليه، ولم يكن يعرف إلا استخدام التراب. نعم أيها القارئ؛ إن كنت مسلمًا، فأنت تطيع شخصًا كان يزعم تلقي الوحي من العليم، وجعل الطهارة أمرًا أساسيًا في تعاليمه، لكنّه جهِل هذه المادة البسيطة الفعالة للنظافة والطهارة. كان أحد أول أوامر «العليم» المزعوم.. «وثيابك فطهّر» 74|4، لكنّ «العليم» لم يعلَم عن الصابون، وإلا لما قصّر في تعليمه لرسوله وعباده الذين أراد أن يطهّرهم تطهيرا.

انتهاء الصلاحية

الكثير من نصوص القرآن منتهي الصلاحية، فبالإضافة إلى المنسوخ منها، (الملغي بنصوص بديلة، كما يسرد القسم 11،) في المصحف كلام كثير اختص بما كان في زمن محمد، ولا يصلح لغيره. وهذا إن دل، يدل على أنه كتاب خاص بزمان كتابته، وليس عامًّا لغيره من الأزمنة. أمثلة:

- نهي أصحاب محمد عن السؤال عن أشياء سيئة لكي لا تُذكر في القرآن:

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ ..} 5|101

- حكم خاص بمناجاة محمد، والغاء هذا الحكم:

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً [...] أَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ..} 58|12-13

• توجيهات خاصة لحريم محمد:
{يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا} 33|32

• إباحة التمتع بالنساء لمحمد بعدة طرق (مهزلة، لا تليق بمن يوصف بأنه رب للعالمين وكتابه المبين وأشرف المرسلين):
{يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ [...] وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ [...] تُرْجِئُ مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ..} 33|50-51

• مشاكسة شخصية بين محمد وحريمه، حيث استغل القرآن لمواجهة تمرّد اثنتين من حريمه، وتهديدهن بأن يطلّقهن وينكح نساء أحسن منهن:
{وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ • إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ • عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا} 66|3-5

الترهيب بالطبيعة

من أدوات التأثير لدى رجال الدين.. الظواهر الطبيعية والكوارث (التي كانت تحدث على امتداد عمر الكوكب وقبل وجود البشر منذ ملايين السنين) واستغلالها لتخويف الناس وترهيبهم، بإيهامهم بأنها غضب وعقوبة من الإله تصيبهم بسبب عصيانهم. أمثلة:

• الريح (العاصفة)
{أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ} 67|17
{إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ • تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ • فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ} 54|19-21
{فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ • تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ} 46|24-25

• الزلزال والخسف
{فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ} 7|91

{إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا} 99|1

{إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا} 56|4

{أَفَأَمِنتُمْ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ ..} 17|68

{أَأَمِنتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ} 67|16

{أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ} 16|45

• الإعصار

{أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ ..} 2|266

• الفيضان والغرق

{فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ} 34|16

{.. فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ ..} 17|69

{وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ [...] فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ • حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ [...] وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ [...] وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ} 11|38-44

• الصاعقة

{فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ} 51|44

{.. فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ} 4|153

{فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ} 41|13

في عام 1481.. ضربت صاعقة مئذنة المسجد النبوي، فسقطت، واندلعت النيران في سقفه، فعجز الناس عن إطفاءها، حتى أتت على جميع السقف والأبواب وخزائن الكتب والمصاحف، ومات رئيس المؤذنين. سبق أن حدث حريق مماثل قبل ذلك بقرنين. [8]

والشيء بالشيء يُذكر: حوادث الحج عبر السنين مات بها آلاف الحجاج. لم يحفظ «الله» عباده الذين حفظوه وارتحلوا إلى بيته ملبّين ليقضوا مناسكهم ويعودوا إلى أطفالهم. [9]

القرآن يقول {.. وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا ..} 2|125

ويقول {.. مَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ..} 3|97

لكن حوادث حدثت داخل بيت «الله»، مثل القصف بالمنجنيق، وعملية جهيمان، وسقوط الرافعة، أثبتت أن الأمن يعتمد كلّيًا على البشر القائمين عليه.

اجعل لما يقال صمّاما
دع عنك دجّالاً ونمّاما

بشرًا أكل تمرًا وشمّاما

ومثلنا دخل الحمّامَ



[1] Wikipedia – Flight

[2] صحيح البخاري 5717، 5770، 5775، صحيح مسلم 2220

[3] • Van Dongen, Hans, et al. «The cumulative cost of additional wakefulness» 2003

• A Vgontzas, et al. «Adverse effects of modest sleep restriction on sleepiness, performance, and inflammatory cytokines.» 2004

[4] • Lisa Genzel, et al. «Sleep timing is more important than sleep length or quality for medical school performance» 2013

• W Dement & C Vaughan, The vital connection between health, happiness, and a good night's sleep, 1999

[5] صحيح الترمذي 3117، مسند أحمد 2483، سنن النسائي الكبرى 9072

[6] القسم 1 من هذا الكتاب «المعاني وافية .. لا أسرار خافية»

[7] Wikipedia – Soap

[8] وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى للسمهودي ج2 ص175-185

[9] ويكيبيديا – حوادث موسم الحج

^ ^ ^ ^

9. استنتاج .. لمن يحتاج

هل كل ما تم رصده في هذا الفصل هو بسبب سكوت مصدر القرآن عن الحقائق الكونية؟ هل هو لأن المتلقين قد لا يستوعبونها فسكت عنها درءًا للتكذيب؟ ها قد اتضح لنا أنه لم يسكت عن الحقائق الكونية ولم ينأَ بالقرآن عنها؛ بل خاض في وصفها بالتفصيل. الأمثلة المقدمة تكشف أخطاء بيّنة، لا مجرد سكوت أو إخفاء. وهي أمثلة فقط.. على الأخطاء الكثيرة في القرآن، التي خطأ واحد منها يكفي لدحضه، وإثبات بَشَرِيّة مصدره وجهله ودجله، وأنه لم يكن وحيًا يوحى من خارج الكوكب، وأنه كلام بَشَر، وليس كلام شخصية مهيمنة على الكون وتعلم خفاياه.

بناءً على ذلك.. يتبين أن القرآن وما فيه من تصورات ومعتقدات.. ما هو إلا كلام.. صاغه بحرص أشخاص ذوو نبوغ ومهارة، وراجعوه ونقّحوه، بعد الاطلاع على كتب ومخطوطات نادرة من مصادر مختلفة؛ كثير منها من الإغريق واليهود (واليهود المتنصرين الذين كتبوا الإنجيل العبراني)؛ وهُم بدَورهم بنوها على ما أخذوه عن البابليين من خرافات السومريين. [1]

الجاهلية هي اسم أطلقه مؤسسو الإسلام على الفترة التي قبله، نسبة إلى الجاهلين. وها قد مرت القرون، وجاءت ثورة العلم، فكشفت لنا أن القرآن لم يكن إلا نصوصًا ألّفها أشخاص.. جاهلون.. تميزوا بالدهاء، بناءً على ما وجدوه وسرقوه من مؤلفات سابقة فيها الصواب والخطأ، ولا بد أنهم أحرقوها لكي لا يفتضح أمرهم. لقد نهبوا الإرث الثقافي والديني، مثلما نهبوا الثروات المادية.

ها هي العيوب قد بدت في بنية الإسلام، والصدوع يحدثها مِعول العلم في قواعده. من يقدر على فهم ما سبق وفهِمه ولم يقتنع، بل وربما يهاجم معتقدات الغير، ينطبق عليه قول الشافعي: {وعينُ الرِّضا عن كلَّ عيبٍ كليلةٌ، وَلَكِنَّ عَينَ السُّخْطِ تُبْدي المَسَاوِيَا.}

يقال عن أمر ما أنه «واضح وضوح الشمس». لكن مع أن الشمس واضحة للعيان، لم يكن شأنها واضحًا للناس بشكل كامل، إذ كانوا يعتقدون أنها تتنقّل من الشرق إلى الغرب. وهكذا هي نظرة المؤمن للدين، إذ نشأ على اعتقاد أن هذا هو الهدى والحق المبين؛ لكن الاكتشافات العلمية جاءت بما ينقض ذلك، كما بينت الأقسام السابقة.

عجْز البشر عن اكتشاف أن الأرض كوكب.. دليل على أنهم لم يتصلوا بكائنات عاقلة غيرهم، لا ملائكة، ولا جن يسترِقُون السمع في السماء، وإلا لَأخبر أحدُ هؤلاء.. أحدَ الأنبياء أو الكهنة أو السحرة، ليستغل هذا الاكتشاف في إقناع الناس بصدق دعواه.

لو تحرر المسلم من سيطرة هالة الألوهية الوهمية على عقله، لأدرك أن مِعول العلم يعمل بنجاح على هدم بنيان الأديان الإبراهيمية من القواعد، لكي لا يصح إلا الصحيح في النهاية. الحمد للعلم والعلماء.. الذين ما زالوا يقذفون بالحق على باطل الأديان، حتى بات زاهقًا في نفوس كثير من أتباعها، فتركوها؛ والتاركون يتزايدون، والعُقبى للباقين من الأجيال الجديدة.



[1] • Kramer, Samuel Noah, 1972, Sumerian Mythology: A Study of Spiritual and Literary Achievement in the Third Millennium B.C.

• E. A. Wallis Budge, 1921, The Babylonian Legends of Creation

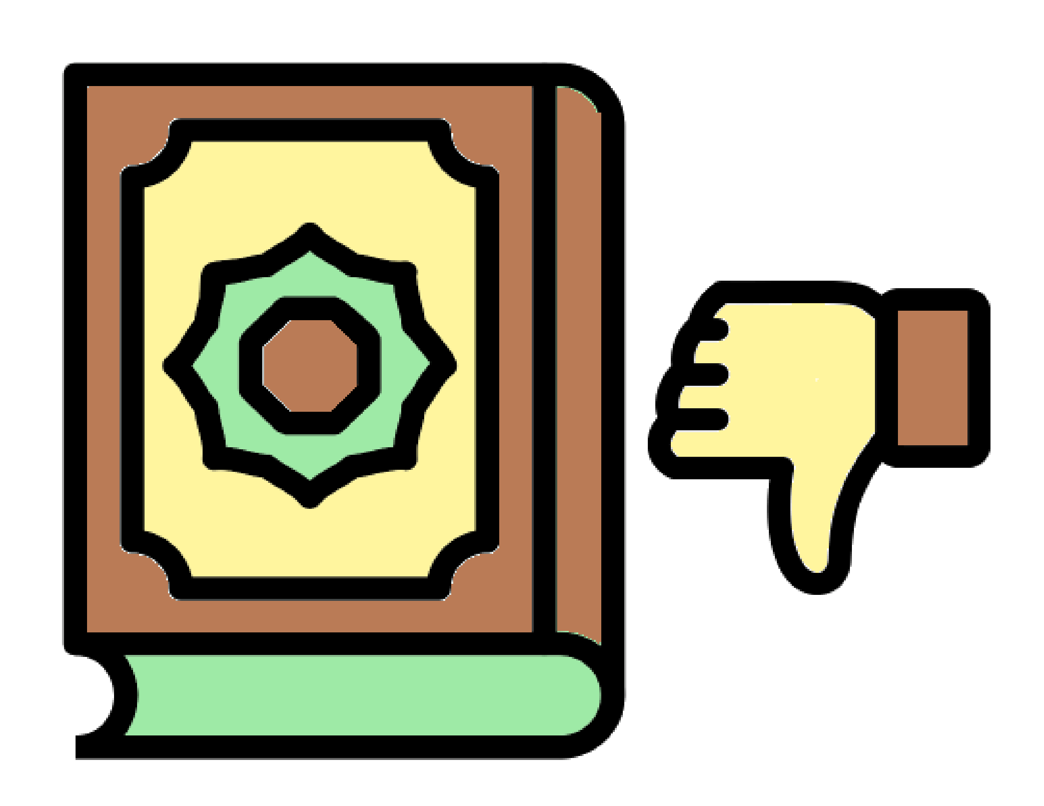
^ ^ ^ ^

الفصل الثاني

يا من يسمّيها شُبُهات .. رأيَك فيها نطلبُ هات

عن المزيد من أخطاء وملحوظات ودلائل على بَشريّة القرآن

تابعوني واسمعوني
أضَعُ ما في ماعوني
وأقدّمُ طعوني
ضد الموروث الملعونِ



^ ^ ^ ^

10. لغة وأسلوب .. ووعي مسلوب

زعم مؤسسو الإسلام أن معجزة محمد هي القرآن، ووصفوه بأنه كتاب.. بالرغم من أنه كان شذرات مبعثرة، بعضها على جلود وعظام وأحجار وجريد نخل، والبعض الآخر ظل شفهياً حتى بعد موت محمد؛ فأنّى يسمّى ذلك كتابًا؟ وحتى بعد أن أصبح مصحفًا فيما بعد.. هو لا يرقى لمواصفات كتاب؛ فهو مختل بالركاكة والعشوائية والتكرار، ليس مرتّبًا ولا منظّمًا، ولا له مقدمة ولا خاتمة ولا مسار ولا بنية ولا هيكل؛ وفيه ادعاء العلم التام، بينما حقيقته جهل ودجل، وتلفيق نصوص مزاجية مسجوعة أطلقها المؤلفون وفقًا للظروف، لتطويع الناس لخدمة أغراضهم، ومع الترتيل والترديد أثّرت في النفوس.

أخطاء لغوية

{قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ..} 39|53

والصواب «قل لعبادي» أو «قل يا عباد الله»، أو «يا عبادي» بدون «قل».

{.. خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} 3|59

والصواب «قال له كن فكان».

{.. وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ ..} 9|62

والصواب «يرضوهما».

{.. وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ ..} 4|162

والصواب «والمقيمون الصلاة».

{عن هشام بن عروة، عن أبيه، أنه سأل عائشة عن قوله «وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ»، وعن قوله «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ» 5|69، وعن قوله «إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ» 20|63. فقالت: يا ابن أختي، هذا عمل الكُتّاب، أخطؤوا في الكتاب.} [1]

قال مؤلفو القرآن أن «اللـه» هو من جعله باللغة العربية:
{إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا ..} 43|3
هذا القول يربط اللغة بالمصدر مباشرةً، ويحرم المدافعين من تبرير أخطائها بأن الوحي أفكار وليس لغة منطوقة.

الأخطاء اللغوية في القرآن عديدة، لكنها قابلة للتملص بحجة مرونة اللغة وتعدد لهجاتها، وأن مجرّد ورود عبارة ما في القرآن «العظيم» كافٍ لاعتبارها صحيحة. ولو سلّمنا جدلاً بهذا الكلام.. فإنه بناءً عليه، يبطل ادعاء الإعجاز اللغوي، إذ كيف نرى الإعجاز إن لم يكن لدينا قواعد محددة نحكم بها عليه؟

وسكوت علماء اللغة عنها مريب، لكنه مبرر بالخوف من الإرهاب.

ركاكة

{.. وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ} 11|19
كلمة «هُمْ» الثانية زائدة. النص مكرر في موضع آخر، بدون هذه الركاكة:
{.. وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ} 7|45

{قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ..} 62|8
كلمة «فإنه» زائدة. الأفضل هكذا:
«قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ مُلَاقِيكُمْ»

{قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ ..} 2|33
كلمة «بأسمائهم» الثانية زائدة. الأفضل هكذا:
«أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ قَالَ ..»

{فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ ..} 12|76
عبارة «قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ» زائدة. نفس المعنى يتم بكلمات أقل:
«فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ»

بيانه

قال «اللـه»: {فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ • ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ} 75|18-19
لكن يبدو أنه فشل في بيانه.. بدليل كم التخبط في التفاسير، وأن الكثير من نصوصه أقوال المفسرين فيها مختلفة متعارضة. بماذا نفسر ذلك؟

لو كان هذا الكتاب معجزة في البلاغة والفصاحة.. لبلغت العرب معاني جميع نصوصه ولأفصحت لهم عن مقاصدها.

لا يأتون بمثله

{قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا} 17|88

هذه حجة واهية من مؤلفي القرآن، والمسلمون يعتبرونها معجزة كبرى. ما هذا القول إلا كمديح التاجر لسلعته: «منتجنا لا مثيل له».

القرآن عمل إبداعي، وكل عمل إبداعي هو عمل فريد. لا يوجد في التاريخ البشري عمل إبداعي يمكن أن يؤتى بمثله. حتى أبسط أغنية شعبية.. لا يستطيع أقدر فنان أن يأتي بمثلها.

أساسًا هو لا يختلف كثيرًا عن الأدب العربي القديم.. نثر أو كلام مسجوع.. مثل سجع الكُهّان:
قبل الإسلام، كان في العرب أشخاص يزعمون أنهم يطّلعون على الغيب ويتنبؤون بالمستقبل بما يوحي إليهم توابعهم من الجن. وكانوا يسمّون كُهّانًا وواحدهم يسمّى كاهنًا. وكان أكثرهم يخدم بيوت أوثانهم، فكانت لهم قداسة دينية، وكان الناس يلجؤون إليهم في كل شؤونهم. [2]

رُوي أنّ عبد المطلب بن هاشم (جد محمد) كان له بئر ماء يسمّى ذا الهَرَم في وجّ (الطائف)، وأنه أتاه يومًا، فوجد قومًا قد استحوذوا عليه. فخاصمهم إلى الكاهن سَلَمة بن أبي حيّة. وكان للكاهن شيطان اسمه عُزّى، فكُنّي بصاحب عُزّى. فانطلقوا إليه، وأرادوا امتحانه، فخبؤوا له رأس جرادة في وعاء من جلد، وعلّقوه في عُنُق كلب لهم. فلما أتوا الكاهن قالوا: «قد خبأنا لك خبئًا، فأنبئنا عنه.» فقال: «هو شيء طار، فاستطار، ذو ذنب جرار، وساق كالمنشار، ورأس كالمسمار.» فقالوا: «بيّنه.» فقال: «إن لا ده فلا ده. [أي، إن لم يكن قولي بيانًا فلا بيان.] هو رأس جرادة، في خربة مزادة، في ثني القلادة.» قالوا:»صدقت، فاحكم.» فقال: «أحلف بالضياء والظُلَم، والبيت والحرم، إن الماء ذا الهرم، للقرشي ذي الكرم.» [3]
ومن الأقوال المنسوبة إلى صاحب عُزّى: «والأرضِ والسماء، والعُقابِ والصّقْعاءِ، واقعةٍ بِبَقعاءَ، لقد نفَّرَ المَجْدُ بني العُشَراءِ، للمجدِ والسناءِ.»
[الصقعاء: الشمس، بقعاء: بِركة ماء. نفّره: حكَمَ لصالحه. بنو العشراء: عشيرة من فزارة. السناء: الرِفعة.] [2]

ورُوي أن ثلاثة أقوام من قضاعة سكنوا قرب حضرموت، هم بنو ناعب وبنو داهن وبنو رئام. ثم تحالف بنو ناعب وبنو داهن ضد بني رئام. وفي يوم من الأيام، اجتمع نحو 70 من بني رئام في عرس لهم، لكن جارية كاهنة اسمها زَبراء أنذرتهم قائلةً:

»واللُوح الخافق، والليلِ الغاسق، والصبح الشارق، والنجمِ الطارق، والمُزْنِ الوادق، إنَّ شجرَ الوادي ليأْدُو خَتْلاً، ويَحرِقُ أنياباً عُصْلاً، وإنَّ صخرَ الطَّوْدِ ليُنْذِرُ ثُكْلاً، لا تجدونَ عنه مَعْلاً.«
[اللُوح: الهواء. الغاسق: المظلم. الطارق: مَن أتى ليلًا، ومنه النجم لطلوعه ليلًا. المُزْن: السحاب. الوادق: الماطر. يَأْدُو خَتْلاً: يكمن خداعًا. يَحرِقُ أنيابًا: يحكّ بعضها ببعض من الغضب. عُصْل: معوجة. الطَّوْد: الجبل. ثُكْل: فقد شخص بموته. مَعْل: منجى.]
كانوا في مرجٍ سكارى؛ فانصرف منهم نحو 40، وبقي نحو 30. فدهمهم جمع من بني ناعب وبني داهن، فقتّلوهم. [2][4]

ورُوي أنّ قومًا من بني تميم في أرض نجد أغاروا على قافلة كانت سائرة من نائب كسرى في اليمن إلى كسرى في فارس، وسلبوها، وقتلوا بعض حرّاسها. فبعث كسرى حَمْلة للانتقام منهم؛ فقتلوا الكثير منهم بالمكر والغدر؛ وبقيت أموالهم وأهلوهم في ديارهم لا مانع لها. بلغ الخبر قومًا من مَذحِج، فطمعوا بتلك الديار وأرادوا اغتنامها. فاجتمعوا بأحلافهم ليسيروا إليها؛ لكن كاهنًا اسمه سَلَمَة بن المغفل حذّرهم قائلًا: «إنكم تسيرون أعقابًا، وتغزون أحبابًا، سعدًا وربابًا، وتَرِدون مياهًا جبابًا، فتلقون عليها ضِرابًا، فتكون غنيمتكم ترابًا.» لكنهم أعرضوا عنه ومضوا؛ فواجهوا قوم سعد وقوم الرباب من بني تميم، وقاتلوهم، فهُزموا ودُحروا، مصداقًا لنبوءة الكاهن. [5][4]

ورُوي أنّ مَلِك سبأ، عمرو بن عامر، كانت له زوجة كاهنة، تسمى طريفة الخير؛ رأت رؤىً وعلامات، فتكهنت بسيل العرم وخراب سد مأرب، وأنذرت زوجها المَلِك، فقالت:
»والنور والظلماء، والأرض والسماء، إن الشجر لهالك، ولَيعودنّ الماء كالزمان السالك.«
قال: «وما ترين؟» قالت: «داهية دهياء، من أمور جسيمة، ومصائب عظيمة» قال: «وما هو؟ ويلك!» قالت: «أجل، إن فيه الويل، وما لك فيه من قَيل، وإن الويل فيما يجيء به السيل.» [4]

ورُوي أنّ حَجَر بن الحارث، أبا امرئ القيس.. كان ملكًا على بني أسد في تهامة، وكان يجبي منهم إتاوة كل عام، حتى أتى عام منعوه فيه إياها؛ فسار برجاله إليهم وأخذ أشرافهم وضربهم بعصا، واستباح أموالهم، ونفاهم إلى سجن خارج أرضهم. فأرسل أحدُهم إليه قصيدة يستعطفه، فعفا عنهم وأَمَر بإرجاعهم. ولمّا اقتربوا من تهامة.. تكهّن كاهنهم، عوف بن ربيعة، فقال لهم:
»مَنِ المَلِكُ الصلهب، الغَلّابُ غير المغلَّب، في الإبل كأنها الرَّبرب؟ هذا دمه يتثعّب، وهو غدًا أوّلُ من يُستلب.«
قالوا: «من هو؟» قال: «لولا تجيُّشُ نفسٍ خاشية، لأخبرتكم أنه حَجَرٌ ضاحية.» فساروا حتى معسكر «حجر»، وهجموا على قبّته وقتلوه وسلبوا ما وجدوه، مصداقًا لنبوءة الكاهن. [6]

ولذلك وُصف محمد بأنه كاهن. وهو كان كذلك على الأرجح. الفرق الوحيد أنه زعم أن مصدره ملَك وليس جنيًّا.

وقد أكدت الأحاديث الصحيحة أن الكُهّان كانوا يقولون الحق ويعلمون الغيب:

{اقتَتَلَتِ امرأتانِ مِن هُذَيلٍ، فرَمَتْ إحداهما الأُخرى بحَجَرٍ، فقتَلَتْها، وما في بَطنِها، [...] فقَضى رسولُ اللهِ ... أنَّ ديةَ جَنينِها غُرَّةٌ، عَبدٌ أو وليدةٌ، وقَضى بديةِ المرأةِ على عاقِلَتِها. فقال حَمَلُ بنُ نابغةَ الهُذَليُّ: «كيف أُغْرَمُ مَن لا شرِبَ ولا أكَلَ، ولا نطَقَ ولا استهَلّ؟ فمِثلُ ذلك يُطَلّ.» فقال النَّبيُّ ..: «إنَّما هو مِن إخوانِ الكُهّانِ، مِن أَجْلِ سجعِه الذي سجَعَ.»} [7]

{سَأَلَ أُناسٌ النبيَّ ... عَنِ الكُهّانِ، فَقالَ: «إنَّهُم لَيْسُوا بشيءٍ.» فَقالوا: «يا رَسولَ اللَّهِ، فإنَّهُمْ يُحَدِّثُونَ بالشَّيْءِ يَكونُ حَقًّا.» فَقالَ النبيُّ ..: «تِلكَ الكَلِمَةُ مِنَ الحَقِّ يَخْطَفُها الجِنِّيُّ، فيُقَرْقِرُها في أُذُنِ ولِيِّهِ ..»} [8]

{أنَّ النبيَّ ... مرَّ بابنِ صيّادٍ، في نفرٍ من أصحابِه، [...] وهو غلامٌ، فلم يشعُرْ حتّى ضرب رسولُ اللهِ .. ظهرَه بيدِه ثمَّ قال: «أتشهَدُ أنّي رسولُ اللهِ؟» فنظر إليه ابنُ صيّادٍ، فقال: «أشهدُ أنَّك رسولُ الأُمّيّين. أتشهدُ أنّي رسولُ اللهِ؟» فقال له النبيُّ ..: «آمنتُ باللهِ ورُسلِه. ما يأتيك؟» قال: «يأتيني صادقٌ وكاذبٌ.» فقال له النَّبيُّ ..: «خُلِط عليك الأمرُ. إنّي قد خبَّأتُ لك خبيئةً.» وخبَّأ له «يَوْمَ تَأْتِي السَّماءُ بِدُخانٍ مُبينٍ». قال ابنُ صيّادٍ: «هو الدُّخُّ.» فقال رسولُ اللهِ ..: «اخسَأْ فلن تعدوَ قدْرَك.» فقال عمرُ: «يا رسولَ اللهِ! ائذَنْ لي فأضرِبَ عنقَه!» فقال رسولُ اللهِ ..: «إن يكُنْ فلن تُسلَّطَ عليه (يعني المسيحَ الدجّالَ)؛ وإلّا يكُنْ فلا خيرَ في قتلِه.»} [9]

هنا يأتي سؤال: هل يليق بوحي من خالق للكون، رب للعالمين، أن يكون مسجوعًا؟ بالطبع لا. السجع والشعر والفنون نشاطات بشرية. والعربية ليست لغة «الله» وملائكته، ولا يليق أن يسجع في لغة إلا الناطقين بها.

في كثير من نصوص القرآن.. اعتمد مؤلفوه على الحشو للحفاظ على القافية، وهذا ما يشي به النص التالي:

{.. وَكانَ ... ابْنُ أَبِي سَرْحٍ يَكْتُبُ لِرَسُولِ اللهِ ... الْوَحْيَ فَرُبَّمَا أَمْلَى عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ... سَمِيعٌ عَلِيمٌ، فَيَكْتُبُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ. فَيَقْرأُ رَسُولُ اللهِ ... فَيَقُولُ « كَذَلِكَ اللهُ» وَيُقِرُّه. ..} [10]

مثال آخر: {سَلامٌ عَلَى إِلْ يَاسِينَ • إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ} 37|130-131

حُرِّف اسم «إلياس» إلى اسم آخر، لا لشيء، إلا لغرض السجع والقافية. وقد حاول المؤلفون ترقيع هذا العيب بأن جزأوا الكلمة جزءين، وحاول المفسرون تبريره بشتى الطرق. كان الأولى جعل الجملتين «آية» واحدة.

الشعراء والأدباء لا يأتون بمثله لأنه ليس له نمط محدد ثابت. هو لم يضع وزنًا شعريًا محددًا وتحدى الشعراء أن ينظُموا مثله. وليس من المستبعد أن بعضهم فعلوا شيئًا ليلبّي هذا التحدي، فتم إتلافه وإزالته، وإجبارهم على التخلي عنه، فلم يصل إلينا.

لكنّه عمل إبداعي متعوب عليه من أشخاص كانت لهم لغة فصحى مميزة وثقافة مرتبطة بزمانهم ومكانهم. ولهذا هو مثل أي عمل إبداعي قوي.. صعب جدًا أن يبدع آخرون عملاً مثله. ومهما كانت قوّته فهي ليست ببرهان على أنه كلام كائن غير بشري أو وحي أوحي من خارج الكوكب. أقصى صفة تؤهله لها قوّته أنه تحفة أدبية. شأنه وقيمته عالية عند العرب، بتأثير السجع والأسلوب اللغوي، وهابطة عند غير العرب بفقدان هذه الخصائص.

تكرار

تكرار النص في كتاب.. هو عيب فيه، ودليل على بشريته. يقول مثل شعبي: «كلام الملوك لا يعاد.» لو كان القرآن من لدن ملكٍ علّام للغيوب.. لَما كرر كلامه في موضعين أو أكثر فيه، ولَعَلِم أن الناس سوف يحفظون كل نص منه ويقتبسونه، وأن لا حاجة للتكرار. هو أريدَ له أن يكون أعظم كتاب يتدارسه الناس ويهتمون بكل جملة وكل كلمة فيه؛ لا يليق به التكرار.

قصص بكاملها تكرر سردها فيه، بدلاً عن سرد قصص مختلفة تثريه. هذا يدل على أنه تم تأليفه وتلفيق نصوصه من قِبل عدة أشخاص في أوقات متفرقة، ولم ينتبهوا لوجود هذا التكرار المُعيب، أو لم يعوا أن وجوده يفضح بشريته، أو ربما أتت بعض النصوص مقلّدة لغيرها، وأضيفت كحشو لتمرير أمر ما، فالتقليد أسهل من ابتداع كلام جديد. أمثلة:

{وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ وَلَوْلاَ كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ} 11|110

{وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ وَلَوْلاَ كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ} 41|45

{.. فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ • فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ • وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ} 7|106-108

{.. فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ • فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ • وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ} 26|31-33

{وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ} 6|10

{وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ} 21|41

تكرار واختلاف

العيب البشري في المثالين التاليين.. ليس في التكرار فحسب، بل أيضًا في الاختلاف. نرى في كل مثال منهما نَصّين يرويان نفس الحدث والحوار والكلام الذي قيل فيه، لكن العبارات فيهما مختلفة. هذا دليل على أن القرآن من عند غير «الله».. بشهادة القرآن نفسه. (من فمه ندينه):

{أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلاَفًا كَثِيرًا} 4|82

ها قد تدبرناه.. فوجدنا فيه اختلافًا كثيرًا.

مثال 1

{إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَآتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ • فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ • يَا مُوسَى إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ • وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ • إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ • وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ} 27|7-12

{.. قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ • فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ • وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ • اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ} 28|29-32

مثال 2

{إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ • فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ • إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ • قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ • قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ • قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ • وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ • قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ • قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ • إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ • قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ • إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ} 38|71-83

{وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ • فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ • فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ • إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ • قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ • قَالَ لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ • قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ

رَجِيمٌ • وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ • قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ • قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ • إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ • قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ • إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ} 15|28-40

وإذا افترضنا جدلاً حدوث القصص، فهذا يقتضي أيضًا أن القرآن ليس من «سميع عليم» كان حاضرًا زمن حدوثها، وأن الرواة (مؤلفي القرآن) نقلوا القصة من مصدرين مختلفين، ولم يدروا ماذا قال المتحاورون، وفشلوا في نقل الكلام بدقة. إذن هي أخطاء مركّبة: تكرار، واختلاف، وفشل في النقل.



من أقوال العرب المأثورة: «إنّ من البيان لسحراً،» و«الكلام الليّن يغلب الحقَّ البيِّن.» إن لمزيج قوة الخطاب الإنشائي وجماليات الأسلوب.. تأثير كبير في تخلف العرب ووعيهم المسلوب. لعل في إدراك هذه العيوب ما يعين على تطوير وعيهم ومعيشتهم.

بعد كل التلقينِ
ذهب عني يقيني
أختاهُ صدقيني
إن شكّي يقيني



[1] تفسير الطبري [2] تاريخ الأدب العربي لشوقي ضيف ج1 ص420

[3] أنساب الأشراف للبلاذري ص74، المنمق للبغدادي ص94، معجم البلدان للحموي ج5 ص403

[4] جمهرة خطب العرب لأحمد زكي صفوت ج1 ص80

[5] الأغاني للأصفهاني ج16 ص487، الكامل في التاريخ لابن الأثير ج1 ص555، أيام العرب في الجاهلية لمحمد أحمد جاد المولى ص2

[6] الكامل في التاريخ لابن الأثير ج1 ص514

[7] صحيح البخاري 5759، صحيح مسلم 1681، صحيح أبي داود 4576، صحيح النسائي 4833، صحيح ابن حبان 6020، مسند أحمد 10916

[8] صحيح البخاري 5762، 6213، 7561، صحيح مسلم 2228، صحيح ابن حبان 6136

[9]صحيح البخاري 1354، 3055، 6173، 6618، صحيح مسلم 2924، 2930، صحيح أبي داود 4329، صحيح الترمذي 2249، صحيح ابن حبان 6783، مسند أحمد 11776

[10] صحيح النسائي 4069، صحيح أبي داود 4080، تفسير الطبري 6|93، الكامل في التاريخ لابن الأثير سنة8، المغازي للواقدي ج2 ص855

11. نسخ وتبديل .. ونقص وتعديل

نفي ثم اعتراف

قال مؤلفو القرآن في البداية:

{إِنَّهُ لَقُرآنٌ كَرِيمٌ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ} 56|77-78

{.. وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ * لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ} 41|41-42

{بَلْ هو قُرآنٌ مَجِيدٌ * فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ} 85|21-22

ونفوا عنه تبديل الكلام:

{وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ ..}18|27

{إِنَّا نَحْنُ نزلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} 15|9

لكن بعض نصوصه سببت ضررًا أو عطلت نفعًا، فغيروا رأيهم فيها، واضطروا إلى التبديل والتعديل والتراجع عن أحكام وضعوها فيه (مثلما يفعل مجلس النواب بالدستور)؛ ولكي يوجدوا لذلك حلاً.. لم يتورعوا عن أن ينسبوه إلى «الله»:

{وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ * قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ} 16|101-102

هل هذا رد مُقنِـع؟ إنه عجز عن الرد.

{مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا ..} 2|106

(الطبري: مَا نَنْقُلْ مِنْ حُكْمِ آيَةٍ إِلَى غَيْرِهِ فَنُبَدِّلْهُ وَنُغَيِّرْهُ، وَذَلِكَ أَنْ يُحَوِّلَ الْحَلَالَ حَرَامًا، وَالْحَرَامَ حَلَالًا وَالْمُبَاحَ مَحْظُورًا، وَالْمَحْظُورَ مُبَاحًا ..)

قالوا «نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا»، إذن، «الآية» المبطَلة كانت أسوأ من البديلة؛ وقد فشل المؤلفون في قول الكلام الأفضل في المرة الأولى. هذا التبديل والتراجع والتخبط لا يصدر عن إله كامل منزّه عن الخطأ. وهكذا.. يمكن اعتبار القرآن في مصحف عثمان.. كتاب نثر بنسخة مُنقّحة محسّنة.

(ابن كثير: مَعْنَى النَّسْخِ الشَّرْعِيِّ مَعْلُومٌ عِنْدَ الْعُلَمَاءِ، وَلَخَّصَ بَعْضُهُمْ أَنَّهُ رَفْعُ الْحُكْمِ بِدَلِيلٍ شَرْعِيٍّ مُتَأَخِّرٍ. [...] قَتَادَة ... قَالَ: كَانَ اللَّهُ تَعَالَى يُنْسِي نَبِيَّهُ مَا يَشَاءُ وَيَنْسَخُ مَا يَشَاءُ. [...] الْحَسَن قَالَ: إِنَّ نَبِيَّكُمْ ... أُقْرِئَ قُرْآنًا ثُمَّ نَسِيَهُ. [...] ابْن عَبَّاسٍ قَالَ: كَانَ مِمَّا يَنْزِلُ عَلَى النَّبِيِّ ... الْوَحْيُ بِاللَّيْلِ وَيَنْسَاهُ بِالنَّهَارِ.)

(القرطبي: هَذِهِ آيَةٌ عُظْمَى فِي الْأَحْكَامِ. وَسَبَبُهَا أَنَّ الْيَهُودَ لَمَّا حَسَدُوا الْمُسْلِمِينَ فِي التَّوَجُّهِ إِلَى الْكَعْبَةِ وَطَعَنُوا فِي الْإِسْلَامِ بِذَلِكَ، وَقَالُوا: إِنَّ مُحَمَّدًا يَأْمُرُ أَصْحَابَهُ بِشَيْءٍ ثُمَّ يَنْهَاهُمْ عَنْهُ، فَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ إِلَّا مِنْ جِهَتِهِ، وَلِهَذَا يُنَاقِضُ بَعْضُهُ بَعْضًا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ «وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ» وَأَنْزَلَ «مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ». مَعْرِفَةُ هَذَا الْبَابِ أَكِيدَةٌ وَفَائِدَتُهُ عَظِيمَةٌ، لَا يَسْتَغْنِي عَنْ مَعْرِفَتِهِ الْعُلَمَاءُ، وَلَا يُنْكِرُهُ إِلَّا الْجَهَلَةُ الْأَغْبِيَاءُ، لِمَا يَتَرَتَّبُ عَلَيْهِ مِنَ النَّوَازِلِ فِي الْأَحْكَامِ، وَمَعْرِفَةِ الْحَلَالِ مِنَ الْحَرَامِ. [...] النَّسْخُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ عَلَى وَجْهَيْنِ: أَحَدُهُمَا: النَّقْل [...] الثَّانِي: الْإِبْطَالُ وَالْإِزَالَةُ [...] وَمِنْ هَذَا الْمَعْنَى قَوْلُهُ تَعَالَى «فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ» أَيْ: يُزِيلُهُ فَلَا يُتْلَى وَلَا يُثْبَتُ فِي الْمُصْحَفِ ..)

أكثر الفقهاء والمفسرين متفقون على أن القرآن قد حصل فيه النسخ (بمعنى إبطال أحكام فيه) والنسيان (بمعنى زوال نصوص منه)؛ [63-76] وقد دوّنوا تفصيل ذلك في كتب عن علوم القرآن، وقام بعضهم بتأليف كتب خاصة به، عددوا فيها عشرات النصوص المنسوخة، منها:

الناسخ والمنسوخ للنحّاس، الناسخ والمنسوخ للمقري، الناسخ والمنسوخ لابن حزم، الناسخ والمنسوخ لابن سلام، نواسخ القرآن لابن الجوزي، الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم لابن العربي.

من فمه ندينه. لقد أقام المؤلفون بأنفسهم دليل إدانتهم.. بوضعهم معيارًا للحكم بأن الكتاب ليس من «الله»، هو وجود اختلافات في نصوصه، بقوله:
{أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا} 4|82

المصطفى .. نسي القرآن

محمد الرسول المصطفى.. أوتي قوة 30 رجلاً في النكاح، (كما هو مذكور في القسم 16، على عهدة رواة الأحاديث الصحيحة؛) لكن ذاكرته لم تكن أقوى من ذاكرة غيره ليحفظ القرآن:
{سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى * إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ..} 87|6-7
(الطبري: فَلَا تَنْسَى إِلَّا أَنْ نَشَاءَ نَحْنُ أَنْ نُنْسِيَكَهُ بِنَسْخِهِ وَرَفْعِهِ.)
{صَلّى رسولُ اللهِ ... فترك آيةً، وفي القومِ أُبَيُّ ابنُ كعبٍ، فقال: يا رسولَ اللهِ نُسِّيتَ آيةَ كذا وكذا، أو نُسِخَتْ؟ قال: نُسِّيتُها.} [1]
{رسول اللهِ ... قرأ في الصَّلاةِ، فتعايا في آية. فقال رجلٌ: يا رسولَ اللهِ، إنَّك تركْتَ آيةً. قال: فهلّا أذكرتنيها؟ قال: ظنَنْتُ أنَّها قد نُسِخت. قال: فإنَّها لم تُنسَخْ.} [2]

ملائكة حصب لجهنم

كان محمد يأتي بنص قرآني، فيرد عليه خصومه بما يُظهر خطأه، فيصحح الخطأ بنص آخر:
{جَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ ... وَفِي الْمَجْلِسِ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ رِجَالِ قُرَيْشٍ، فَتَكَلَّمَ ... فَعَرَضَ لَهُ النَّضْرُ بْنُ الْحَارِثِ، فَكَلَّمَهُ رَسُولُ اللَّهِ حَتَّى أَفْحَمَهُ، ثُمَّ تَلَا ... «إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ ..»21|98 – ثُمَّ قَامَ ... وَأَقْبَلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزِّبَعْرَى [...] فَقَالَ الْوَلِيدُ بْنُ الْمُغِيرَةِ [...] زَعَمَ مُحَمَّدٌ أَنَّا وَمَا نَعْبُدُ [...] حَصَبُ جَهَنَّمَ؛ فَقَالَ [...] بْنُ الزِّبَعْرَى: أَمَا وَاَللَّهِ لَوْ وَجَدْتُهُ لَخَصَمْتُهُ، فَسَلُوا مُحَمَّدًا: أَكُلُّ مَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ فِي جَهَنَّمَ مَعَ مَنْ عَبَدَهُ؟ فَنَحْنُ نَعْبُدُ الْمَلَائِكَةَ، وَالْيَهُودُ تَعْبُدُ عُزَيْرًا، وَالنَّصَارَى تَعْبُدُ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ... فَعَجِبَ الْوَلِيدُ، وَمَنْ كَانَ مَعَهُ [...] وَرَأَوْا أَنَّهُ قَدْ احْتَجَّ وَخَاصَمَ. فَذُكِرَ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ... فَقَالَ ... كُلُّ مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُعْبَدَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَهُوَ مَعَ مَنْ عَبَدَهُ. إنَّهُمْ إنَّمَا يَعْبُدُونَ الشَّيَاطِينَ، وَمَنْ أَمَرَتْهُمْ بِعِبَادَتِهِ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ ... «إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ»} [3]

سجدوا معه

في يوم من الأيام.. سجد المشركون مع محمد؛ فلماذا حدث هذا بالرغم من عداوتهم له؟ الأحاديث عن هذا الأمر مروية من طرق كثيرة، تكاد تكون متواترة، يقوّي بعضها بعضًا؛ يستحيل أن تكون كلها كاذبة. هذا أحدها:

{ابن عباس قال: أَنَّ النبيَّ ... سَجَدَ بالنَّجمِ، وسَجَدَ معهُ المُسلِمُونَ والمُشْرِكُونَ والجِنُّ والإِنْسُ.} [4]
هذا حديث صحيح مؤكد.

تدل الأحاديث الصحيحة على أنه حين كان محمد في أول سنين دعوته، وقد هاجر بعض أتباعه إلى الحبشة، وشقّ عليه نبذ قومه له وإعراضهم عما جاءهم به، تمنّى أن يحصل ما يقارب بينه وبينهم أو أن يجد طريقة لاستمالتهم. يومًا ما، أتاه أحدهم وقال له «إنّما جلساؤُك عبيدُ بني فلانٍ، ومولى بني فلانٍ، فلو ذَكرتَ آلهتَنا بشيءٍ جالسناك، فإنَّه يأتيك أشرفُ العربِ، فإذا رأَوْا جُلَساءَك أشرفَ قومِك كان أرغبَ لهم فيك.» فتأثر محمد بكلامه ورأى فيه ما قد يحقق أمنيته. وبعد أيام، جاء بسورة «النجم»، وكان فيها ما يلبي طلبهم.. ذكر آلهتهم بخير:
{أَفَرَأَيْتُمُ اللاّتَ والْعُزّى * وَمَناةَ الثّالِثَةَ الأُخْرى * تِلكَ الغَرانيقُ العُلى * وَإِنَّ شفاعتَهُنَّ تُرتَجى}
وعندما أتم السورة سجد وسجدوا معه. فذاع خبر ذلك، وبلغ المهاجرين في الحبشة أن قريشًا قد أسلمت، وأن مكة أصبحت آمنة لهم، فرجعوا إليها. ندم محمد على تنازله عن مبدأه في توحيد الإله والخلوص من الشرك، وتراجع عن نصوص القرآن تلك، ورقّعها بنصوص بديلة، واعتذر قائلاً «إنّما ذَلِكَ مِنَ الشَّيْطَانِ». ثم جاء بنصّ قرآني يعفيه ويبرر إلغاء النص المؤيد لشرك المشركين. [5][63][67][68][69][72][74]

تلك الأحاديث تبيّن سبب ومناسبة مجيء النص القرآني التالي، الذي لا تفسير ولا تبرير له غير ذلك:

{وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ [...] لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ * وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ [...] وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ ..}
22|52-55
(الطبري: ذَلِكَ التَّمَنِّي مِنَ النَّبِيِّ ... مَا حَدَّثَتْهُ نَفْسُهُ مِنْ مَحَبَّتِهِ مُقَارَبَةَ قَوْمِهِ فِي ذِكْرِ آلِهَتِهِمْ بِبَعْضِ مَا يُحِبُّونَ. [...] الْآيَاتِ الَّتِي أَخْبَرَ اللَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَنَّهُ يُحْكِمُهَا، لَا شَكَّ أَنَّهَا آيَاتُ تَنْزِيلِهِ؛ فَمَعْلُومٌ أَنَّ الَّذِي أَلْقَى فِيهِ الشَّيْطَانُ هُوَ مَا أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى ذِكْرُهُ أَنَّهُ نَسَخَ ذَلِكَ مِنْهُ ..)
{ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: إِذَا حَدَّثَ أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي حَدِيثِهِ وَوَجَدَ إِلَيْهِ سَبِيلًا، وَمَا مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا تَمَنَّى أَنْ يُؤْمِنَ بِهِ قَوْمُهُ، وَلَمْ يَتَمَنَّ ذَلِكَ نَبِيٌّ إِلَّا أَلْقَى الشَّيْطَانُ عَلَيْهِ مَا يَرْضَى بِهِ قَوْمُهُ ..} [67]

{وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ} 39|45

(الطبري: وَإِذَا ذُكِرَ الْآلِهَةُ الَّتِي يَدْعُونَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَعَ اللَّهِ فَقِيلَ «تِلْكَ الْغَرَانِيقُ الْعُلَى، وَإِنَّ شَفَاعَتَهَا لَتُرْتَجَى،» إِذِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يَسْتَبْشِرُونَ بِذَلِكَ وَيَفْرَحُونَ ..)

قرارات ارتجالية

يأتي الخطأ الأبرز الذي يُثبت التراجع عنه أن مصدر القرآن بشري، في مرحلة اندفاع محمد القرشي وأعوانه إلى التوسع وبسط النفوذ:

{يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ * الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ} 8|65-66

لقد اتخذ قرارًا خاطئًا بأن يدفع أتباعه إلى بذل المزيد من الجهود في القتال، بحيث يقاتل الواحد عشرة لا يحق له الفرار منهم، ثم خفض العدد إلى اثنين. وقع التغيير في النص الذي يليه مباشرة، وهذا يدل على أن المقاتلين ضَجُّوا من الأمر الأول وثقل عليهم بشدة.. فهو يعتبر انتحارًا. نخشي أن يسبب هذا ردتهم وتخليهم عنه وفشل مشروعه، فتراجع عنه. النص يقول «عَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا»، وهذا اعتراف زل به لسان القائل.. يقتضي أنه لم يعلم قبلها، أو أنه تجاهل ضعف القوم وعجزهم عن طاعة الأمر الأول.. بسبب سوء تقديره وعجلته والرغبة الجامحة في إقامة الدولة (بينما الحكمة تقول «إذا أردت أن تطاع فأمُر بما يستطاع»)، وأنه لم يدرك مسبقًا ما سيقع في صدورهم من حرج قد يودي بهم إلى الردة عن دينه.

{ابْنِ عَبَّاسٍ ... قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ «إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ» شَقَّ ذَلِكَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ حِينَ فُرِضَ عَلَيْهِمْ أَنْ لَا يَفِرَّ وَاحِدٌ مِنْ عَشَرَةٍ، فَجَاءَ التَّخْفِيفُ ..} [6]

(ابن كثير: كُتِبَ عَلَيْهِمْ أَنْ لَا يَفِرّ عِشْرُونَ مِنْ مِائَتَيْنِ [...] لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَة ثَقُلَتْ عَلَى الْمُسْلِمِينَ وَأَعْظَمُوا أَنْ يُقَاتِل عِشْرُونَ مِائَتَيْنِ وَمِائَةٌ أَلْفًا فَخَفَّفَ اللَّه عَنْهُمْ فَنَسَخَهَا بِالْآيَةِ الْأُخْرَى ..)

(الطبري: جَعَلَ عَلَى الرَّجُل مِنْهُمْ عَشَرَة مِنَ الْكُفَّار، فَضَجُّوا مِنْ ذَلِكَ، فَجَعَلَ عَلَى الرَّجُل رَجُلَيْنِ تَخْفِيفًا مِنَ اللَّه [...] إِذْ عَلِمَ ضَعْفهم [...] أَنَّ فِي الْوَاحِد مِنْهُمْ عَنْ لِقَاء الْعَشَرَة مِنْ عَدُوّهُمْ ضَعْفًا [...] فَلَمْ يَكُنْ التَّخْفِيف إِلَّا بَعْد التَّثْقِيل ..)

ومن الأمثلة على تراجعه عن بعض قراراته الارتجالية:

{قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ... نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ فَزُورُوهَا وَنَهَيْتُكُمْ عَنْ لُحُومِ الْأَضَاحِيِّ فَوْقَ ثَلَاثٍ فَأَمْسِكُوا مَا بَدَا لَكُمْ وَنَهَيْتُكُمْ عَنِ النَّبِيذِ إِلَّا فِي سِقَاءٍ فَاشْرَبُوا ..} [7]

{.. فَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاس إِنِّي قَدْ كُنْتُ أَذِنْتُ لَكُمْ فِي الِاسْتِمْتَاعِ مِنَ النِّسَاءِ وَإِنَّ اللَّهَ قَدْ حَرَّمَ ذَلِكَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ فَمَنْ كَانَ عِنْدَهُ مِنْهُنَّ شَيْءٌ فَلْيُخَلِّ سَبِيلَهُ ..} [8]

{.. إِنِّي كُنْتُ أَمَرْتُكُمْ أَنْ تُحَرِّقُوا فُلَانًا وَفُلَانًا بِالنَّارِ وَإِنَّ النَّارَ لَا يُعَذِّبُ بِهَا إِلَّا اللَّهُ فَإِنْ أَخَذْتُمُوهُمَا فَاقْتُلُوهُمَا} [9]

كان فريضة

النص {يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ * قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا} 73|1-2
نُسخ بالنص {عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَى ..} 73|20

{ابن عبّاسٍ قالَ في المزَّمِّلِ: «قُمِ اللَّيلَ إلّا قَليلًا نِصْفَه» نسخَتْها الآيَةُ الَّتي فيها «عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ ..»} [10]
{أَنَّ سعدَ بنَ هِشامٍ سأَل عائشَةَ فقال: [...] يا أُمَّ المؤمنينَ أَنبِئيني عن قيامِ رسولِ اللهِ ... قالت: أَلسْتَ تقرأُ ... الْمُزَّمِّل؟ قُلْتُ: بلى. قالت: فإِنَّ اللهَ ... افترَض القيامَ في أوَّلِ هذه السُّورةِ، فقام نبيُّ اللهِ ... وأصحابُه حَولًا، حتّى انتفخَت أقدامُهم، وأمسَك اللهُ خاتمتَها اثنَيْ عشَرَ شهرًا، ثمَّ أنزَل ... التَّخفيفَ في آخرِ هذه السُّورةِ، فصار قيامُ اللَّيلِ تطوُّعًا بعدَ أن كانَ فريضةً.} [11]
{وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا} 76|26
(الطبري: قَالَ ابْنُ زَيْدٍ: كَانَ هَذَا أَوَّلَ شَيْءٍ فَرِيضَةً [...] مُحِيَ هَذَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ... وَعَنِ النَّاسِ، وَجَعَلَهُ نَافِلَةً فَقَالَ {وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ ..} 17|79)

لو كان مصدر القرآن رب عليم بحال الناس الكائن والذي سيكون، لما أمرهم بعبادة لا يطيقونها، ثم بعد معاناتهم عامًا كاملاً يتراجع عن ذلك.

أأشفقتم؟

النص {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ..} 58|12
نُسخ بالنص {أَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ..} 58|13

(القرطبي: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: نَزَلَتْ بِسَبَبِ أَنَّ الْمُسْلِمِينَ كَانُوا يُكْثِرُونَ الْمَسَائِلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ... حَتَّى شَقُّوا عَلَيْهِ، فَأَرَادَ اللَّهُ ... أَنْ يُخَفِّفَ عَنْ نَبِيِّهِ ... فَلَمَّا قَالَ ذَلِكَ كَفَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ. ثُمَّ وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ بِالْآيَةِ الَّتِي بَعْدَهَا)
{علي بن أبي طالب قال: لَمّا نزَلَتْ «.. إذا ناجيْتُم الرَّسُولَ ..» قال لِيَ النَّبيُّ ... ما ترى؟ دِينارٌ؟ قُلتُ: لا يُطيقُونَه. قال: فنِصفُ دِينارٍ؟ قُلتُ: لا يُطيقُونَه. قال: فَكَمْ؟ قُلتُ: شَعيرةٌ. قال: إنَّكَ لَزَهيدٌ. قال: فنزَلَتْ «أَأَشْفَقْتُمْ ..»، فَبِي خَفَّفَ اللهُ عن هذه الأُمَّةِ.} [12]

هذا دليل على أن محمدًا كان يخطئ في اتخاذ القرارات، ولم يكن يوحى إليه من علّام للغيوب يعلم ما في نفوس الناس وكيف سيتفاعلون مع القرارات.

التعذيب على الخواطر

النص {.. وَإِنْ تبدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ ..} 2|284
نُسخ بالنص {لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ..} 2|286

{ابنُ عُمَرَ قال: «وَإِنْ تُبْدُوا ما في أنفسكم ..» ... نَسَخَتْها الآيَةُ الَّتِي بَعْدَها.} [13]
{قال محمد: إنَّ اللَّهَ تَجاوَزَ لِأُمَّتِي ما حَدَّثَتْ به أَنْفُسَها، ما لَمْ يَتَكَلَّمُوا، أَوْ يَعْمَلُوا به.} [14]
{لَمَّا نَزَلَتْ [...] اشْتَدَّ ذلكَ على أَصْحابِ رَسولِ اللهِ ..، فأتَوْا ... ثُمَّ بَرَكُوا على الرُّكَبِ، فقالوا: أيْ رَسولَ اللهِ، كُلِّفْنا مِنَ الأعْمالِ ما نُطِيقُ، الصَّلاةَ والصِّيامَ والْجِهادَ والصَّدَقَةَ، وقدْ أُنْزِلَتْ عَلَيْكَ هذه الآيَةُ ولا نُطِيقُها، قالَ رَسولُ اللهِ ..: [...] قُولوا: سَمِعْنا وأَطَعْنا [...] فأنْزَلَ اللَّهُ في إثْرِها «آمَنَ الرَّسُولُ ..»، فَلَمّا فَعَلُوا ذلكَ نَسَخَها اللَّهُ ..، فأنْزَلَ ... «لا يُكَلِّفُ ..»} [15]

الوصية

النص {كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ} 2|180
نُسخ بالنص {.. وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ ..}4|11

{ابْنِ عَبّاسٍ قالَ: ... فكانَتِ الوصيَّةُ كذلكَ حتّى نسخَتْها آيةُ الميراثِ.} [16]
{ابْنِ عَبّاسٍ قالَ: كانَ المالُ لِلْوَلَدِ، وكانَتِ الوَصِيَّةُ لِلْوالِدَيْنِ، فَنَسَخَ اللَّهُ مِن ذلكَ ما أحَبَّ، فَجَعَلَ لِلذَّكَرِ مِثْلَ حَظِّ الأُنْثَيَيْنِ، وجَعَلَ لِلأَبَوَيْنِ لِكُلِّ واحِدٍ منهما السُّدُسُ ..} [17]

يرث .. لا يرث

النص {وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ ..} 4|33
نُسخ بالنص {.. وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ ..} 8|75

{ابْنِ عَبّاسٍ قالَ: «وَلِكُلٍّ جَعَلْنا مَوالِيَ»، أيْ، ورَثَةً. «والَّذِينَ عَقَدَتْ أيْمانُكُمْ»: كانَ المُهاجِرُونَ لَمّا قَدِمُوا المَدِينَةَ يَرِثُ المُهاجِرِيُّ الأنْصارِيَّ، دُونَ ذَوِي رَحِمِهِ، لِلأُخُوَّةِ الَّتي آخى النبيُّ ... بيْنَهُمْ، فَلَمّا نَزَلَتْ «وَلِكُلٍّ جَعَلْنا مَوالِيَ» نُسِخَتْ [الأُخُوَّةَ] ... إلّا النَّصْرَ والرِّفادَةَ والنَّصِيحَةَ، وقدْ ذَهَبَ المِيراثُ، ويُوصِي له.} [18]
{ابن عبّاسٍ قالَ: «والَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمانُكُمْ ..»: كانَ الرَّجلُ يحالفُ الرَّجلَ ليسَ بينَهُما نسَبٌ، فيرثُ أحدُهُما الآخرَ، فنُسِخَ ذلكَ في الأنفالِ فقالَ تعالى «وَأُولُو الْأَرْحامِ بَعْضُهُمْ أَوْلى بِبَعْضٍ»} [19]

تعديلات الصيام

{يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ * أَيَّامًا مَعْدُودَات فَمَنْ كَانَ مِنكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ} 2|183-184

(القرطبي: «كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ» أَيْ: فِي أَوَّلِ الْإِسْلَامِ، ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ وَيَوْمَ عَاشُورَاءَ، «كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ» وَهُمُ الْيَهُودُ، فِي قَوْلِ ابْنِ عَبَّاسٍ ... ثُمَّ نُسِخَ هَذَا فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ بِشَهْرِ رَمَضَانَ.)

(ابن كثير: رُوِيَ أَنَّ الصِّيَامَ كَانَ أَوَّلًا كَمَا كَانَ عَلَيْهِ الْأُمَمُ قَبْلَنَا مِنْ كُلِّ شَهْرٍ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، عَنْ مُعَاذٍ وَابْنِ مَسْعُودٍ وَابْنِ عَبَّاسٍ وَعَطَاءٍ وَقَتَادَةَ وَالضَّحَّاكِ)

{.. رسول اللهِ ... كان يصوم ثلاثةَ أيامٍ من كل شهرٍ ويصوم يومَ عاشوراءَ، فأنزل الله ... «كتب عليكم الصيام ..» إلى قوله «طعام مسكين»، فمن شاء أن يصومَ صام ومن شاء أن يفطرَ ويطعمَ كلَّ يومٍ مسكينًا أجزأه ذلك، [...] فأنزل اللهُ ... «شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن» إلى «أيام أخر» فثبت الصيامُ على من شهد الشهرَ ..} [20]

{أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ [...] عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ ..} 2|187

هذا دليل على أن محمدًا كان يتخذ القرارات بناء على ما يقرأ ويسمع ويرى من الناس، مثله مثل أي زعيم، ولم يكن يوحى إليه من خالق يعلم من خلق ويعلم الأصلح لهم سلفًا.

(ابن كثير: هَذِهِ رُخْصَةٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى لِلْمُسْلِمِينَ، وَرَفْعٌ لِمَا كَانَ عَلَيْهِ الْأَمْرُ فِي ابْتِدَاءِ الْإِسْلَامِ، فَإِنَّهُ كَانَ إِذَا أَفْطَرَ أَحَدُهُمْ إِنَّمَا يَحِلُّ لَهُ الْأَكْلُ وَالشُّرْبُ وَالْجِمَاعُ إِلَى صَلَاةِ الْعِشَاءِ أَوْ يَنَامُ قَبْلَ ذَلِكَ، فَمَتَى نَامَ أَوْ صَلَّى الْعِشَاءَ حَرُمَ عَلَيْهِ الطَّعَامُ وَالشَّرَابُ وَالْجِمَاعُ إِلَى اللَّيْلَةِ الْقَابِلَةِ. فَوَجَدُوا مِنْ ذَلِكَ مَشَقَّةً كَبِيرَةً.)

(الطبري: ابْنُ أَبِي لَيْلَى قَالَ: كَانُوا يَصُومُونَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ، فَلَمَّا دَخَلَ رَمَضَانُ كَانُوا يَصُومُونَ، فَإِذَا لَمْ يَأْكُلِ الرَّجُلُ عِنْدَ فِطْرِهِ حَتَّى يَنَامَ، لَمْ يَأْكُلْ إِلَى مِثْلِهَا [...] قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ [...] أَنَّ الْمُسْلِمِينَ كَانُوا فِي شَهْرِ رَمَضَانَ إِذَا صَلَّوُا الْعِشَاءَ حَرُمَ عَلَيْهِمُ النِّسَاءُ وَالطَّعَامُ إِلَى مِثْلِهَا مِنَ الْقَابِلَةِ. ثُمَّ إِنَّ نَاسًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَصَابُوا الطَّعَامَ وَالنِّسَاءَ فِي رَمَضَانَ بَعْدَ الْعِشَاءِ مِنْهُمْ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فَشَكَوْا ذَلِكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ... فَأَنْزَلَ اللَّهُ «أُحِلَّ لَكُمْ ..» [...] قَتَادَةَ قَالَ: كَانَ النَّاسُ قَبْلَ هَذِهِ الْآيَةِ إِذَا رَقَدَ أَحَدُهُمْ مِنَ اللَّيْلِ رَقْدَةً، لَمْ يَحِلَّ لَهُ طَعَامٌ وَلَا شَرَابٌ وَلَا أَنْ يَأْتِيَ امْرَأَتَهُ إِلَى اللَّيْلَةِ الْمُقْبِلَةِ، فَوَقَعَ بِذَلِكَ بَعْضُ الْمُسْلِمِينَ، فَمِنْهُمْ مَنْ أَكَلَ بَعْدَ هَجْعَتِهِ أَوْ شَرِبَ، وَمِنْهُمْ مَنْ وَقَعَ عَلَى امْرَأَتِهِ، فَرَخَّصَ اللَّهُ ذَلِكَ لَهُمْ.)

{الْبَراء قال: لَمّا نَزَلَ صَوْمُ رَمَضانَ كانُوا لا يَقْرَبُونَ النِّساءَ رَمَضانَ كُلَّهُ، وكانَ رِجالٌ يَخُونُونَ أَنْفُسَهُمْ. فأَنْزَلَ اللّهُ «عَلِمَ اللّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتانُونَ ..»} [21]

{أَنَّ رسولَ اللّهِ ... لمّا قدمَ المدينةَ أمرَهُم بصيامِ ثلاثةِ أيّامٍ. ثمَّ أُنْزِلَ رمضانُ، وكانوا قومًا لم يتعوَّدوا الصِّيامَ وكانَ الصِّيامُ عليهِم شديدًا، فكانَ من لم يصُم أطعمَ مسكينًا. فنزلت «فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ»، فكانتِ الرُّخصةُ للمريضِ والمسافرِ، فأُمِروا بالصِّيامِ. ... وكانَ الرَّجلُ إذا أفطرَ فنامَ قبلَ أن يأكلَ، لم يأكل حتّى يُصْبِحَ. فجاءَ عمرُ بنُ الخطّابِ فأرادَ امرأتَهُ، فقالت إنّي قد نمتُ، فظنَّ أنّها تعتلُّ، فأتاها. فجاءَ رجلٌ منَ الأنصارِ فأرادَ الطّعامَ، فقالوا حتّى نسخّنَ لكَ شيئًا، فنامَ. فلمّا أصبحوا أُنزِلت ... «أُحِلَّ لَكُمْ».} [22]

{ابن عبّاسٍ قالَ: إنَّ النّاسَ كانوا قبلَ أن يُنزَلَ في الصِّيامِ ما نُزِّلَ يأكُلونَ ويشرَبونَ ويَحِلُّ لهم شأنُ النِّساءِ، فإذا نام أحدُهم لم يَطعَمْ ولم يَشرَبْ ولم يأتِ أهلَهُ حتّى يُفطرَ من القابِلَةِ، وأنَّ عمرَ ... بَعدَما نامَ ووجبَ عليهِ الصِّيامُ وقع على أهلِهِ، ثُمَّ جاءَ إلى النَّبِيِّ ... فقالَ: «أشكو إلى اللّهِ وإليكَ الَّذي أصبت.» قال: «وما الَّذي صنعت؟» قال: «إنّي سوَّلَت لي نفسي فوقَعتُ على أهلي بعدَما نمتُ وأردتُ الصِّيام.» فنزَلَت «أُحِلَّ لَكُمْ».} [23]

{الْبَراء قال: كان أصحابُ محمَّدٍ ... إذا كان أحدُهم صائمًا فحضَرَ الإفطارُ فنام قبْلَ أنْ يُفطِرَ لم يأكُلْ ليلته ولا يومه حتّى يُمسي. وإنَّ قيسَ بنَ صِرمةَ كان صائمًا، فلمّا حضَرَ الإفطارُ أتى امرأتَه فقال: أعندَكِ طعامٌ؟ قالت: لا، ولكنْ أطلُب. فطلَبَت له. وكان يومَه يعمَلُ، فغلَبَتْه عينُه، وجاءتِ امرأتُه فقالت: خيبةً لك. فأصبح، فلمّا انتصف النَّهارُ غُشي. فذُكِرَ للنَّبِيِّ ... فنزَلت «أُحِلَّ لَكُمْ».} [24]

النص {وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ} 2|184
نُسخ بالنص {.. فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ..} 2|185
(الطبري: «وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ ..» مَنْسوخٌ بِقَوْلِ اللّهِ ... «فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ».)
{سلمة بن الأكوع قال: لَمّا نَزَلَتْ «وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ»، كانَ مَن أرادَ منّا أنْ يُفْطِرَ أفطر وافتدى، حتّى نَزَلَتِ الآيَةُ الَّتي بَعْدَها فَنَسَخَتْها.} [25]

تمسكنوا حتى تمكّنوا

نصوص الغزو وتقتيل المعارضين في سورة التوبة (الأخيرة زمنيًا).. نَسخت (أبطلت) جميع نصوص السماحة والمسالمة والتمَسْكُن.

النصوص المنسوخة (المبطَلة) بسبب سورة التوبة يقدّر عددها بالعشرات. [26] أمثلة منها:
{وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ [...] فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} 2|190-192

{وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا ..} 8|61

{ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ} 23|96

{.. وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ} 15|94، 6|106

{لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ..} 2|256

{إِنْ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ} 35|23 {وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ} 50|45

{فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ * لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ} 88|21-22

{.. فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ} 3|20 {مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ ..} 5|99

{قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ ..} 45|14

النصوص الناسخة (المبطلة).. منها:

{فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ} 9|5

{قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ} 9|29

{.. وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً ..} 9|36

{يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ ..} 9|73

{فَإِنْ تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ ..} 4|89

إشراك محمد مع «الله»

في القرآن نصوص يبدو أن محمدًا أُقحم فيها مع «الله»، وذلك على الأرجح لغرض فرض أمور عن طريق أحاديث منسوبة إلى محمد. وفي ذلك إشراك له مع «الله». لا أجد مثل هذا الشرك في «الكتاب المقدس»، إلا مع المسيح (ابن الإله المزعوم):

{وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ} 9|59

{.. وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ ..} 9|74

هذا شرك واضح. التوحيد يقتضي أن يقال «سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ» و«أَغْنَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ». أما هذا الذي في مصحف عثمان.. فهو شرك، بلا شك.

{إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا} 48|8-9

هنا الخطاب لمحمد، لا يصح أن يقال له «لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ». وبعدها ثلاث كلمات للمفرد، منها «تُسَبِّحُوهُ».

وحتى لو كانت الأفعال بالياء كما في بعض القراءات (لِيُؤْمِنوا، وَيُعَزِّرُوهُ وَيُوَقِّرُوهُ وَيُسَبِّحُوهُ)، فكما قال المفسرون: الضَّمائِرُ لِلَّهِ تَعالَى، والْمُرادُ بِتَعْزِيرِهِ تَعْزِيرُ دِينِهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ فَرَّقَ الضَّمائِرَ فَقَدْ أَبْعَدَ.

[27][64][66][69][73]

{يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ ..} 49|1

(الطبري: أَيْ: لَا تُعَجِّلُوا بِقَضاءِ أَمْرٍ فِي حُرُوبِكُمْ أَوْ دِينِكُمْ، قَبْلَ أَنْ يَقْضِيَ اللَّهُ لَكُمْ فِيهِ وَرَسُولُهُ، فَتَقْضُوا بِخِلَافِ أَمْرِ اللَّهِ وَأَمْرِ رَسُولِهِ)

{يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ} 9|62

هنا.. إما أن كلمة «وَرَسُولُهُ» أُقحمت، أو أن كلمة «يُرْضُوهُ» خطأ والصواب «يرضوهما».

{وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ} 24|48

{إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ..} 24|51

«لِيَحْكُمَ» (بدلاً عن «ليحكما») تدل على أن الأصل «وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ».

{يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ..} 8|24

«دَعَاكُمْ» (بدلاً عن «دَعَيَاكُمْ») تدل على أن الأصل «اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ إِذَا دَعَاكُمْ».

{.. وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ ..} 4|13، 48|17

{وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا ..} 4|14

{.. وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا ..} 49|14

{قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ [...] أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا ..} 9|24

{ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ} 59|4

{.. أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ ..} 24|50

{وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ..} 5|104

{وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا} 33|36

إقحام النصارى مع اليهود

رأى أحد الباحثين أن القرآن الأصلي.. أمعن في ذم اليهود، واعتبرهم أعداء، بينما مدح النصارى ولم يذكرهم إلا بخير، وأن كل الذم (في قول أن الله ثالث ثلاثة، وأن الله هو المسيح، والغلو في الدين) كان يخص وفد نجران المسيحي:

{لَتجِدنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ * وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ [...] فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ ..} 5|82-85

أما مصحف عثمان، فجاء فيه ما يناقض ذلك:

{قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ * وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ * اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ ..} 9|29-31

هذه آخر سورة بالترتيب الزمني، وفيها جاء هذا الانقلاب على النصارى، والتعميم الظالم ضدهم، وجمعهم مع اليهود، والخلط بينهم وبين المسيحيين (منحرفي العقيدة).

التفسير المنطقي لذلك.. هو أن الغزوات (للتوسع وأخذ المغانم والجزية وسبي النساء) طالت بلادًا فيها أكثرية من النصارى، وكان لا بد من تبرير غزوهم واستباحة قتالهم والجباية منهم، بالرغم من كونهم مؤمنين موحّدين، فأضيفت نصوص تدعم الغزاة بإرادة إلهية.

ولذلك أُقحمت كلمة «نصارى» في نصوص عن اليهود: [28]

{وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ..} 2|135

والأصل: {وَقَالُوا كُونُوا هُودًا تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا}

لا يصلح أن المؤمنين بالمسيح والكافرين به يعتقدون بأنهم مهتدون جميعًا.

{وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ..} 2|111

والأصل: {وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ}

لا يصلح أن المؤمنين بالمسيح والكافرين به يعتقدون بدخولهم الجنة جميعًا.

{أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ ..} 2|140

والأصل: { كَانُوا هُودًا قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ}

لم يقل أحد أنهم كانوا نصارى، فالنصرانية أتت بعدهم، والحوار هنا مع جماعة يهود وليس مع يهود ونصارى، فهم لم يجتمعوا.

{وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ ..} 5|18
والأصل: {وَقَالَتِ الْيَهُودُ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ}
لم يحكِ القرآن عن النصارى أنهم عُذبوا بذنوبهم؛ حكى ذلك عن اليهود.

{وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى ..} 2|120
والأصل: {وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى}
هم ليسوا ملة واحدة.

المصاحف

الاختلافات بين قراءات أصحاب محمد أو بين مصاحفهم كانت معضلة بئيسة تواجه مؤسسي الدين، تناقض زعمهم «حفظ الله للقرآن». وقد عالجوها في البداية بفكرة «الأحرف السبعة». وبعد فشلها وتفاقم المشكلة، قرروا فرض مصحف واحد على الناس وإتلاف مصاحفهم بالقوة والإرغام.

{قال محمد: أَقْرَأَنِي جِبْرِيلُ على حَرْفٍ، فَرَاجَعْتُه، فَلَمْ أَزَلْ أَسْتَزِيدُهُ فَيَزِيدُنِي حتّى انْتَهى إلى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ.} [29]
{وقال: اقرؤوا القرآنَ على سبعةِ أحرفٍ، فأيَّما قرأتُم أصبتُم، ولا تُماروا فيه، فإنَّ المِراءَ فيه كُفْرٌ.} [30][31]

في زمن محمد، كان عبدالله بن مسعود من كُتّاب القرآن وقرائه. لكنه تميز عنهم بأمرين:
1- مديح محمد لقراءته:
{قال محمد: مَن سَرَّهُ أن يَقرأَ القرآنَ غضًّا كما أُنْزِلَ، فليَقرأْهُ على قراءةِ ابنِ أمِّ عَبْدٍ.} [32]
2- شدة اهتمامه وعنايته بالقرآن، وعمله على جمع نصوصه، حتى أصبح له مصحف يتناسخه الناس.
{قال ابن مسعود: والَّذي لا إلَهَ غَيْرُهُ، ما أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مِن كِتَابِ اللَّهِ إلَّا أنا أعْلَمُ أيْنَ أُنْزِلَتْ، ولا أُنْزِلَتْ آيَةٌ مِن كِتَابِ اللَّهِ إلَّا أنا أعْلَمُ فِيمَ أُنْزِلَتْ، ولو أعْلَمُ أحَدًا أعْلَمَ مِنِّي بكِتَابِ اللَّهِ تُبَلِّغُهُ الإبِلُ لَرَكِبْتُ إلَيْهِ.} [33]

بالرغم من ذلك، همّش الخليفة أبوبكر.. ابن مسعود ومصحفه، ولم يستعن به حين قرر جمع القرآن، مع أنه الأخبر والأكفأ في ذلك.
بعد موت محمد، ومعركة اليمامة ضد المرتدين في عهد أبي بكر، التي قُتل فيها أكثر من 70 من حَفَظة القرآن، كلّف أبوبكر زيدَ بن ثابت بجمع نصوص القرآن، فقام بجمعها من جريد النخل والجلود والعظام (لوح الكتف) والأحجار الرقيقة، ومن ذاكرة الرجال؛ [34] ففُقد بعضها وحُرِّف آخر، وربما زِيد عليها. وكان من أهم العوامل المؤثرة في ذلك.. فَناء كثير من الحَفَظة في المعارك، خاصةً معركة الحَرة في المدينة، التي كانت مقتلة لأكثر من 700 منهم. [35][36][37]

كان الناتج صحفًا ظلت بحوزة أبي بكر حتى موته، ثم انتقلت إلى عمر، ثم إلى ابنته حفصة. ولم تُستنسخ ولم يتداولها الناس حينها، بينما كان مصحف ابن مسعود شائعًا، خصوصًا بين أهل العراق (حيث بعثه الخليفة عمر)، وكذلك مصحف أُبَي بن كعب، وما نقله بعض أصحاب محمد إلى الشام.[38]

رُوي أَنَّ حُذَيْفَةَ بْنَ الْيَمَانِ كَانَ فِي بَعْضِ الْغَزَوَاتِ، وَقَدِ اجْتَمَعَ فِيهَا خَلْقٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ مِمَّنْ يَقْرَأُ عَلَى قِرَاءَةِ الْمِقْدَادِ بْنِ الْأَسْوَدِ وَأَبِي الدَّرْدَاءِ، وجماعةٌ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ مِمَّنْ يَقْرَأُ عَلَى قِرَاءَةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ وَأَبِي مُوسَى، وَجَعَلَ مَنْ لَا يَعْلَمُ بِسُوغَانِ الْقِرَاءَةِ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ يُفَضِّلُ قِرَاءَتَهُ عَلَى قِرَاءَةِ غَيْرِهِ، وَرُبَّمَا خَطَّأَ الْآخَرَ أَوْ كَفَّرَهُ. فَأَدَّى ذَلِكَ إِلَى اخْتِلَافٍ شَدِيدٍ وَانْتِشَارٍ فِي الْكَلَامِ السَّيِّئِ بَيْنَ النَّاسِ. فَرَكِبَ حُذَيْفَةُ إِلَى عُثْمَانَ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَدْرِكْ هَذِهِ الْأُمَّةَ قَبْلَ أَنْ تَخْتَلِفَ فِي كِتَابِهَا كَاخْتِلَافِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى فِي كُتُبِهِمْ. وَذَكَرَ لَهُ مَا شَاهَدَ مِنَ اخْتِلَافِ النَّاسِ فِي الْقِرَاءَةِ. [31][39][40]

وعندما كلّف عثمان زيدًا بفرض مصحفه على الناس وإتلاف ما عداه.. [39] ثار ابن مسعود غضبًا، وقال: «يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ! أُعْزَلُ عَنْ نَسْخِ الْمَصَاحِفِ وَيَتَوَلَّاهُ رَجُلٌ، وَاللَّهِ لَقَدْ أَسْلَمْتُ وَإِنَّهُ لَفِي صُلْبِ رَجُلٍ كَافِرٍ!» وقال: «قرأتُ مِن في رَسولِ اللهِ ... سبعينَ سُورةً، وزيدُ بنُ ثابتٍ له ذؤابةٌ في الكُتّابِ.» [41] فكانت أزمة كبيرة بين ابن مسعود (مقرئ الرسول وأحد أفقه أصحابه وأقربهم إليه) وعثمان (الخليفة). تمسك ابن مسعود بمصحفه، ولمّا سمع بالأمر بإتلاف المصاحف (وهو بالكوفة)، أخفى مصحفه وحث الناس على ذلك قائلاً: «اكتموا المصاحف التي عندكم وغُلّوها، فإن الله قال وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فالقوا الله بالمصاحف. لقد قرأت من فم رسول الله ... سبعين سورة، أفأترك ما أخذت من في رسول الله؟» [40][42]

إن فرض مصحف واحد (وحرف واحد) على الناس.. بدعة محدثة في الدين، مخالفة لصريح قول محمد. وإذا كان بشر غير معصومين قد تجرؤوا أن يتصرفوا بالقرآن بما يخالف توجيه نبيهم «المعصوم» (اقرؤوا القرآنَ على سبعةِ أحرف) وينقضه ويبطله، فمن المرجّح أنهم (أو غيرهم) تجرؤوا بأكثر من ذلك.

رصدت كتب التفسير وصحاح الحديث بعض الاختلافات بين مصحف ابن مسعود ومصحف عثمان، منها أن الأخير أضاف سوَر الفاتحة والفلق والناس، [43] وفقد نصوصًا، واختلف في كثير من الكلمات.

أخطاء ترتيب النصوص

• النص {.. فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ..} 2|144
سبقه النص التالي الذي لا يصلح إلا لاحقًا له:
{سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا ..} 2|142
إذن، ترتيب هذين النصين معكوس في مصحف عثمان. [44]

ومن المرجّح أن هذه النصوص أضيفت إلى القرآن.. بسبب هدم الكعبة في مكانها الأصلي (البتراء) وبنائها في مكة الحجازية، إبّان الحرب بين الأمويين وأتباع ابن الزبير، بعد مقتل الإمام الحسين (كما يبين القسم 15).

• أكثر الفقهاء والمفسرين متفقون على أنَّ النص
{وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} 2|240
منسوخ، نسخه (أبطله) نص يسبقه في المصحف:
{وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ} 2|234
إذن، ترتيب هذين النصين معكوس في مصحف عثمان. [26][44][45][46]

{عبدالله بن الزبير قال: قُلتُ لِعُثمانَ بنِ عَفّانَ «وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُم ويَذَرُونَ أزواجًا» قالَ: قد نَسَخَتْها الآيَةُ الأُخرى، فَلِمَ تَكْتُبُها؟ قالَ: يا ابْنَ أخِي لا أُغَيِّرُ شيئًا منه من مَكانِهِ.} [47]
{أُمّ سَلَمَةَ قالت: جاءَت امْرَأَةٌ إلى رَسولِ اللهِ ..، فقالَتْ: «يا رَسولَ اللهِ، إنَّ ابْنَتِي تُوُفِّيَ عَنْها زَوْجُها، وقَدِ اشْتَكَتْ عَيْنُها، أفَتَكْحُلُها؟» فقالَ رَسولُ اللهِ ..: «لا» مَرَّتَيْنِ، أوْ ثَلاثًا، كُلَّ ذلكَ يقولُ: «لا»، ثُمَّ قالَ: «إنَّما هي أرْبَعَةُ أشْهُرٍ وعَشْرٌ، وقدْ كانَتْ إحْداكُنَّ في الجاهِلِيَّةِ تَرْمِي بالبَعْرَةِ على رَأْسِ الحَوْلِ.» فَقُلْتُ لِزَيْنَبَ: «ما رَأْسُ الحَوْلِ؟» قالَتْ: «كانَتِ المَرْأَةُ في الجاهِلِيَّةِ إذا هَلَكَ زَوْجُها عَمَدَتْ إلى شَرِّ بَيْتٍ لَها فَجَلَسَتْ فِيهِ حَتَّى إذا مَرَّتْ بها سَنَةٌ خَرَجَتْ فَرَمَتْ وراءَها بِبَعْرَةٍ.»} [48]
{ابن عبّاسٍ قال: نَسَخت هذِه الآيةُ عدَّتَها عندَ أَهلِها، فتعتدُّ حيثُ شاءت، وهوَ قولُ اللَّهِ «غَيْرَ إِخْرَاجٍ»} [49]
إذن، قد أخذ مؤلفو القرآن بإحدى عادات ما سمّوه «الجاهلية»، ثم بدّلوها.

تعديل وتبديل وتحريف ونقص وزيادة

من أسطورة سليمان: {.. فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ} 34|14
في قِراءَتَيّ ابِن مَسْعُود وَابْن عَبَّاس: «تَبَيَّنَتْ الْإِنْس أَنْ لَوْ كَانَ الْجِنّ يَعْلَمُونَ الْغَيْب».
[64][66][67][68][69][76]

{وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى * وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى * وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى * إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى} 92|1-4
هذا نص ركيك، فالقَسَم بالليل والنهار متبوع بالقسم بالخالق. هذه نتيجة الترقيع:
{عَلْقَمَة قالَ: لَقِيتُ أبا الدَّرْداءِ فَقالَ لِي: «[...] هلْ تَقْرَأُ علَى قِرَاءَةِ عبدِ اللَّهِ بنِ مَسْعُودٍ؟» قُلتُ: نَعَمْ. قالَ: «فاقْرَأْ 'وَاللَّيْلِ إذَا يَغْشَى'.» فَقَرَأْتُ: «وَاللَّيْلِ إذَا يَغْشَى * وَالنَّهَارِ إذَا تَجَلَّى * وَالذَّكَرِ وَالأُنْثَى». فَضَحِكَ ثُمَّ قالَ: «هَكَذَا سَمِعْتُ رَسولَ اللَّهِ ... يَقْرَؤُهَا.»} [50]

{زرّ بن حبيشٍ قَالَ: لقيتُ أُبَيَّ بنَ كعبٍ فقُلْتُ له: إنَّ ابنَ مسعودٍ كان يحُكُّ المُعوِّذتينِ مِن المصاحفِ ويقولُ: «إنَّهما ليستا مِن القرآنِ، فلا تجعَلوا فيه ما ليس منه.» قال أُبَيٌّ: «قِيل لرسولِ اللهِ ... فقال لنا فنحنُ نقول. كم تعدُّونَ سورةَ الأحزابِ مِن آيةٍ؟» قُلْتُ: ثلاثًا وسبعينَ. قال: «والَّذي يُحلَفُ به إنْ كانت لَتعدِلُ سورةَ البقرةِ، ولقد قرأْنا فيها آيةَ الرَّجمِ ..»} [43]

{خَرَجَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ... عَلَى الْمِنْبَرِ [...] ثُمَّ قَالَ: [...] فَكَانَ مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ آيَةُ الرَّجْمِ فَقَرَأْنَاهَا وَعَقَلْنَاهَا وَوَعَيْنَاهَا [...] فَأَخْشَى إِنْ طَالَ بِالنَّاسِ زَمَانٌ أَنْ يَقُولَ قَائِلٌ وَاللَّهِ مَا نَجِدُ آيَةَ الرَّجْمِ فِي كِتَابِ اللَّهِ فَيَضِلُّوا بِتَرْكِ فَرِيضَةٍ أَنْزَلَهَا اللَّهُ [...] ثُمَّ إِنَّا كُنَّا نَقْرَأُ فِيمَا نَقْرَأُ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ أَنْ لَا تَرْغَبُوا عَنْ آبَائِكُمْ فَإِنَّهُ كُفْرٌ بِكُمْ أَنْ تَرْغَبُوا عَنْ آبَائِكُمْ ..} [51]

{عَائِشَةَ ... قَالَتْ: لَقَدْ أُنْزِلَتْ آيَةُ الرَّجْمِ وَرَضَعَاتُ الْكَبِيرِ عَشْرًا فَكَانَتْ فِي وَرَقَةٍ تَحْتَ سَرِيرٍ فِي بَيْتِي فَلَمَّا اشْتَكَى رَسُولُ اللَّهِ ... تَشَاغَلْنَا بِأَمْرِهِ وَدَخَلَتْ دُوَيْبَةٌ لَنَا فَأَكَلَتْهَا} [52]
{عَائِشَةَ ... قَالَتْ: كَانَ فِيمَا أُنْزِلَ مِنَ الْقُرْآنِ «عَشْرُ رَضَعَاتٍ مَعْلُومَاتٍ يُحَرِّمْنَ» ثُمَّ نُسِخْنَ بِخَمْسٍ مَعْلُومَاتٍ، فَتُوُفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ ... وَهُنَّ فِيمَا يُقْرَأُ مِنَ الْقُرْآنِ} [53]
ليس في المصحف شيء عن هذه الرضعات، لا العشر ولا الخمس.

{وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ} 103|1-2
كَانَ عَلِيٌّ ... يَقْرَأُ ذَلِكَ «إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * وَإِنَّهُ فِيهِ إِلَى آخِرِ الدَّهْرِ». [63][64][68]

{قَالَ عُمَرُ بنُ الخطّابِ لعبدِ الرَّحمنِ بنِ عوفٍ ..: أَلَمْ نَجِدْ فيما أنزَلَ اللهُ علينا أنْ «جاهِدوا كما جاهَدتُم أوَّلَ مرَّةٍ»؟ فإنّا لا نَجِدُها. فقال: «أُسقِطَتْ فيما أُسقِطَ مِنَ القُرآنِ» ..} [54]

{وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ..} 2|196
{عَنْ إِبْرَاهِيمَ عَنْ عَلْقَمَةَ [...] قَالَ: هِيَ فِي قِرَاءَةِ عَبْدِ اللَّهِ «وَأَقِيمُوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ إِلَى الْبَيْتِ»، لَا تُجَاوِزْ بِالْعُمْرَةِ الْبَيْتَ. قَالَ إِبْرَاهِيمُ: فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِسَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ فَقَالَ: كَذَلِكَ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ.} [55][63][64][65]

{وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا ..} 5|38
فِي قِرَاءَةِ ابْنِ مَسْعُودٍ «وَالسَّارِقُونَ وَالسَّارِقَاتُ فَاقْطَعُوا أَيْمَانَهُمْ». [56][63][64][66][67][69][70][72]

{وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً ..} 8|25
قال ابن العربي: لَا تَظُنُّوا أَنَّ إِشْكَالَ هَذِهِ الْآيَةِ حَدَثَ بَيْنَ الْمُتَأَخِّرِينَ؛ بَلْ هُوَ أَمْرٌ سَالِفٌ عِنْدَ الْمُتَقَدِّمِينَ. وَلِذَلِكَ قَرَأَهَا قَوْمٌ «وَاتَّقُوا فِتْنَةً أَنْ تُصِيبَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً»، وَقَرَأَهَا آخَرُونَ «وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَتُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً». وَهَكَذَا يُرْوَى فِيهَا عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ. [57][75]

﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ..﴾ 2|148
قرأَ عبدُ اللهِ «وَلِكُلٍّ جَعلنَا قِبلَةً». [71] جريرٌ قالَ: قلتُ لِمَنصورٍ: «وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا» قالَ: نَحْنُ نَقْرَأُهَا «وَلِكُلٍّ جَعلنَا قِبلَةً يرْضَوْنَهَا». [63][71]

﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ ..﴾ 2|236
قرأَ حمزَةُ وَالكِسَائِيّ «تُمَاسُّوهُنَّ»، وَالأَعْمَشُ «مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ»، وَعَبْدُ اللهِ «مِنْ قَبْلِ أَنْ تُجَامِعُوهُنَّ». [74][71]

﴿.. وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ ..﴾ 16|12
قرَأَ ابْنُ مَسْعُودٍ وَالْأَعْمَشُ وابْنُ مصرِفٍ «وَالرِّيَاحُ مُسَخَّرَاتٌ» فِي مَوْضِعِ «وَالنُّجُومِ». [66][73]

﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ ..﴾ 2|198
ابْنِ عَبَّاسٍ ... قَالَ: كَانَتْ عُكَاظُ وَمَجَنَّةُ وَذُو الْمَجَازِ أَسْوَاقًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَلَمَّا كَانَ الْإِسْلَامُ فَكَأَنَّهُم تَأَثَّمُوا فِيهِ فَنَزَلَتْ «لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ فِي مَوَاسِمِ الْحَجِّ» قَرَأَهَا ابْنُ عَبَّاسٍ. [58][64]

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ 112|1-2
قال محمد لأصْحابِهِ: ﴿اللَّهُ الواحِدُ الصَّمَدُ، ثُلُثُ القُرآنِ.﴾ [59][64][65]

﴿.. كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ 40|35
رُوِيَ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ أَنَّهُ كَانَ يَقْرَأُ ذَلِكَ « كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قَلْبِ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ» [...] عَنْ هَارُونَ أَنَّهُ كَذَلِكَ فِي حَرْفِ ابْنِ مَسْعُودٍ. [63][66][67][72]

﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ..﴾ 23|14
فِي قِرَاءَةِ ابْنِ مَسْعُودٍ: «ثُمَّ جَعَلْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا وَعَصَبًا فَكَسَوْنَاهُ لَحْمًا». [63][66]

﴿.. فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ 10|24
فِي مُصْحَفِ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ « كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ وَمَا كُنَّا لِنُهْلِكَهَا إِلَّا بِذُنُوبِ أَهْلِهَا كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ»، رَوَاهَا عَنْهُ ابْنُ عَبَّاسٍ. [63][66][73]

﴿وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ ..﴾ 4|81
قَرَأَ ابْنُ مَسْعُودٍ: «بَيَّتَ مُبَيِّتٌ مِنْهُمْ يَا مُحَمَّدُ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ». [66][73]

﴿وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ * وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ ..﴾ 98|4-5
﴿أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ...: «إِنَّ اللَّهَ ... أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ.» ... فَقَرَأَ عَلَيَّ «.. وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ

أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَةُ * إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الْحَنِيفِيَّةُ غَيْرُ الْمُشْرِكَةِ وَلَا الْيَهُودِيَّةِ وَلَا النَّصْرَانِيَّةِ * وَمَنْ يَفْعَلْ خَيْرًا فَلَنْ يُكْفَرَهُ». } [60]

{.. قَالَ قَتَادَةُ: وَحَدَّثَنَا أَنَسُ أَنَّهُمْ قَرَءُوا بِهِمْ قُرْآنًا «أَلَا بَلِّغُوا عَنَّا قَوْمَنَا بِأَنَّا قَدْ لَقِينَا رَبَّنَا فَرَضِيَ عَنَّا وَأَرْضَانَا»، ثُمَّ رُفِعَ ذَلِكَ بَعْدُ. } [61]

{بعث أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ إِلَى قُرَّاءِ أَهْلِ الْبَصْرَةِ. فَدَخَلَ عَلَيْهِ 300 رَجُلٍ قَدْ قَرَءُوا الْقُرْآنَ. فَقَالَ: [...] كُنَّا نَقْرَأُ سُورَةً كُنَّا نُشَبِّهُهَا فِي الطُّولِ وَالشِّدَّةِ بِبَرَاءَةَ، فَأُنْسِيتُهَا، غَيْرَ أَنِّي قَدْ حَفِظْتُ مِنْهَا «لَوْ كَانَ لِابْنِ آدَمَ وَادِيَانِ مِنْ مَالٍ لَابْتَغَى وَادِيًا ثَالِثًا وَلَا يَمْلَأُ جَوْفَ ابْنِ آدَمَ إِلَّا التُّرَابُ». وَكُنَّا نَقْرَأُ سُورَةً كُنَّا نُشَبِّهُهَا بِإِحْدَى الْمُسَبِّحَاتِ، فَأُنْسِيتُهَا، غَيْرَ أَنِّي حَفِظْتُ مِنْهَا «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ فَتُكْتَبُ شَهَادَةً فِي أَعْنَاقِكُمْ فَتُسْأَلُونَ عَنْهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ». } [62]

نصوص القرآن (أعلاه) والروايات المتواترة من طرق عديدة.. لا تدع مجالاً للتشكيك والتكذيب بحصول النسخ (إبطال أحكام) والنسيان (زوال نصوص) في القرآن. هل هذا المصحف الذي جاء نتيجة كل ذلك التبديل والإبطال والبعثرة والجمع.. كان أصلاً في لوح محفوظ أو كتاب مكنون؟ بل هذا برهان قاطع على أن مصدره بشر، وليس وحياً من إله كامل العلم والقدرة قد تعهّد بحفظ كلامه.

خوفًا وطمعًا أقمنا دينا

وإلهًا ندعوه لا يهدينا

إنما أمرنا بأيدينا

اسمعوا أقوال الملحدينَ



[^][1] صحيح، سنن النسائي 8240، مسند أحمد 15365، صحيح ابن خزيمة 1647، السلسلة الصحيحة للألباني 6/159

[^][2] صحيح ابن حبان 2241، سنن أبي داود 907، صحيح ابن خزيمة 1648

[^][3] السيرة النبوية لابن هشام ص358

[^][4] صحيح البخاري 1071، 4862، صحيح ابن حبان 2763، سنن الترمذي 575

[^][5] صحيح، نصب المجانيق للألباني 20، 23، المواهب اللدنية للقسطلاني 147/1

[^][6] صحيح البخاري 4376، 4653، سنن أبي داود 2646

[^][7] صحيح مسلم 977

[^][8] صحيح مسلم 1406

[^][9] صحيح البخاري 2954، صحيح ابن حبان 5611، سنن الدارمي 2461

[^][10] صحيح أبي داود 1304
[^][11] صحيح مسلم 746، مسند أحمد 24269، صحيح ابن حبان 2551، سنن أبي داود 1342، سنن النسائي 1600
[^][12] صحيح ابن حبان 6942، سنن الترمذي 3300
[^][13] صحيح البخاري 4545، 4546
[^][14] صحيح البخاري 6664، صحيح مسلم 127، صحيح ابن حبان 4334، صحيح النسائي 3434، صحيح ابن ماجه 1672، صحيح أبي داود 2209
[^][15] صحيح مسلم 125، صحيح ابن حبان 5069، صحيح الترمذي 2992، مسند أحمد 3061
[^][16] صحيح أبي داود 2869
[^][17] صحيح البخاري 2747
[^][18] صحيح البخاري 2292، 4580، صحيح أبي داود 2922
[^][19] صحيح أبي داود 2921
[^][20] صحيح أبي داود 507
[^][21] صحيح البخاري 4508
[^][22] صحيح أبي داود 506
[^][23] صحيح، عمدة التفسير لابن كثير 1/219، موافقة الخبر الخبر لابن حجر 2/311، العجاب في بيان الأسباب لابن حجر 1/437
[^][24] صحيح البخاري 1915، صحيح ابن حبان 3460، صحيح أبي داود 2314، صحيح الترمذي 2968، مسند أحمد 18611، سنن النسائي 21688
[^][25] صحيح البخاري 4507، صحيح مسلم 1145، صحيح الترمذي 798، صحيح النسائي 2315، صحيح ابن حبان 3478، صحيح أبي داود 2315
[^][^][26] الناسخ والمنسوخ للمقري
[^][27] الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ج1 ص563
[^][28] قس ونبي لأبي موسى الحريري - نجاح وفشل
[^][29] صحيح البخاري 3219، 4991، صحيح مسلم 819، مسند أحمد 2371
[^][30] صحيح الجامع للألباني 1163، مسند أحمد 17853، شُعب الإيمان للبيهقي 2266
[^][^][31] تفسير الطبري - القول في اللغة التي نزل بها القرآن
[^][32] صحيح، مسند أحمد 36، صحيح ابن ماجه 114، صحيح ابن حبان 7066، صحيح الجامع 5961
[^][33] صحيح البخاري 5002، صحيح مسلم 2463
[^][34] ويكيبيديا - جمع القرآن
[^][35] تاريخ الطبري - سنة 63
[^][36] البداية والنهاية لابن كثير - سنة 63، 11
[^][37] الكامل في التاريخ لابن الأثير - سنة 63
[^][38] ويكيبيديا - مصحف عثمان
[^][39] صحيح البخاري 4987
[^][40] البداية والنهاية لابن كثير - سنة 35، مقالة محمود خليل «مصحف ابن مسعود فى مواجهة قرآن عثمان» - صحيفة الدستور
[^][41] صحيح، مسند أحمد 3689
[^][42] تفسير القرطبي - باب ذكر جمع القرآن، سير أعلام النبلاء للذهبي - عبد الله بن مسعود
[^][^][43] صحيح ابن حبان 4429، مسند أحمد 21186، تفسيرا القرطبي وابن كثير - سورة الفلق، المستصفى للغزالي ص114، البرهان في علوم القرآن للزركشي ج2 ص254
[^][44] البرهان في علوم القرآن للزركشي ج2 ص169

[^][45] الناسخ والمنسوخ للنحاس
[^][46] الناسخ والمنسوخ لابن حزم
[^][47] صحيح البخاري 4530، 4536
[^][48] صحيح البخاري 5336، صحيح مسلم 1488، صحيح ابن ماجه 1707، صحيح النسائي 3540، صحيح الترمذي 1197
[^][49] صحيح البخاري 4531، 5344، صحيح النسائي 3531، سنن أبي داود 2301
[^][50] صحيح البخاري 3532، صحيح مسلم 824
[^][51] صحيح البخاري 6442، صحيح أبي داود 4418
[^][52] صحيح، مسند أحمد 25784، سنن ابن ماجه 1944
[^][53] صحيح مسلم 1452، صحيح النسائي 3307، صحيح أبي داود 2062، صحيح ابن حبان 4221، سنن ابن ماجه 1591
[^][54] صحيح، تخريج مشكل الآثار للأرناؤوط 9/12، تفسير الطبري 33|8، أحكام القرآن لابن العربي 33|8
[^][55] السنن الكبرى للبيهقي 8551
[^][56] السنن الكبرى للبيهقي 16722
[^][57] الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ج1 ص519
[^][58] صحيح البخاري 1770، 2050، 2098، 4519، صحيح ابن حبان 3894، صحيح أبي داود 1734
[^][59] صحيح البخاري 5015، سنن الترمذي 2896، سنن ابن ماجه 3071، مسند أحمد 16660
[^][60] صحيح، مسند أحمد 21202، سنن الترمذي 3793، 3898
[^][61] صحيح البخاري 2801، 3064، 4090، 4091، صحيح مسلم 677
[^][62] صحيح مسلم 1050

التفاسير:

[63] الطبري [64] القرطبي [65] ابن كثير [66] ابن عطية [67] البغوي [68] الماوردي
[69] الكشاف [70] الزجّاج [71] الألوسي [72] زاد المسير [73] البحر المحيط
[74] الدر المنثور [75] أحكام القرآن لابن العربي [76] إعراب القرآن للنحاس

^ ^ ^ ^

12. الإرث والكلالة .. عبرةٌ ودلالة

بما أن مؤسسي الإسلام قد قرروا أن يكون دينهم مسيطرًا متسلطًا على الناس في كل شؤونهم، (حتى في شأن ما يخرج من البدن.) كان لزامًا عليهم إصدار تعليماتهم بخصوص المواريث:

{يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ [...] وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُمْ [...] وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ ..} 4|11-12

{يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ فَإِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ ..} 4|176

(الطبري: الكلالة: من لا ولد له ولا والد.)

لكنهم أخطؤوا خطأً فادحًا بأن نسبوا هذه التعليمات إلى الإله مباشرة، ولم ينسبوها إلى محمد؛ ففي هذا المجال من التعقيد والتشعب والعمليات الحسابية ما لم ينفعهم فيه دهاؤهم السياسي الحربي؛ ووضعها في القرآن.. جعل من الصعب تعديلها والإضافة عليها لاحقًا، وهو ما أوقعهم في ورطة ومعضلة عويصة.

هذه النصوص ركيكة حتى بالنسبة لكتّاب بشري. لقد حدد المؤلف المتخلف نصيب الأولاد إذا كانوا «نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ» و «وَاحِدَةً»، وغفل عن نصيبهم إذا كانوا امرأتين اثنتين.

ومن شدة ركاكة هذه النصوص، احتاجت تدخّل أبي بكر ليقول للناس أن النص 12 يخص «الإخوة من الأم» وأن النص 176 يخص «الإخوة من الأب والأم»:

{أنّ أبا بكر ... قال في خطبته: ألا إنّ الآية التي أنزل الله في أول سورة النساء ... أنزلها في الولد والوالد. والآية الثانية أنزلها في الزوج والزوجة والإخوة من الأم. والآية التي ختم بها ... أنزلها في الإخوة والأخوات من الأب والأم.} [1]

ثم احتاجت تدخّل عمر بن الخطاب، في زمن خلافته، لمحاولة حل مشاكلها التي لا حل لها. ولأن المؤلفين لم يفطنوا لها في الوقت المناسب، لم يتمكنوا من تعديل كتابهم.

ومن المثير للسخرية.. أنهم قالوا في النص الأول.. «يُوصِيكُمُ اللَّهُ»، ما يبدو منه أنها بادرة من إلههم بإصدار التعليمات. ثم بعد عشرات النصوص وفي نهاية السورة.. ألحقوا نصًا آخر يبدأ بكلمة «يَسْتَفْتُونَكَ». هذا دليل على أنهم لم يحيطوا علمًا بكل حالات المواريث، واحتاجوا أن يستفتيهم الناس فيُصدروا تعليمات إلحاقية، كما تفعل الحكومات.

نلحظ أيضًا في هذا النص والنصوص 26، 25، 14، 13، 12 أن القافية مختلفة عن باقي نصوص السورة، وهذا يدل على أنها كُتبت بعد كتابة السورة بزمن طويل، وأضيفت إليها بعجلة واستهتار.

خوضهم في هذا المجال.. أسفر عن أخطاء وظلم، وفضح غباءهم العلمي والحسابي، وأكد أن إلههم لم يكن علّامًا للغيوب ولم يحط بكل شيء علمًا. ما كان إلا بشرًا غبيًا مثلهم. أمثلة:

• مات رجل وأبواه حيّان وله زوجة وبنات. يقسّم إرثه إلى 24 سهمًا.
للبنات ⅔= 16 سهمًا، لقوله «فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ».
للأب ⅙= 4 أسهم، وللأم: ⅙= 4 أسهم، لقوله «وَلأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ».
وللزوجة ⅛= 3 أسهم، لقوله «فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ».
⅔+⅙+⅙+⅛= 1.125 > 1 (كامل الإرث). وبالأسهم: 16+4+4+3= 27 > 24
وبما أن الفروض زادت على أصل المسألة، فإن المسألة تُعال من أصل 24 إلى أصل 27، فيقسم الإرث على 27 سهمًا، للبنات 16، للأب 4، للأم 4، وللزوجة 3. [2]

هذا هو ما يسمى «العَول»، وهو زيادة الأسهم وإنقاص حصص الورثة المحددة في القرآن. وهذا يعني أن لا أحد من الورثة يأخذ كامل نصيبه الذي أمر «الله» به. حصة الأب -مثلاً- أُنقصت من 4÷24= 16.7% إلى 4÷27= 14.8%.

وما هذا إلا بدعة مُحدثة ابتدعها عمر بن الخطاب بلا دليل من «الله» ولا من رسوله، لترقيع الشقوق في حسابات إلهه. أي أن عمر.. عالج الخلل الذي في تعاليم إلهه. وهذا دليل على بطلان مقولة مؤلفي القرآن بأن نصوصه مفصّلة مُحكمة:
{.. كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ} 11|1 {.. وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلاً} 17|12

وقد أجمع الصحابة وجمهور الفقهاء على بدعة العَول.. بينما اعترض عليها ابن عباس، حبر الأمة وترجمان القرآن، بأنه لا يصح إنقاص نصيب وارث وقد فرضه «الله» له، فرأى منح أولوية لبعض الورثة (الذين قدّمهم «الله»)، فيأخذوا كامل حصصهم، وإن بقي شيء يقسّم على الآخرين، وإن لم يبق شيء فلا يرثون. [3] وبهذا الرأي، يكون حل المسألة أعلاه.. حرمان الزوجة (شريكة حياة المورث وأم البنات) من نصيبها الذي أمر «الله» به.

كلا الرأيين بدعة مخالفة لنص القرآن. وتبقى الحقيقة التي ليس لأحد إنكارها.. أن مؤلفي القرآن لم ينتبهوا لهذا الخلل، وإلا لما تركوه هكذا، ولذكروا العَول أو الأولوية أو أي طريقة لإتمام تعليماتهم.. لكي يكون كتابهم مفصّلاً مُحكمًا كما زعموا.

• مثال آخر: ماتت امرأة ولها زوج وأختين فقط. يقسّم إرثها إلى 12 سهمًا.
للزوج ½= 6 أسهم، لقوله «وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ».
وللأختين ⅔= 8 أسهم، لقوله «فَإِن كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ».
½+⅔= 1.17 > 1. وبالأسهم: 6+8= 14 > 12.
بالعَول.. تزاد الأسهم من 12إلى 14، فيأخذ منها الزوج 6، والأختان 8. حصة الزوج -مثلاً- أُنقصت من 6÷12= 50% إلى 6÷14= 43%.
وبطريقة ابن عباس، يأخذ الزوج النصف، وللأختين الباقي، وهو النصف فقط، بدلاً عن مقدار الثلثين الذي أمر «الله» به.

• في بعض الحالات يكون إجمالي الحصص المحددة للورثة الموجودين أقل من الإرث، فيبقى جزء منه. مثال: رجل مات وأبواه حيان وله بنت.
للبنت ½ وللأب ⅙، وللأم ⅙، لقوله «وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ».
½+⅙+⅙= 0.83 > 1
فاختلف الفقهاء في الجزء المتبقي، منهم من قال يؤول إلى بيت المال، ومنهم من قال يُردّ على الورثة عدا الزوجين. [4] حكم محمد في ذلك بحكم ذكوري عنصري ضد النساء:
{قال محمد: أَلْحِقُوا الفَرائِضَ بأَهْلِها، فَما بَقِيَ فَلأَوْلى رَجُلٍ ذَكَرٍ.} [5]
يعني الجزء المتبقي يأخذه أَوْلى شخص في أقارب الميت الذكور، ويسمون «عَصَبة»، جمع عاصب.

وتتجلى العنصرية الذكورية واحتقار الأنثى في أحكام المواريث الإسلامية.. في 4 صور:

1. الصورة التي في الفقرة السابقة.

2. «لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ»، حتى لو كانت على الأنثى مسؤوليات أكبر من الذكر، بأن تكون -مثلاً- أُم أيتام، بينما الذكر عقيم.

3. الذكر يرث كامل الإرث إذا كان الوريث الوحيد، أما الأنثى فلا ترث أكثر من النصف، حتى لو كانت هي الوريث الوحيد، لقوله «وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ».

4. إن كان للميت ابنًا وبنت.. فإن أولاد البنت لا يرثون من جدهم، سواء كانت أمهم حية أم ميتة، بينما أولاد الابن يرثون (إذا لم يكن للجد أبناء أحياء). [6]

ومن غرائب أحكام المواريث:

• أن الإخوة لا يرثون مع الأب شيئًا. لكن مع ذلك، وجودهم سبب لنقص نصيب الأم من ⅓ إلى ⅙، لقوله «فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ». [7]

• أن الإخوة من الأم مفضلون على الإخوة الأشقاء من الأب والأم، ويرثون أكثر منهم، وقد لا يرث الأشقاء بسببهم:
ماتت امرأة عن زوج وأخوين من أمها وأخوين شقيقين. للزوج ½ وللأخوين من الأم ⅓، وللأخوين الشقيقين ⅙ الباقي.
ماتت امرأة عن زوج وأم وأخوين من أمها وأخوين شقيقين. للزوج ½ وللأم ⅙ وللأخوين من الأم ⅓، ولا شيء للشقيقين. [8]

• أب وأم وابن متزوج في نفس البيت.
مات الأب. الأم (شريكة حياة الأب) ليس لها إلا ⅛، لقوله «فَلَهُنَّ الثُّمُنُ»، بينما تذهب بقية الإرث للابن (حتى لو كان عاقًا).
فصار معظم البيت له ولسيدة البيت الجديدة زوجته. الآن الأم مهددة بتصفية ⅛ الإرث فقط لها وطردها من بيت زوجها لأنه مات.

• رجل ثري له ابنين، لكل منهما أبناء.
مات أحدهما، ثم مات الجد الثري. أبناء الابن الميت (الأيتام) ليس لهم من إرث جدهم شيء، لأن أباهم مات قبل الجد. هذا بإجماع الفقهاء . [9][10]
بل إن الجد هو الذي يرث من ابنه المتوفى. وحتى لو مات الجد قبل قسمة هذا الإرث، فإن نصيبه يضاف إلى أملاكه، ويغدو هذا إرثًا لورثته الشرعيين، وليس منهم أحفاده! [10]
الآن، الأيتام.. أصبح أبناء عمهم يتمتعون بأموال وأملاك جدهم، بينما هم يعانون من الفقر والحرمان.

هل هذه الأحكام من العدل في شيء؟ لماذا يكون كل هذا؟ لا لشيء، إلا لأن مؤسسي الإسلام غفلوا عن هذه الحالات.



[1] تفسير الطبري 4|12

[2] الإسلام سؤال وجواب - الفتوى 202003

[3] المحلى بالآثار لابن حزم - مسألة 1718

[4] إسلام ويب - الفتوى 164847

[5] صحيح البخاري 6737، صحيح مسلم 1615

[6] الإسلام سؤال وجواب - الفتوى 70575

[7] تفسير ابن كثير 4|11

[8] تلخيص فقة الفرائض لمحمد العثيمين ص33

[9] إسلام ويب - الفتوى 21235

[10] الإسلام سؤال وجواب - الفتوى 222614

^ ^ ^ ^

13. قصص قصيرة .. أين البصيرة؟

اشتملت «الكتب المقدّسة» (أو المكدّسة) على قصص.. فيها أعاجيب تستدعي التساؤل: لماذا حدث كل ذلك في أزمنة قديمة ولم يحدث مثله في الأزمنة الحديثة، ولا حتى في زمن محمد الرسول المزعوم؟ والجواب المنطقي هو: أنها مجرد أساطير خيالية ألّفها القدماء.

أنبياء ورسل

قصص «الأنبياء» أكثرها أساطير ألّفها زعماء اليهود (أنبياء بني إسرائيل) لأغراض تتعلق بأطماعهم ونيل العزة والعلو على باقي الأمم.

فحواها: قوم ظهر فيهم نبي، فصدّقوه وأطاعوه، فرضي الإله عنهم وأثابهم، أو كذّبوه وعصوه.. فغضب الإله وأصابهم بكارثة.

ومغزاها: صدّقوني وأطيعوني تؤجروا وتنعموا، وإن كذّبتوني وعصيتوني فسوف يصيبكم ما أصاب الذين عصوا ذلك النبي.

وكان غرض زعماء اليهود منها.. هو التغرير بالأتباع ودفعهم إلى الانقياد والطاعة العمياء المطلقة للأوامر.. حتى لو بلغت حد اقتحام بلدة وإبادة أهلها.

لو كان في الوجود إله كلي القدرة يريد إرسال رسالة للبشر.. لكفاه أن يحفرها على الجبال -مثلاً- ليقرأها الناس فيؤمن بما فيها من شاء منهم أن يؤمن.

أما «الأنبياء» «المرسلون» الذين كانوا في الواقع فكانوا زعماء مهمتهم تطويع الرجال وتجنيدهم.

لا بد من تفسير علمي أو منطقي لكل شيء. لا أحد يستطيع التنبؤ بأحداث مستقبلية. فكرة التنبؤ (النبوة) لو صحّت فهي تعني أن كل ما يحدث في العالم معروف ومحدد مسبقًا، وأنه مجرد مسرحية ذات سيناريو مكتوب، نحن ممثلون فيها لا اختيار ولا إرادة لنا، ولا نستحق ثوابًا ولا عقابًا.

النبوءات المزعوم تحققها.. قد تكون أحد احتماليتين: الأولى أن تكون النبوءة قد كُتبت بعد الحدث، لإيهام الناس بوجود نبي في زمن سابق ليصدّقوا كل ما يُنسب إليه من كلام. والثانية أن تكون النبوءة وصفًا لحدث

مستقبلي مخطط له ضمن خطة ستنفذها سرًّا جماعة متمكنة قادرة على ذلك، وهذه تسمى برمجة تنبؤية (predictive programming). إن تحققت نبوءة النبي المزعوم، مجّده الناس واتخذوه نبياً وزعيمًا، وإن لم تتحقق سقط من أعينهم وذاكرتهم.

رسول بلا معجزة

آخر واحد منهم.. محمد، عجز عن الإتيان بأي أعجوبة من مثل ما جاء في تلك الأساطير.
(الطبري: قال أهل مكة لمحمد: إن كان ما تقول حقًا. ويسرّك أن نؤمن، فحوّل لنا [جبل] الصفا ذهبًا..
[فجاء الرد:] {وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ ..} 17|59
الحسن قال: رحمة لكم أيتها الأمة، إنا لو أرسلنا بالآيات فكذّبتم بها، أصابكم ما أصاب من قبلكم.)

وماذا كان المانع.. من أن يصيب العذاب أهل مكة كمن قبلهم، وأن يهلكهم «الله» ويستبدلهم؟ وهو قد توعدهم بذلك:
{فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ} 41|13
{إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ} 35|16
وهُم قد أصرّوا على موقفهم وأكّدوا تكذيبهم لمحمد، واستعجلوا بالعذاب:
{وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ} 8|32
فلم يجد محمد وأعوانه إلا معاودة الوعيد بجهنم:
{يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ} 29|54
وأتى الجواب:
{وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ * وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ..} 8|33-34
لماذا إذن لم يعذّبهم ويهلكهم بعد هجرة محمد وأتباعه كما في قصص الأمم السابقة؟ الجواب المنطقي: لأنها أساطير خيالية، وكل ما حدث لتلك الأمم هو من فعل الطبيعة الذي يصيب المؤمنين كما يصيب غيرهم.

عجْز محمد عن تقديم معجزة كما في قصص الأنبياء.. أدى إلى ارتداد الناس عن دينه بعد موته، لأنهم لم يجدوا لديه آية حقيقية أو برهانًا يجعلهم يؤمنون.

لنتأمل هذا: الإله الخالق المزعوم.. لم يخلق الناس إلا لغرض واحد.. أن يعبدوه:
{وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} 51|56
لكن تصرفاته تناقض هذا الغرض:
أولاً.. اقتصرت رسالاته على منطقة الشرق الأوسط (الشرخ الأوسخ)، فبقي ملايين الناس خارجها لا يعبدونه.

استطاع الإنسان إيصال الرسائل إلى جميع الشعوب بشكل مباشر لحظي بالصوت والصورة، وعجز هذا الإله المزعوم عن إيصال رسالته إلى ملايين الناس خارج حدود دولة محمد وخلفائه.

ثانيًا.. أرسل رسوله الأعظم بآخر رسالة منه إلى الناس، فبخل عليهم بآية، معجزة واحدة حقيقية تثبت لهم أنه رسوله، لتطمئن قلوبهم، فيعبدوه ويطيعوه.

طلبوا منه آية حقيقية واحدة كما كان لكل الرسل آيات مزعومة في قصصهم.. ليثبت لهم بها أنه حقًا رسول من «الله» وليس متقوّلاً دجّالاً:

{بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ} 21|5

وخيّروه بعدة خيارات:

{وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا * أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا * أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا * أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرَؤُهُ ..} 17|90-93

فما كان جوابه إلا أن قال: {.. سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا} 17|93

{وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ * وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ * وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ} 6|109-111

يعني، جواب «الله» هو: لن أفعل معجزة لأنهم بها أو بدونها لن يؤمنوا إلا إذا أنا أردت. هذا الجواب أربك القراء، فاختلفوا في ألفاظه، وحيّر المفسرين، فاختلفوا في معناه، وهو يدلّ على عجز الساجع.. الذي سمّى نفسه «الله»، وأن قصصه عن معجزات في أمم سابقة كلها خيالية. ولو كان هذا كلام إله، فهو إله ظالم، لأنه منح الأمم السابقة معجزات آمنوا بسببها، وحرم هذه الأمّة منها، بينما الجزاء للكل واحد.

(القرطبي: قَالَ الْفَرَّاءُ وَغَيْرُهُ: الْخِطَابُ لِلْمُؤْمِنِينَ، لِأَنَّ الْمُؤْمِنِينَ قَالُوا ..: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَوْ نَزَلَتِ الْآيَةُ لَعَلَّهُمْ يُؤْمِنُونَ. فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: «وَمَا يُشْعِرُكُمْ» أَيْ: يُعْلِمُكُمْ وَيُدْرِيكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ «أَنَّهَا» بِالْفَتْحِ، وَهِيَ قِرَاءَةُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ وَالْأَعْمَشِ وَحَمْزَةَ، أَيْ: لَعَلَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ. [...] هَذِهِ آيَةٌ مُشْكِلَةٌ ..)

(الطبري: ذَلِكَ خِطَابٌ مِنَ اللَّهِ لِلْمُؤْمِنِينَ [...] وَأَنَّ قَوْلَهُ «أَنَّهَا» بِمَعْنَى لَعَلَّهَا. وَإِنَّمَا كَانَ ذَلِكَ أَوْلَى تَأْوِيلَاتِهِ بِالصَّوَابِ، لِاسْتِفَاضَةِ الْقِرَاءَةِ فِي قَرَأَةِ الْأَمْصَارِ بِالْيَاءِ مِنْ قَوْلِهِ: «لَا يُؤْمِنُونَ». [...] وَمَا يُدْرِيكُمْ، أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ، لَعَلَّ الْآيَاتِ إِذَا جَاءَتْ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ لَا يُؤْمِنُونَ، فَيُعَاجَلُوا بِالنِّقْمَةِ وَالْعَذَابِ عِنْدَ ذَلِكَ. [...] وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ، فَنُزِيغُهَا عَنِ الْإِيمَانِ، وَأَبْصَارَهُمْ عَنْ رُؤْيَةِ الْحَقِّ وَمَعْرِفَةِ مَوْضِعِ الْحُجَّةِ، وَإِنْ جَاءَتْهُمُ الْآيَةُ الَّتِي سَأَلُوهَا، فَلَا يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا -بِتَقْلِيبِنَا إِيَّاهَا قَبْلَ مَجِيئِهَا- مَرَّةً قَبْلَ ذَلِكَ. [...]

وَلَكِنَّ أَكْثَرَ هؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ يَجْهَلُونَ أَنَّ ذَلِكَ كَذَلِكَ، يَحْسَبُونَ أَنَّ الْإِيمَانَ إِلَيْهِمْ، وَالْكُفْرَ بِأَيْدِيهِمْ، مَتَى شَاءُوا آمَنُوا، وَمَتَى شَاءُوا كَفَرُوا. وَلَيْسَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، ذَلِكَ بِيَدِي، لَا يُؤْمِنُ مِنْهُمْ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ لَهُ فَوَفَّقْتُهُ، وَلَا يَكْفُرُ إِلَّا مَنْ خَذَلْتُهُ عَنِ الرُّشْدِ فَأَضْلَلْتُهُ.)

يعني رسول بالكلام والتدجيل فقط.. ثم بالسيف. هذان بيتان منسوبان إلى شاعر الرسول، حسان بن ثابت:

دعا المصطفى دهراً بمكة لم يجب * وقد لان منه جانبٌ وخطابُ

فلما دعا والسيف صلتٌ بكفه * له أسلموا واستسلموا وأنابوا

{.. جَاءُوه فَقَالُوا: يَا مُحَمَّدُ، أَخْبِرْنَا عَنْ فِتْيَةٍ ذَهَبُوا فِي الدَّهْرِ الْأَوَّلِ قَدْ كَانَتْ لَهُمْ قِصَّةٌ عَجَبٌ، وَعَنْ رَجُلٍ كَانَ طَوَّافًا قَدْ بَلَغَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا، وَأَخْبِرْنَا عَنِ الرُّوحِ مَا هِيَ؟ فَقَالَ لَهُمْ: أُخْبِرُكُمْ بِمَا سَأَلْتُمْ عَنْهُ غَدًا [...] فَمَكَثَ 15 لَيْلَةً [...] قَالُوا: وَعَدَنَا مُحَمَّدٌ غَدًا، وَالْيَوْمَ 15 لَيْلَةً، قَدْ أَصْبَحْنَا مِنْهَا لَا يُخْبِرُنَا بِشَيْءٍ مِمَّا سَأَلْنَاهُ عَنْهُ. [...] ثُمَّ جَاءَهُ جِبْرِيلُ ... بِسُورَةِ الْكَهْفِ. ..} [1]
15 يومًا.. كانت كافية ليبعث شخصًا بالأسئلة على حصان سريع ليأتيه بالجواب من بلد آخر.

زعَم مؤسسو الدين أن المعجزة هي القرآن!
المعجزة هي فعل خارق لنواميس الكون. أما الكلام.. فمهما بلغت بلاغته وقوّته ومزاعم العِلم والحكمة فيه، لا يرقى إلى مستوى خَرق النواميس (لو حدث يومًا).
فياله من معجزة! ربما كان كذلك.. في نظر بعض الناس لبعض الوقت. ها قد افتُضح أمره في زمن العلم، لكل من وعى ما فيه من علل وخلل وجهل ودجل.
وياله من إله.. هذا الذي أراد من الناس أن يعبدوه، فلم يجد لذلك سبيلاً أفضل من السيوف، وسفك الدماء.

نبوءة الساعة

عمر الكون في الكتب الإبراهيمية المقدّسة 6000 سنة تقريبًا، كما يبيّن القسم 7.

وبعد أن «تنبأ» يسوع لتلاميذه:
{.. وَحِينَئِذٍ تَنُوحُ جَمِيعُ قَبَائِلِ الأَرْضِ، وَيُبْصِرُونَ ابْنَ الإِنْسَانِ آتِيًا عَلَى سَحَابِ السَّمَاءِ بِقُوَّةٍ وَمَجْدٍ كَثِيرٍ. هكَذَا أَنْتُمْ أَيْضًا، مَتَى رَأَيْتُمْ هذَا كُلَّهُ فَاعْلَمُوا أَنَّهُ قَرِيبٌ عَلَى الأَبْوَابِ. اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: لاَ يَمْضِي هذَا الْجِيلُ حَتَّى يَكُونَ هذَا كُلُّهُ.} إنجيل متا 24|30-34
وبعد أن «تنبأ» مؤلفو الكتاب المكدّس بهذه الأقاويل:
{وَإِنَّمَا نِهَايَةُ كُلِّ شَيْءٍ قَدِ اقْتَرَبَتْ، فَتَعَقَّلُوا وَاصْحُوا لِلصَّلَوَاتِ.} 1 رسالة بطرس 4|7
{خَافُوا اللهَ وَأَعْطُوهُ مَجْدًا، لأَنَّهُ قَدْ جَاءَتْ سَاعَةُ دَيْنُونَتِهِ ..} سفر الرؤيا 14|7

{أَيُّهَا الأَوْلاَدُ هِيَ السَّاعَةُ الأَخِيرَةُ. وَكَمَا سَمِعْتُمْ أَنَّ ضِدَّ الْمَسِيحِ يَأْتِي، قَدْ صَارَ الآنَ أَضْدَادٌ لِلْمَسِيحِ كَثِيرُونَ. مِنْ هُنَا نَعْلَمُ أَنَّهَا السَّاعَةُ الأَخِيرَةُ.} 1 رسالة يوحنا 2|18
.. مضت 2000 سنة.. ولم تأت «الساعة».

وبعد أن «تنبأ» مؤلفو القرآن بهذه الأقاويل:
{اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ ..} 54|1 {أَزِفَتِ الْآزِفَةُ} 53|57 {اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ ..} 21|1
{فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا ..} 47|18
{إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا * وَنَرَاهُ قَرِيبًا * يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ} 70|6-8
قال «اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ»، إذن، الاقتراب بالنسبة للناس. ها قد مضت 1400 سنة.. ولم تأت «الساعة».

هل بعد مرور 2000 سنة يبقى للاقتراب معنى؟ 2000 سنة كافية لمن له بصيرة يستطيع التمييز بها بين الحقائق والخرافات.

أساطير

أيها القارئ، افترض أنك لم تقرأ الأمثلة التالية في القرآن. لو قرأتها في كتاب قصص قصيرة.. هل ستعتبرها حقيقية أم خيالية؟ ولماذا لم يحدث مثلها في السنين الألفين الماضية؟

• جبل تهدّم وانهار
{.. فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا ..} 7|143
• بحر انفرق
{فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ} 26|63
{وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ} 2|50
• شخص مات ثم عاد إلى الحياة بعد 100 سنة
{.. فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ..} 2|259
• شخص مات ثم عاد إلى الحياة عندما ضُرب بلحم من بقرة صفراء
{وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً [...] إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ [...] وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ * فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَٰلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ ..} 2|67-73
• أشخاص بقوا أحياء 300 سنة بلا ماء ولا غذاء
{وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ [...] وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ [...] بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا

بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ [...] وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا} 18|16-25

• شخص أصيب بالعمى.. وبعد سنين ألقي على وجهه قميص فاستعاد بصره

{.. وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ [...] اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي [...] أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا} 12|84-96

• عصا تتحول إلى ثعبان

{فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ} 7|107، 26|32

• نملة عاقلة تميز سليمان عن غيره

{حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ} 27|18

• شخص ذبح 4 من الطير وقطّعها ووزّعها، فعادت تتكون وتحيا وتطير

{وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ..} 2|260

• وأُضرمت به نار لاهبة، فلم يحترق من جسده شيء

{قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ * قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ} 21|68-69

• شخص ابتلعه حوت في معدته (تعتصره في حمضها ولا هواء للتنفس) ثم خرج حيًا

{فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ * فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ * لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ * فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ} 37|142-145

• ملك.. مات وبقيت جثته أيامًا عديدة، ولم يلحظ ذلك أحد من خدمه ولا حاشيته

{فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ} 34|14



[1] السيرة النبوية لابن هشام ص301

^ ^ ^ ^

الفصل الثالث

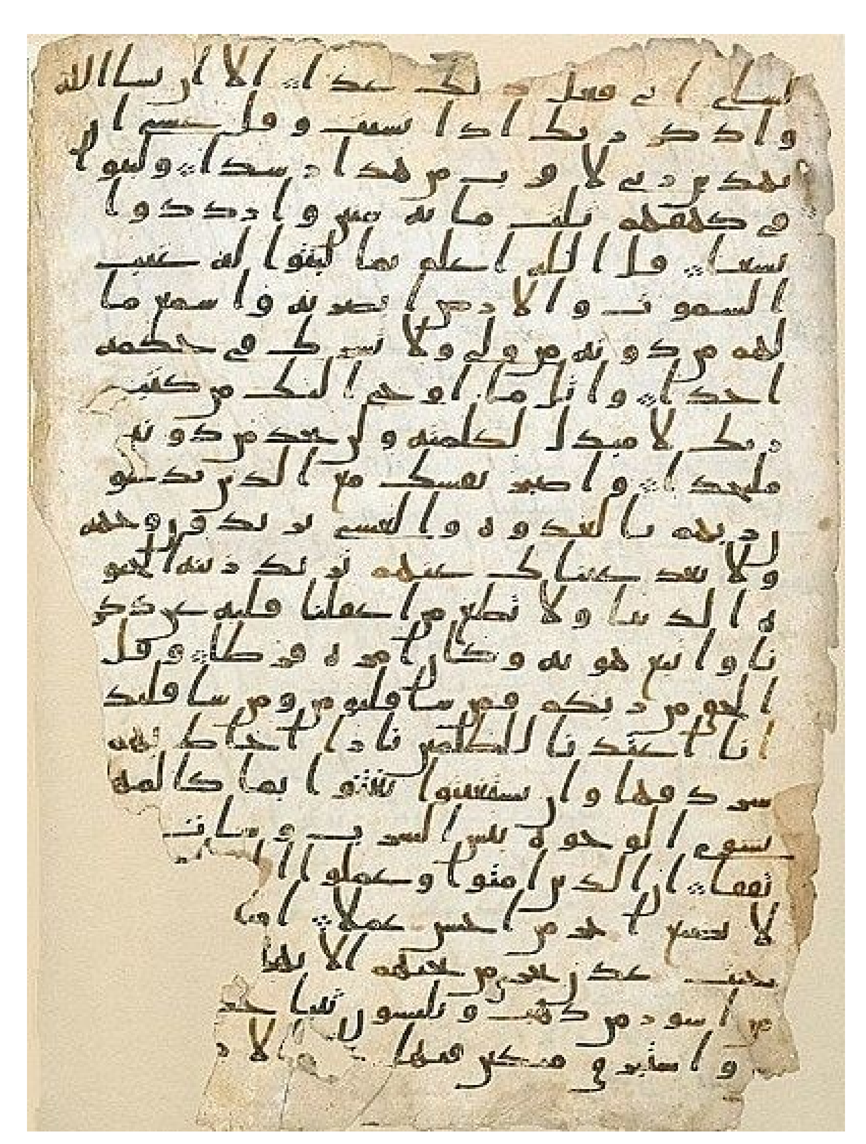
حكم استبدادٍ وفساد .. مكَر وغزا فساد

عن مشاكل في قصة تأسيس الإسلام، ومحاولة لفهم حقيقته وأسبابه

في الصحراء نمَوتَ
فعلينا قسَوتَ

صِحنا لكنّ الموتى

لا يسمعون الصوتَ



المصدر: Wikimedia

^ ^ ^ ^

14. عودة لإبراهيم .. لتصحيح المفاهيم

تم تأسيس الأديان الإبراهيمية الثلاثة قديمًا من قِبل أقوام جميعهم من منطقة الشرق الأوسط (الشرخ الأوسخ). وقد كان خلفاؤهم أُلوا بأس شديد ونزعات توسعية، فطفقوا يسيّرون جيوشهم حاملة معتقدًا يمنحها سلطانًا إلهيًا، بالإضافة إلى الكثير من حملات الدعوة والتبشير، حتى أصبح أتباع هذه الأديان هم الأغلبية من البشر.

بنى مؤسسو المسيحية معتقدهم على معتقد اليهود، وأعفوا أنفسهم من عبء تطبيق شريعة تقطيع الرؤوس والأيدي والصلب والتعذيب، لكنهم أقروا بصحة معتقد اليهود وأن الفظائع التي ارتكبوها في العهد القديم كانت بأمر من الرب. المسيحية عقيدة بلا شريعة، مبنية على خرافة ونصوص يعمها الجهل وتبطلها الحقائق العلمية.

وبنى مؤسسو الإسلام معتقدهم على معتقد شخصية الأب.. المسمى «إبراهيم» أو «آبرهام»:
{قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} 6|161
{وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا} 4|125
{وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ ..} 2|130

القصة المتوارثة تقول أن إبراهيم هو شخص وُلد في العراق قبل 4000 سنة، اختاره الإله واتخذه خليلًا له. وهو أبو إسماعيل وإسحاق، أي أنه أبو العرب واليهود. هذا يمنح اليهود (والعرب أيضًا) امتيازًا ومبررًا للاستعلاء والاستكبار على باقي الأمم، بأن يقولوا « كان أبونا صديق الله (خليل الله) » ونحن «شعب الله المختار».
{يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ} 2|122

القصة صدرت من قدماء اليهود، والنظرة المحايدة الشمولية تجعلنا نرى أنها قصة هادفة.. الهدف منها هو أن يمنح اليهود أنفسهم الحق في الاستيلاء على بلاد الكنعانيين وغيرها، بحجة أن إلهًا عظيمًا منحها لجدهم وأن عليهم استرداد ملك آبائهم، فيكون هذا حافزًا قويًا لقومهم يشحن فيهم الحماسة والإقدام على غزو تلك البلاد، واحتلالها، وتقتيل رجالها، فيكون لهم التمتع بالثروات والنساء.

وقد استغل العرب هذه القصة كذلك لغرض مماثل، لكن أطماعهم تضخمت وعنفوانهم استفحل، فتمادوا واجتاحوا بلادًا كثيرة وبسطوا نفوذهم عليها، ومنها البلاد التي أخذها اليهود، على أساس أن الإله غضب على اليهود ولعنهم وفضّل العرب عليهم.
{وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} 2|135
{إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ} 3|68
{.. هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ ..} 22|78

العجيب أن في الكتاب المكدّس قصتين مختلفتين: واحدة في سِفر التكوين تحكي معاهدة الإله مع إبراهيم ووعده أن تمتلك ذريته أرض كنعان، والأخرى في سِفر الخروج وغيره تحكي تحرير الإله لليهود من استعباد فرعون، ومعاهدته مع قائدهم موسى بأن يطيعوه وأن يحميهم وينصرهم إذا اقتحموا أرض الكنعانيين التي وعدها لجدهم إسرائيل. وقد وضع الباحثون فرضية لذلك، وهي أن قصة إبراهيم وقصة موسى هما أسطورتان بلا إثبات تأريخي، كُتبتا في مرحلة متأخرة (الفترة الفارسية في القرن الخامس قبل الميلاد) من قِبل فئتين من اليهود متنازعتين: فئة الذين بقوا في مقاطعة يهودا زمن الأسر البابلي؛ كتبوا قصة إبراهيم لينسبوا الأرض إلى «أبيهم إبراهيم»، وفئة المهجّرين العائدين؛ كتبوا قصة موسى ليأخذوا الأرض بحجة أن الإله أوحى إلى موسى أن يأخذوها لأنها الأرض الموعودة لجدهم إسرائيل ابن إسحاق ابن إبراهيم. [1][2]

وتشير الدلائل الأثرية والتأريخية إلى أن تفاصيل القصتين لا تناسب الفترات الزمنية المنسوبة إليها (في الألفية الثانية قبل الميلاد)، بل تناسب فترة أقرب (الألفية الأولى قبل الميلاد). [3] كما أن الاكتشافات الأثرية تناقض تلك التفاصيل؛ وقد اعترف عالم آثار إسرائيلي بذلك في 1999. [4]
في كتاب «تاريخية السرد البطريركي» (1974)، توماس تومبسون عالم الأدبيات اعتمد في حجته على علم الآثار والنصوص القديمة، وتركزت أطروحته في عدم وجود أدلة كافية على أن الآباء البطاركة إبراهيم وإسحاق وإسرائيل عاشوا في العصر البرونزي (الألفية الثانية قبل الميلاد). ولاحظ أن ظروف القصة التي في التوراة تماثل ظروف الألفية الأولى قبل الميلاد.
وفي كتاب «إبراهيم في التاريخ والتقاليد» (1975) قام جون فان سيترز بفحص قصص الآباء الثلاثة، واحتج بأن الأسماء والأوضاع الاجتماعية والرسائل تشير بقوة إلى أنهم كانوا من اختلاقات العصر الحديدي (الممالك في الألفية الأولى). [5][6]

ووصل بعض الباحثين إلى قناعة بأن المعتقد الإبراهيمي ما هو إلا معتقد رواة التوراة، نسبوه إلى «إبراهيم». على أي حال، التوراة هي من تأليف أشخاص كثر متباعدين زمنيًا، بدءًا من القرن الثامن (بعد زمن الملك سليمان)، [4][7] وتم تجميعها وإعدادها وتقرير محتواها بعد عام 450 قبل الميلاد. [8][9]

إن في الأدلة العلمية وحقائق الكون المكتشَفة ما يثبت قطعًا بُطلان ما جاء في سِفر التكوين عن طبيعة الكون (كما يبين القسم 7 والقسم 24). [7][10] وبما أنه باطل، فالمرجّح أن قصة إبراهيم المسرودة فيه هي أيضًا قصة خيالية.

أما في القرآن.. فالقصة فيها انحراف شاطح:
{وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا [...] رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ ..} 14|35-37

{وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ ..} 2|127
المسلمون متفقون أن المقصود بهذا هو الكعبة في مكة، جنوب الحجاز.
لكن القصة التي في «الكتاب المكدس» تقول أن الإله بارك أرض فلسطين وقدّسها، ووجّه إبراهيم ليستقر فيها، ومنحها له ولذرّيته؛ وفيها أنجبت له زوجته إسحاق، وأنجبت له الجارية إسماعيل؛ وأنه أبعد الجارية وابنها إرضاءً لزوجته. [1]
لا يصح أن يحصل هذا الإبعاد بأن يرتحل بهما كل هذه المسافة من فلسطين إلى جنوب الحجاز. ولا يصح أن يترك الأرض التي باركها إلهه وقدّسها خلف ظهره، ويرحل ويبني الكعبة في جنوب الحجاز.
إذن، إما أن الرواية التي في القرآن خاطئة.. مجرد أسطورة، وكذلك ما حيك حولها من أن الذي حفر بئر زمزم هو جبريل أو إسماعيل الرضيع، أو أن مكان المسجد الحرام الحالي ليس هو المكان الأصلي المذكور في القرآن (كما يبيّن القسم 15).

اسمه الحقيقي مجهول. كلمة إبراهيم باللغة الآرامية تعني أب رحيم. و«ابرام» باللغة الكلدانية تعني الأب العالي. و«اڤراهام» بالعبرية معناها أبو الجمهور أو أبو الأمم. إن كان هذا معناه الأصلي فهو بالطبع ليس الاسم الذي مُنح له عند ولادته.

القصة تقول أن إبراهيم كانت له مواجهات عظيمة؛ فقد أقدم على تحطيم الأصنام، فاستدعاه الملك وجادله ثم أمر بإحراقه، فأُضرمت به النار فلم يحترق، ثم هاجر إلى بلد آخر، ثم قاد مئات الجنود في معركة ضد جيش غازٍ وهزمهم، فقابله ملك ذلك البلد وشكره، ثم حدث له موقف مع ملك مصر ومع حاكم فلسطين، وغير ذلك من الأحداث المهمة. [1]
لكن علماء الآثار أمضوا عشرات السنين في التنقيب، ولم يعثروا على أي أثر ذي موثوقية يُثبت أنه كان موجودًا في الواقع؛ ومع بدء القرن 21 يئسوا من ذلك. [11] وحتى الألواح التي اكتُشفت في 1974 في مدينة إبلا الأثرية شمال سوريا، فإن اشتمال نصوصها على أسماء الأنبياء الأولين هو زعم أتى من باحث واحد اندفع إلى الجهر به بحماس، فرد عليه آخرون بنفي ذلك وبأنه مجرد تشابه أسماء وقراءة خاطئة للّغة؛ وثار جدل حاد بين عدد من الباحثين، انتهى إلى أن نصوص تلك الألواح لا علاقة تُذكر لها بما ورد في «الكتاب المقدس» ولا بإثبات أن شخصياته حقيقية، وأن دورها هامشي في علم الآثار الإنجيلية. [12][13]

ولو افترضنا جدلاً أن القصة حقيقية، نجد أن شخصية «إبراهيم» مشبوهة، شاذة، وغريبة الأطوار (ربما بسبب مرض الفصام) [4]:
• ارتكب نكاح المحارم؛ فقد نكح المدعوة سارة، بالرغم من أنها أخته من أبيه.
• وقع في الدياثة، لأنه كان جبانًا. خاف على نفسه، فسمح لملك مصر أن يأخذ منه زوجته، على أساس أنها أخته.

• وقع في الدياثة مرة ثانية بعد الأولى بسنين. خاف على نفسه، فسمح لحاكم فلسطين أن يأخذ منه زوجته.

• بالإضافة إلى أخته سارة، أقام علاقة جنسية مع الخادمة هاجر والعشيقة كتورة.

• طرَد ولده وأم ولده وأبعدهما وتركهما يتيهان في البراري حتى أوشكا على الهلاك.

• أقدم على جريمة الشروع في قتل، وكاد أن يذبح ولده.

• القصة تذكر أنه أصبح له 8 أبناء ذكور، ولا تذكر أنه كان له بنات، ربما لأن من ألّفها هم يهود ذكوريون.

• ارتكب فعلة شنيعة.. اسمها «الختان»، وهي عبارة عن جراحة بأداة حادة وقطع جزء من العضو الذكري للإنسان، سواءً طفل رضيع أو رجل كبير. هذه السنّة السيئة هي ضد الفطرة، وحتى بمنظور المتديّن هي تغيير لخلق «الله» وتتناقض مع أنه «ٱلَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ». 32|7

وقول الشيطان: {.. وَلَأٓمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ..} 4|119

(لتتأكد من هذا.. تخيّل أنك تنزل سروالك أمام شخص ما، فيقوم بقص جزء من عضوك وأنت تنظر!)

إنه إيذاء للطفل وانتهاك لحقّه في جسده بلا ضرورة، وإزالة لجزء مفيد من الجسم -وكل أجزائه مفيدة- من فوائده وقاية عضو حساس من الاحتكاك، ولهذا علاقة بالجهاز العصبي والقدرة الجنسية.

لسان حال أتباع المعتقد الإبراهيمي (الحنيفية) يقول: نعم، أحسن «الله» خلق كل شيء «سبحانه»، لكن هذا الجزء من الجسد فقط سيّء لا يناسب الطهارة ولا بد من استئصاله جراحيًا! (ما لكم؟ كيف تحكمون؟)



[1] ويكيبيديا العربية والإنغليزية – إبراهيم

[2] ويكيبيديا – تيه

[3] عالم آثار إسرائيلي يشكك في فكرة أرض الميعاد – بي بي سي

[4] Gunkel, Hermann, 1997 [1901], Genesis, p. lxviii

[5] Moore, Megan Bishop; Kelle, Brad E., 2011. Biblical History and Israel’s Past

[6] Greifenhagen, Franz, 2003, Eerdmans Commentary on the Bible

[7] الكتاب المقدس – سفر التكوين

[8] Charles Gillispie, 1996 [1951], Genesis and geology, p. 224

[9] Mark Chavalas, 2003. Mesopotamia and the Bible. p. 41

[10] Wenham, Gordon J. 2003. Exploring the Old Testament

[11] Dever, William G. 2002. What Did the Biblical Writers Know, and when Did They Know It?

[12] William H. Shea, «Two Palestinian Segments From the Eblaite Geographical Atlas» pp. 589-612

[13] Ebla Tablets: No Biblical Claims – The Washington Post

^ ^ ^ ^

15. الخداع .. والابتداع

آلّية لا إلهية

كان من أهم أدوات مؤسسي الإسلام وأكثرها فعالية هو إقناع الناس بوجود كائن اسمه «الله»، يستحق وحده التأليه والعبادة لأنه كامل، مطلق القدرة، وهو «الكل في الكل»، وهو المنعم الرزاق وصاحب الأفضال عليهم، بترديد عبارات مثل «أنعمت عليهم» و«فضل الله عليكم».. التي تشبه عبارة «لحم أكتافك من خيره»، وأن ذلك سوف يستمر حتى بعد الموت في حياة أبدية. وهكذا يشعر من يصدّق ذلك بأنه مدين لهذا الكائن بالكثير وأنه يستحق الشكر والذكر والطاعة والجهاد في سبيله.

الدين هو آلّية لا إلهية لتطويع الناس وتعبيدهم وتجنيدهم، باستغلال أطماعهم؛ فمن يطمع بملذات الحياة تغريه الغنائم والنساء والامتيازات، ومن يطمع بملذات موعود بنيلها بعد موته تغريه هالة الوحي المرتّل بصوت رنّان وأنغام شرقية فريدة وكلام مؤثّر وبيان ساحر منسوب إلى كائن مؤلّه عظيم، فيه التوصيف والوعد بالنعيم المقيم وبالإعفاء من عذاب الجحيم. فيكون كل من لديه طمع عبدًا مطيعًا أو مقاتلاً شرسًا، وفقًا لغرض الزعيم.. الذي يمتلك الدهاء ومهارة توجيه الحشود بالترغيب والترهيب وبتبنّي ما يعجبهم من أخلاق وأحكام.

يولي فقهاء الإسلام أهمية عظمى للتحذير من الابتداع في الدين؛ ويحرص الخطباء والوعاظ دومًا على ترديد مقولة محمد «شر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة».
فما الذي يمكن قوله.. إن كان الإسلام ذاته بدعة؟

بعد ثبوت بشرية القرآن (في الأقسام السابقة) ببراهين وافرة سافرة، أتطرق فيما يلي لبعض محاولات الباحثين.. فهم نشأة الإسلام وحيثياتها، وتمييز حقائق التاريخ من أكاذيبه.

تاريخ كتبه المنتصر

إن مؤلفي القرآن مجهولون. بما أن الدولة الإسلامية قامت على البطش والإرهاب (كما يبين القسم 20)، والتاريخ يكتبه المنتصر، فقد حُجبت حقائق تأسيسها، وقُتل الذين حاولوا فضحها، ولا ندري من ألّف القرآن وكم عددهم، والمدة والمراجعات والتعديلات. هم بالتأكيد عدة أشخاص؛ فعمل كهذا بُني عليه دين ودولة لا يقدر عليه شخص أو اثنان.

في عام 2003 صدر كتاب بحثي استقصائي اسمه «مفترق طرق الإسلام: أصول ديانة العرب ودولة العرب» لعالم الآثار يهودا نيفو والباحثة جودث كورين؛ بحَثا فيه أصول وتطور الدولة الإسلامية من خلال علم الآثار ودراسة النقوش والتاريخ الإسلامي بمنهج دقيق في فحص الكتابات الإسلامية و مصادر مهمَلة قبل القرن التاسع كالحفريات الأثرية والعملات القديمة والنقوش ومخطوطات غير المسلمين في تلك الحقبة.

قدّم المؤلفان مجموعة كبيرة من نقوش أغفلها الباحثون التاريخيون، أكثرها من القرنين السابع والثامن، واستخدماها لتعقّب الكتابات التاريخية التي تختلف عن الكتابات المعروفة. وبناءً على الأدلة الأثرية من القرن السابع شككا في صحة الكتابات عن مرحلة تأسيس الإسلام والتي ما زالت تُقتبس كحقائق في معظم الكتب التاريخية الحديثة؛ فالدلائل الأثرية والتاريخية تشكّل تصوراً عن الشرق الأوسط في القرنين السابع والثامن أنه لم يظهر فيه أيّ نبيّ أو دين يمكن أن يكون قد تطور إلى ما يعرف بالإسلام الآن. واستنتج المؤلفان ما يلي:

• أن مؤرّخي القرنين السابع والثامن ليسوا مصادر موثوقة، وأن كتاباتهم لا تصمد أمام الفحص التاريخي القائم على الأدلة الأثرية وأدلة النقوش القديمة ومخطوطات غير المسلمين. (التاريخ يكتبه المنتصر)

• أن العرب كانوا وثنيين حينما فرضوا سيطرتهم في القرن السابع على مناطق كانت ضمن الإمبراطورية البيزنطية (دولة الروم).

• أنهم كانوا يفرضون سيطرتهم بدون مقاومة تقريباً، لأن الروم كانوا قد انسحبوا قبلها بفترة طويلة.

• بعد أن فرضوا سيطرتهم اعتمدوا عقيدة مقتبسة من كتابات يهودية-مسيحية وجدوها في المناطق التي احتلوها، وبالتدريج طوروها إلى دين عربي عرف بعدها بالإسلام في منتصف القرن الثامن.

• لم يتم تدوين القرآن كاملاً حتى العصر العباسي عندما جرى تطوير قانون (الشريعة) لغرض تعزيز السلطة والتميّز عن القانون البيزنطي المستخدم من قبل الأمويين. احتاجت الشريعة إلى كتاب رسمي للادعاء بأنه استُنبط من خلال التفسير، ومن ثم تم إعلان «الأحاديث النبوية» على أنها جزء من الوحي. [1]

ولم يكن استحواذهم على البلاد بدعم من «الملائكة»، بل بضعف وإنهاك الروم والفرس من حرب طويلة بينهم، وبتأييد جزء من الشعب للغزاة لكي يتحرروا من الاضطهاد المذهبي. [2]

الأدلة التي قدّمها المؤلفان تثبت وجهة نظر علماء أخرين، مثل فريد دونر في التاريخ، جون وانسبروغ، وكذلك باتريشيا كرون ومايكل كوك بكتابهما «الهاجَرية: كيف صُنع العالم الإسلامي» الذي خلص إلى أن الإسلام والقرآن ليسا من عمل محمد أو الإله العربي. [1]

نصوص من لصوص

صرّح الباحث غيرد بوين باعتقاده أن القرآن كان نصوصًا تتطور، ولم يكن وحيًا نزل كاملاً في القرن السابع. [3]

في القرن التاسع، كتب عبدالمسيح بن إسحاق في «رسالة الكِندي» أن الروايات في القرآن مخلوطة ومتداخلة، والأسلوب والأفكار تختلف بين أجزائه، وأن هذا دليل على أن عدة أشخاص عملوا عليها، وتسببوا في اختلافات، وأضافوا ما يحلو لهم وحذفوا ما لا يحبونه. [4]

وفي كتابه «قراءة سريا-آرامية للقرآن»، أيّد كريستوف لوكسنبرغ ادعاءات التأليف المتأخر للقرآن، وقد تتبّع الكثير من نصوصه إلى مصادر أخرى غير محمد، وقدّم أطروحة بأن القرآن هو مجرد إعادة صياغة لنصوص مسيحية سابقة، هي أسفار سريانية. [5] ووافقه الرأي جون وانزبرو بقوله أن القرآن هو تنقيح لأجزاء من كتب مقدسة، خاصة الكتب اليهودية المسيحية. [6]

طائفة مهرطقة

الباحث كارل-هاينز أوليغ وصل إلى استنتاج مفاده أن شخص محمد لم يكن محوريًا لنشأة الإسلام، وأنه في تلك المرحلة المبكرة كان مؤسسو الإسلام في الواقع طائفة مسيحية عربية لديها اعتراضات على تصور الثالوث، وأن الحديث والسيَر في وقت لاحق هي مصطنعة في جزء كبير منها، كان لها دور أساسي في فصل الإسلام عن جذوره المسيحية وبناء ديانة جديدة كاملة. [7]

في كتابه «ينبوع الحكمة»، يوحنّا الدمشقي (676-749م) الذي كان على دراية بالإسلام والعربية، سجّل في فصل بعنوان «فيما يتعلق بالبدع» سلسلة مناقشات بين المسيحيين والمسلمين؛ وادّعى أن الراهب الآري «بحِيرا» قد أثّر على محمد. واعتبر أن القرآن مجرد خليط مشوّش استُخلص من الكتاب المقدّس. [8] ويوجد ذكر للراهب بحيرا ضمن الهراطقة (أي المبتدِعة في المسيحية) في مصادر مسيحية، إذ أنه كان موحّدًا وضد عقيدة الثالوث. من ذلك ما ورد لدى يوحنّا الدمشقي في كتابِه، الجزء الخاص بالهرطقات، عدّد فيه مئة بدعة نشأت في

المسيحية، وختمها بـ«هرطقة الإسماعيليّين»، أي الإسلام. واتهم يوحنّا محمدًا بأنه أخذ دينه عن بحيرا، وأن بحيرا قد ساعد محمدًا على كتابة بعض نصوص القرآن. [9] وانتهى إلى رأي مفاده أن مؤسسي الإسلام هم طائفة مسيحية مهرطقة ألهمت آراؤها الخاطئة القرآن. ويؤكد بعض المؤلفين العرب أن بحيرا هو مصدر ما يتوافق مع مبادئ المسيحية من القرآن، بينما تم تأليف الباقي إما عن طريق مؤلفين لاحقين مثل عثمان بن عفان أو يهود وعرب معاصرين له. وتشترك السير الذاتية الجدلية المسيحية لمحمد في الادعاء بأن الأمّية المزعومة لمحمد لا تعني أنه تلقى التعليم الديني حصرًا من الملَك جبرائيل، وغالبًا ما عرّفت بحيرا كمعلّم سرّي لمحمد. [10]

تبديل السبت

يوم السبت هو اليوم السابع من الأسبوع، وهو اليوم الذي تقول الكتب الإبراهيمية أن الخالق استراح فيه (أو استوى على العرش) بعد خلق الكون في ستة أيام. ولذلك أصبح هو اليوم المؤكد للراحة من العمل. هذا في التوراة، وأكد القرآن أنه كان يوم العطلة الأسبوعية: {.. وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُواْ فِي ٱلسَّبْتِ ..} 4|154

وبما أن القرآن أتى «مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ» 5|48 فإن تبديل السبت إلى اليوم السادس (المسمى جمعة) هو ابتداع، ونقض للتوراة والقرآن.

ورقة بن نوفل

بعض الباحثين اعتبروا أن تأثير «بحيرا» على محمد كان محدودًا لأن مقره (في بلاد الشام) كان بعيدًا ولم يتواصلا كثيرًا، وقدّموا فرضية أقوى، تقول أن محمدًا كان يتلقى أكثر ما جاءه من علم.. من ابن عم زوجته خديجة، القَس «ورقة بن نوفل» الذي كان يجيد اللغة العبرانية ودرس الإنجيل العبراني وغيره من الكتب، وأن معتقد العبرانيين الذين آمنوا بالمسيح هو أن الخلاص يكون بالجمع بين الإيمان بالمسيح وإقامة شريعة موسى، وأنه كان بين محمد ومعلّمه ورقة لقاءات كثيرة لسنين عديدة، أُخفيت لغرض إظهار محمد كنبي (يوحى إليه من ملَك كان يزوره)، وأن أكثر ما في الأجزاء المكّية من القرآن هو ترجمة لمحتوى الإنجيل العبراني. [7][11]

ومن القرائن على ذلك.. تردده طوال شبابه على غار حراء البعيد عن أعين الناس حيث أمكن له دراسة ما جلبه من كتب من الشام، وأنه لم يبدأ دعوته حتى تعدى سن الأربعين.. ثم «فتور الوحي» بعد موت القس:
{عن عائشة: كانَ أَوَّلَ ما بُدِئَ به رَسولُ اللَّهِ الرُّؤْيا الصّادِقَةُ في النَّوْمِ [...] فكانَ يَلْحَقُ بغارِ حِراءٍ فَيَتَحَنَّثُ فيه - قالَ: والتَّحَنُّثُ: التَّعَبُّدُ - اللَّيالِيَ ذَواتِ العَدَدِ [...] ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ ورَقَةُ أنْ تُوُفِّيَ، وفَتَرَ الوَحْيُ فَتْرَةً، حتّى حَزِنَ رَسولُ اللَّهِ ..} [12]

كان يتعلم

فكرة أن محمدًا كان يتعلّم محتوى القرآن من مصادر أرضية.. كانت حاضرة منذ البداية، عندما لاحظ قومه قرائن عليها:
{.. جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ * ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ} 44|13-14
(القرطبي: أَيْ: عَلَّمَهُ بَشَرٌ أَوْ عَلَّمَهُ الْكَهَنَةُ وَالشَّيَاطِينُ)
{وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ} 16|103
(الطبري: .. أنهم فيما ذُكر كانوا يزعمون أن الذي يعلِّم محمدًا هذا القرآن عبد روميّ [...] وكان قَينًا بمكة نصرانيا [...] ابن عباس قال: كان رسول الله .. يعلِّم قينا بمكة، وكان أعجميّ اللسان، وكان اسمه بَلْعام، فكان المشركون يَرَوْن رسول الله .. حين يدخل عليه، وحين يخرج من عنده، فقالوا: إنما يعلِّمه بلعام [...] قتادة [قال ..] عبد لبني الحَضْرميّ يقال له يعيش، [...] وكان يعيش يقرأ الكُتُب [...] ابن إسحاق قال: كان رسول الله .. فيما بلغني كثيرًا ما يجلس عند المَرْوَة إلى غلام نصراني يقال له جَبْر، [...] قال عبد الله بن كثير: [...] اسمه جَبْر وكان صاحب كُتُب [...] وقال آخرون: بل كانا غلامين اسم أحدهما يسار والآخر جَبْر [...] فكانا يقرآن التوراة، وكان رسول الله .. ربما جلس إليهما، فقال كفار قريش: إنما يجلس إليهما يتعلم منهما، [...] وقال آخرون: بل كان ذلك سَلْمان الفارسي.)

الهدف العلو

غياب مواد مؤيدة معاصرة للقرن الأول من الإسلام أثار الأسئلة حول صحة ما قدمته المصادر التقليدية اللاحقة. كل ما حُفظ من هذه الفترة هو نقود ونقوش تذكارية قليلة على المباني. لكن بعض العلماء يرفضون التقليل من شأن المصادر الرئيسة لذلك العصر.

إلى جانب نقوش قبة الصخرة، توجد مقاطع قرآنية قصيرة على العملات المعدنية التي صدرت في عهد عبد الملك بن مروان (697-750م) منها جزء من النص 9 من سورة الصف باختلاف بسيط (حذف كلمة رسول): «أَرْسَلَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ». وبالتوازي مع نقوش قبة الصخرة، من الواضح أن هذه المقاطع تهدف إلى إعلان علوّ دين الإسلام الجديد، وفوقيته على المسيحية على وجه الخصوص. [13]

مكة الأصلية

توصّل بعض الباحثين المعاصرين (وعلى رأسهم باتريشيا كرون، توم هولاند، و دان غيبسون) إلى دلائل قوية.. على أن مكة التي في الحجاز.. مزيَّفة، مستحدثة، وأن مكان المسجد الحرام الحالي (الكعبة) ليس هو الأصلي

المذكور في القرآن والأحاديث، وأن الكعبة أزيلت من مكانها الذي كان بين يثرب وفلسطين، ويرجّح أنه البتراء في الأردن، ثم بُنيت في مكة الحجاز، وأن نصوص تحويل القِبلة وُضعت لهذا الغرض، وحُددت مواقع بديلة للحج، ووُجّه الناس إليها. وبهذا يبطل العجب من مسألة تحويل القبلة، إذ من اللامنطقي أن تكون لمحمد وأتباعه قبلة أولى غير الكعبة التي آمنوا أن إبراهيم بناها، وكان الناس يحجّون إليها ويطوفون حولها. [14]

من تلك الدلائل:

- أن نصوص القرآن والأحاديث الخاصة بمكة (أم القرى) تناسب ذلك المكان أكثر من مكة الحجاز
- أنه قريب من وطن إبراهيم في فلسطين، لأنه وفقًا للقرآن، أخذ ابنه إسماعيل إليه، ثم بَنَيا الكعبة فيه
- أنه كان مركزًا دينيًا هامًا ومزارًا يحجّ الناس إليه، فيه آثار معبد ومسعىً بين جبلين (الصفا والمروة الأصليين)
- أنه صالح لمعيشة قريش، القوم كثيري العدد، ولرعي خيلهم وإبلهم وغنمهم، بينما أرض مكة الحجاز غير صالحة للزراعة
- وجود عدة مساجد أثرية في بلاد الشام وغيرها، بُنيت بعد زمن محمد، قِبلتها باتجاه ذلك المكان
- عدم ذكر مكة في أي وثيقة عُثر عليها كُتبت قبل منتصف القرن الثامن، من المسلمين أو من غيرهم، لا كتاب ولا مخطوطة ولا رسالة
- عدم وجود آثار أو نقوش في مكة الحجاز، بينما تتوفر في البتراء وغيرها من بلاد العرب، بالرغم من ثراء مكة الثقافي قبل الإسلام، وقدوم الحُجّاج إليها من كل صوب من قديم الزمان
- وجود آثار قصف المنجنيق في البتراء، لا في مكة
- فقدان المؤلفات الإسلامية التي كُتبت في القرنين الأول والثاني (اللذان قال محمد أنهما خير القرون)

واقترضوا أن ما حدث كالتالي:

كان عبدالله بن الزبير واليًا على يثرب في عهد الخليفة معاوية. بايعه جزء كبير من المسلمين للخلافة بعد مقتل الحسين بن علي، ورفضوا مبايعة يزيد بن معاوية، ومنهم ابن عباس حَبر الأمّة ومنهم شيعة آل محمد. إبّان الحرب بين حزبه (الديني) وحزب يزيد، الأمويين (القومي)، لجأ ابن الزبير إلى البتراء (مكة الأصلية)، وبعد قصف الكعبة وتهدّمها، وفكّ الحصار عنها بسبب موت يزيد.. أقدم على تسويتها بالأرض، وأخْذ الحجر الأسود، والهجرة وتهجير السكّان معه إلى أرض مكة الحالية، وبناء الكعبة فيها، وإشاعة أن فيها القواعد التي أسسها إبراهيم، لكي يكونوا بعيدين عن منال الأمويين، ويتمترسوا في هذا المكان الحصين المتواري بين الجبال، وتكون الكعبة في دولتهم، لا في دولة عدوّهم. وقد شملت دولة الخليفة ابن الزبير معظم البلاد الإسلامية، ولم يبق للأمويين غير سوريا. وصار الأمويون يقدّسون البلدة القديمة بلا كعبة، ويحجّون بالناس إليها، وأعداؤهم يقدّسون الجديدة التي فيها الكعبة ويحجّون إليها، وكان البعض يقدّس البلدتين ويحجّ إليهما في عام واحد. [14]

بالرغم من مقص الرقيب العباسي، فإن لهذا ما يثبته ويؤكده في المصادر الإسلامية وغيرها، كما يلي:

في كتب التاريخ

بدءًا من عام 63 هـ، عبارات تشي بالأمر.

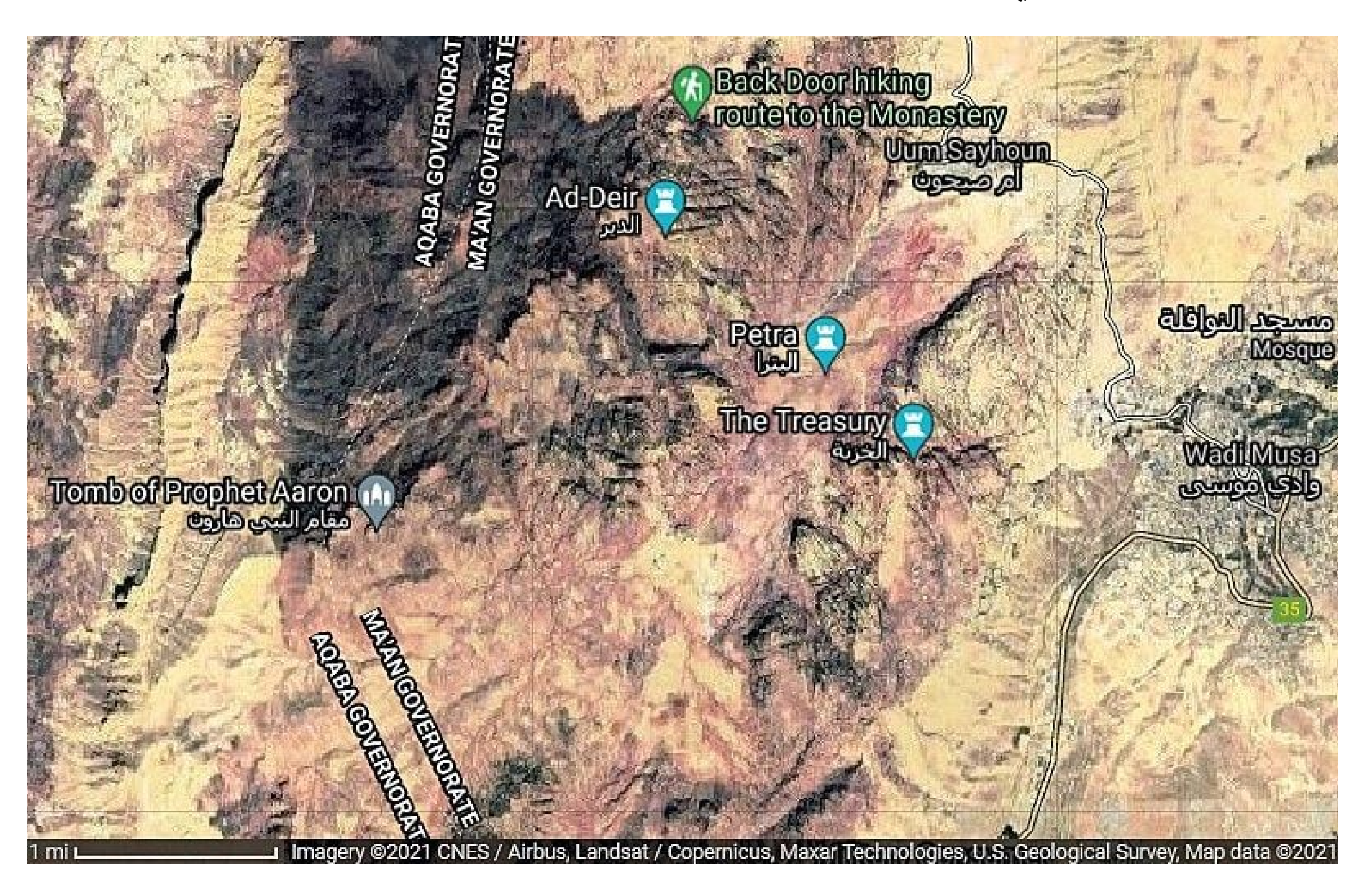
مثال: «حَجَّ أبّان بن عثمان وهو على المدينة بالناس حجتين سنة ست وسبعين.» [15] هذا لا مبرر له إلا وجود مكانين مختلفين للحج.

مثال آخر: «لَمَّا قَتَلَ مُصْعَبُ بْنُ الزُّبَيْرِ الْمُخْتَارَ، طَلَبَ أَصْحَابُ الْمُخْتَارِ مِنْ مُصْعَبٍ الْأَمَانَ، فَأَمَّنَهُمْ، ... فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنْهُم: ... نَحْنُ أَهْلُ قِبْلَتِكُمْ وَعَلَى مِلَّتِكُمْ وَقَدْ قَدَرْتَ فَاسْمَحْ وَاعْفُ عَنَّا.» [16] قوله «نَحْنُ أَهْلُ قِبْلَتِكُمْ» يدل على أن في ذلك الوقت، كان للمسلمين أكثر من قبلة واحدة.

ولعل مما ثنى الأمويين عن إرجاع الحجر الأسود إلى البتراء.. أن زلزالاً ضربها ودمر جزءًا منها، إذ اعتبروه غضب «الله» عليها.

وبعد سنين من انقسام الناس بين القبلتين، هزم العباسيون أعداءهم الأمويين واستولوا على الدولة، وفضّلوا القبلة الجديدة وفرضوها قبلة للمسلمين في كل مكان، وحرصوا على إخفاء كل ما يدل على أن البتراء هي مكة الأصلية. يمكن افتراض عدة أسباب لذلك، منها.. الدمار الذي أصابها من قصفها بالمنجنيق ومن الزلزال، وأن اختيار القبلة الجديدة هو بمثابة انتصار للحزب الموالي لهم وقهر للآخر المعادي، وحرصهم على طمس التاريخ العربي والإسلامي المبكر (المرتبط باليهود والنصارى) وما قد يفضح بشرية القرآن، وكتابة تاريخ جديد مستقل، (فالتاريخ يكتبه المنتصر؛) وقد امتدت يد هذه الكتابة.. لتطال القرآن والأحاديث والسيَر.

في صورة المكان من قمر صناعي



تبيّن الصورة.. أن البتراء بين جبلين، يمكن افتراض أنهما «الأخشبان»، وبجوارها وادي موسى ومقام هارون، وهذا يبرر انشغال القرآن بقصة موسى وهارون وتكررها فيه (كما يبين القسم 10)، فيبدو أنها كانت أهم قصة في تراث أهل هذه المنطقة.

في القرآن

هذا نص يشير إلى أن أهل مكة (قريش) هم من كان يقوم برعاية للحُجّاج والمسجد الحرام:
{أَجَعلتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ..} 9|19

وهذا النص من سورة مكّية:
{وَإِنَّ لُوطًا لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ • إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ • إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ • ثُمَّ دَمَّرْنَا الآخَرِينَ • وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُصْبِحِينَ • وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ} 37|133-138
قال الساجع لأهل مكة «تَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُصْبِحِينَ وَبِاللَّيْلِ»، ولم يقل «كل صيف وشتاء»، أي أنهم كانوا يمرّون على أطلال قوم لوط «سدوم» باستمرار، صبحًا وليلاً؛ ومعلوم أن هذا الموقع مجاور لفلسطين، قُرب البتراء، وأنه وفقًا للتوراة.. لوط هو ابن أخي إبراهيم، الذي كان يعيش في فلسطين. [17]

وهذا النص أيضًا من سورة مكّية، المقصود به أهل مكة:
{وَأَنذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ • وَسَكَنتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ..} 14|44-45
لا يوجد في مكة الحجاز ولا في ما حولها أثر لمساكن أقدم من زمان محمد، بينما هي موجودة في البتراء وما حولها.

وهذه نصوص من سوَر مكّية عن الزراعة في مكة الأصلية، والخطاب فيها موجّه إلى أهلها (لأن الجدال في السوَر المكّية كان معهم، وكان القرآن يردّ على أسئلتهم وحججهم):
{أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ • أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ} 56|63-64
{وَحَدَائِقَ غُلْبًا • وَفَاكِهَةً وَأَبًّا • مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ} 80|30-32
{هُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ • يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ ..} 16|10-11

أرض مكة الحجاز غير صالحة للزراعة. ولا ريب أن وطن قريش كثيري العدد كان لا بد أن يكون زراعيًا ليعيشوا ويأكلوا هم ومواشيهم.

أيضًا، يتكرر في القرآن ذِكر نزول الماء من السماء (هطول الأمطار على أرض مكة الأصلية)، ولم يُذكر فيه ماء بئر زمزم (المعجزة المزعومة) إطلاقًا.

أما النص {رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ} 14|37

فإما أنه يعني أنها أصبحت زراعية ذات ثمرات.. بدعاء إبراهيم، أو أن المقصود به وادٍ مجاور للبتراء، إذ أن قوله «عِنْدَ بَيْتِكَ» ربما يعني أن الوادي قريب من البيت، لا أن البيت في الوادي، أو.. أن النص أضيف إلى القرآن بعد تغيير موقع الكعبة.

ووُصفت بأنها أم القرى:

{.. لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا ..} 42|7، 6|92

لم يكن اسم «أم القرى» لائقًا بمكة الحجاز، المكان المغمور المنعزل في منطقة نائية جرداء، بينما كانت تليق بالبتراء.

وأنها كانت تسمّى بَكّة:

{إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ} 3|96

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: «وَحُدِّثْتُ أَنَّ قُرَيْشًا وَجَدُوا فِي الرُّكْنِ كِتَابًا بِالسُّرْيَانِيَّةِ، فَلَمْ يَدْرُوا مَا هُوَ حَتَّى قَرَأَهُ لَهُمْ رَجُلٌ مِنْ يَهُودَ، فَإِذَا هُوَ: أَنَا اللَّهُ ذُو بَكَّةَ، خَلَقْتُهَا يَوْمَ خَلَقْتُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ، وَصَوَّرْتُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ، وَحَفَفْتُهَا بِسَبْعَةِ أَمْلَاكٍ حُنَفَاءَ، لَا تَزُولُ حَتَّى يَزُولَ أَخْشَبَاهَا، مُبَارَكٌ لِأَهْلِهَا فِي الْمَاءِ وَاللَّبَنِ.» [18]

السريانية لغة تخص أهل سوريا والعراق، [19] لا علاقة لها بجنوب الحجاز.

في الأحاديث

أنها بين جبلين:

{عائشة قالت لمحمد: هلْ أتى عَلَيْكَ يَوْمٌ كانَ أشَدَّ مِن يَومِ أُحُدٍ؟ قالَ: لقَدْ لَقِيتُ مِن قَوْمِكِ ما لَقِيتُ، وكانَ أشَدَّ ما لَقِيتُ منهمْ يَومَ العَقَبَةِ، إذْ عَرَضْتُ نَفْسِي على ابْنِ عبدِ يالِيلَ بنِ عبدِ كُلالٍ، فَلَمْ يُجِبْنِي إلى ما أرَدْتُ، فانْطَلَقْتُ وأنا مَهْمُومٌ على وجْهِي، فَلَمْ أسْتَفِقْ إلّا وأنا بقَرْنِ الثَّعالِبِ، [...] فَنادانِي مَلَكُ الجِبالِ فَسَلَّمَ عَلَيَّ، ثُمَّ قالَ: يا مُحَمَّدُ، ذلكَ فِيما شِئْتَ، إنْ شِئْتَ أنْ أُطْبِقَ عليهمُ الأخْشَبَيْنِ ..} [20]

{قال محمد: إذا كُنْتَ بينَ الأخشبَيْنِ مِن مِنًى، (ونفَخ بيدِه نحوَ المَشرِقِ) فإنَّ هناك واديًا يُقالُ له السُّرَرُ، به شَجرةٌ سُرَّ تحتَها سبعونَ نَبيًّا.} [21]

وفقًا لهذا الحديث، وُلد بين الأخشبين 70 نبيًا. من المعروف أن أكثر قصص الأنبياء أماكنها المزعومة في بلاد الشام ومصر، وليس منها جنوب الحجاز.

قال ابن كثير عن الأخشبين: «هُمَا جَبَلَا مَكَّةَ اللَّذَانِ يَكْتَنِفَانِهَا جَنُوبًا وَشَمَالًا.» [22]

هذا الوصف ينطبق على جبليّ البتراء.

وأن المسعى في بطن مَسِيل:

{ابْن عُمَرَ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ... إِذَا طَافَ الطَّوَافَ الْأَوَّلَ خَبَّ ثَلَاثًا وَمَشَى أَرْبَعًا، وَكَانَ يَسْعَى بِبَطْنِ الْمَسِيلِ إِذَا طَافَ بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ.} [23]

وفي المصادر الإسلامية أنها كانت من بلاد العماليق:

{وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ ..} 2|127

(الطبري: عَنْ مُجَاهِد وَغَيْرِهِ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ: أَنَّ اللَّهَ لَمَّا بَوَّأَ إِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ خَرَجَ إِلَيْهِ [...] وَخَرَجَ مَعَهُ جِبْرِيلُ، [...] حَتَّى قَدِمَ بِهِ مَكَّةَ، [...] وَبِهَا أُنَاسٌ يُقَالُ لَهُمْ «الْعَمَالِيقُ» خَارِجَ مَكَّةَ وَمَا حَوْلَهَا ..)

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ فِي خَبَرِ قَوْمِ عَادٍ: «كَانَ الْبَيْتُ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ مَعْرُوفًا مَكَانُهُ، وَالْحَرَمُ قَائِمٌ فِيمَا يَذْكُرُونَ، وَأَهْلُ مَكَّةَ يَوْمَئِذٍ الْعَمَالِيقُ» [24]

العماليق (العمالقة) قوم مذكورون في التوراة، وفيها أن بلادهم كانت بين مصر وسوريا:

{وَأَمِيرُ قُورَحَ وَأَمِيرُ جَعْثَامَ وَأَمِيرُ عَمَالِيقَ. هؤُلاَءِ أُمَرَاءُ أَلِيفَازَ فِي أَرْضِ أَدُومَ. ..} سفر التكوين 36|16

{وَأَبَى مَلِكُ أَدُومَ أَنْ يَأْذَنَ لِلإِسْرَائِيلِيِّينَ بِاجْتِيَازِ أَرَاضِيهِ. فَتَحَوَّلُوا عَنْهُ.} سفر العدد 20|21

إقليم أَدُوم يمتد مسافة مائة ميل بين البحر الميت وخليج العقبة. وكانت سالع عاصمة أدوم قديمًا، ثم تغير اسمها فيما بعد إلى البتراء. [25]

{تَذَكَّرُوا مَا صَنَعَهُ بِكُمْ شَعْبُ عَمَالِيقَ لَدَى خُرُوجِكُمْ مِنْ مِصْرَ،} سفر التثنية 25|17

{ثُمَّ رَجَعُوا وَجَاءُوا إِلَى عَيْنِ مِشْفَاطَ الَّتِي هِيَ قَادِشُ. وَضَرَبُوا كُلَّ بِلاَدِ الْعَمَالِقَةِ، ..} سفر التكوين 14|7

عين مشفاط (قَادَشَ بَرْنِيع) تقع غرب وادي عَرَبة، قرب الحد الجنوبي لبني إسرائيل. ويرّجح أنها عين قديس، على مسافة 80 كيلو-مترًا جنوب بئر سبع. [26]

وفي الأحاديث أن محمدًا، قبل الهجرة، التقى بوفد من يثرب وبايعوه في العَقَبة، بما سمّي «بيعة العقبة»، تحت شجرة:

{انْطَلَقَ النَّبِيُّ ... وَمَعَهُ الْعَبَّاسُ عَمُّهُ إِلَى السَّبْعِينَ مِنْ الْأَنْصَارِ عِنْدَ الْعَقَبَةِ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ..} [27]

{.. ابْن مَسْعُودٍ ... رَمَى جَمْرَةَ الْعَقَبَةِ، فَاسْتَبْطَنَ الْوَادِيَ حَتَّى إِذَا حَاذَى بِالشَّجَرَةِ اعْتَرَضَهَا ..} [28]

العقبة.. جنوب الأردن، في الطريق بين يثرب والبتراء. المسافة بين البتراء والعقبة أقل من 99 كيلو-متر.

وأن محمدًا لمّا هاجر من مكة الأصلية إلى يثرب (المدينة)، دخلها من «ثَنِيَّة الوَدَاع». الثَنِيَّة هي ممرّ في جبل. ثنيّة الوَداع هي ممرّ في جبل شمال يثرب (جهة الشام وتبوك):

{السائب بن يزيد قَالَ: خَرَجْتُ مَعَ الصِّبْيَانِ إِلَى ثَنِيَّةِ الْوَدَاعِ نَتَلَقَّى رَسُولَ اللَّهِ ... مِنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ.} [29]

وعن هجرة محمد، حديث في صحيح البخاري – كتاب مناقب الأنصار – باب مقدم النبي وأصحابه المدينة: {الْبَرَاء بْنَ عَازِبٍ قَالَ: أَوَّلُ مَنْ قَدِمَ عَلَيْنَا مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ [...] ثُمَّ قَدِمَ النَّبِيُّ ... فَمَا رَأَيْتُ أَهْلَ الْمَدِينَةِ فَرِحُوا بِشَيْءٍ

فَرَحَهُمْ بِرَسُولِ اللَّهِ ..} [30]
قال ابن حَجَر في شرح هذا الحديث: أخرج أبو سعيد في «شرف المصطفى»... من طريق عُبيدالله بن عائشة منقطعًا: لما دخل النبي ... المدينة، جعلت الولائد يقُلن: طلع البدر علينا من ثنيّات الوداع .. [31]
وقال ابن كثير في «البداية والنهاية»، في فصل «دُخُولِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ الْمَدِينَةَ وَأَيْنَ اسْتَقَرَّ مَنْزِلُهُ بِهَا» [32]: لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ... الْمَدِينَةَ جَعَلَتِ النِّسَاءُ وَالصِّبْيَانُ يَقُلْنَ:

طَلَعَ الْبَدْرُ عَلَيْنَا • مِنْ ثَنِيَّاتِ الْوَدَاع
وَجَبَ الشُّكْرُ عَلَيْنَا • مَا دَعَا لِلَّهِ دَاع

وروى البيهقي هذا في «دلائل النبوة»، وقال عن هذا النشيد: «هَذَا يَذْكُرُهُ عُلَمَاؤُنَا عِنْدَ مَقْدَمِهِ الْمَدِينَةَ مِنْ مَكَّةَ، لَا أَنَّهُ لَمَّا قَدِمَ الْمَدِينَةَ مِنْ ثَنِيَّاتِ الْوَدَاعِ عِنْدَ مَقْدَمِهِ مِنْ تَبُوكَ ..» [33]
ورواه أبو الحسن الخلعي في «الفوائد» وأكّده الإمام الغزالي وابن الجوزي. [34]

الطائف الأصلية

بلدة الطائف التي في الحجاز.. كان إسمها وُج، فلماذا غُيّر؟
ذلك لأن الطائف كانت حاضرة في الكتب وذاكرة الناس كبلدة من بلاد الشام، ومجاورة لمكة الأصلية (البتراء)، ولكي يتم نجاح تزييف الواقع.. أُشيعت فيهم خرافة بأنها نُقلت إلى الحجاز. ودُوّن ذلك في عدة كتب:
«لَمَّا دَعَا [إبراهيم] عَلَيْهِ السَّلَامُ بِأَنْ يُرْزَقَ سُكَّانُ مَكَّةَ مِنَ الثَّمَرَاتِ، بَعَثَ اللَّهُ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَاقْتَلَعَ بِجَنَاحِهِ قِطْعَةً مِنْ أَرْضِ فِلَسْطِينَ، وَقِيلَ مِنَ الْأُرْدُنِ، فَجَاءَ بِهَا وَطَافَ حَوْلَ الْبَيْتِ بِهَا سَبْعًا، وَوَضَعَهَا قُرَيْبَ مَكَّةَ» [35]

وروي أيضًا في عدة كتب، أن عبدًا لعائلة في الطائف كان من العراق:
«وَتُوُفِّيَ أَبُو طَالِبٍ وَابْتُلِيَ رَسُولُ اللَّهِ ... فَعَمَدَ لِثَقِيفَ بِالطَّائِفِ ... وَتَهَزَّءُوا بِهِ، ... فَعَمَدَ إِلَى حَائِطٍ مِنْ حَوَائِطِهِمْ، ... فَإِذَا فِي الْحَائِطِ عُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ وَشَيْبَةُ أَخُوهُ ... فَلَمَّا رَأَيَاهُ أَرْسَلَا إِلَيْهِ غُلَامًا لَهُمَا يُدْعَى عَدَّاسًا ... قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ..: مِنْ أَيِّ أَرْضٍ أَنْتَ يَا عَدَّاسُ؟ قَالَ: مِنْ أَهْلِ نِينَوَى ..» [36]
في هذا دلالة على أن الطائف كانت في الشام المجاورة، لا في جنوب الحجاز، إذ لا يليق بالتاريخ ولا بالجغرافيا أن ينتقل عبد من العراق إلى أقصى جنوب الحجاز.



وهكذا، ينكشف مستور آخر، وتكون الفضيحة مزدوجة، فلا كتاب الإسلام المقدّس أصلي، ولا أرضه المقدّسة أصلية. كله زيف وخداع.

النبوة، الكهانة والعرافة

مرتبطة بالدجل والخرافة

هلمّوا علماء الشعب وأشرافه

لنعالج خطأه وانحرافه



[^][1] ويكيبيديا العربية والإنغليزية – مفترق طرق الإسلام: أصول ديانة العرب ودولة العرب (كتاب)

[^][2]ويكيبيديا – الفتح الإسلامي للشام

[^][3] Querying the Koran, by Abul Taher, The Guardian, 8-8-2000

[^][4] Andrew Rippin, 1991, Muslims: their religious beliefs and practices, v1 p26

[^][5] The Syro-Aramaic Reading Of The Qur'an, 2007

[^][6] Quranic Studies 1977 and The Sectarian Milieu 1978 by John Wansbrough

[^][^][7] Karl-Heinz Ohlig, 2007, Der frühe Islam

[^][8] St. John of Damascus's Critique of Islam, 1958, p153-160

[^][9] ينبوع المعرفة ليوحنا الدمشقي

[^][10] Barbara Roggema, «Baḥīrā», Encyclopaedia of Islam, THREE, 2014 [2011]

[^][11] قس ونبي لأبي موسى الحريري

[^][12] صحيح البخاري 4953

[^][13] Estelle Whelan, 1998 «Forgotten Witness: Evidence For The Early Codification Of The Qur'an»

[^][14] • جغرافية القرآن لدان غيبسون – القسم السادس

• مقالة «ثرثرة خارج التراث.. كيف تحولت الكعبة من البتراء إلى مكة» لطه لمخير

• Wikipedia – Bakkah

• Wikipedia – Mecca

[^][15] تاريخ الطبري – سنة76

[^][16] الكامل في التاريخ لابن الأثير – سنة67، البداية والنهاية لابن كثير – سنة71، سير أعلام النبلاء للذهبي ج3 ص539

[^][17] الكتاب المقدس – سفر التكوين 12|5

[^][18] السيرة النبوية لابن هشام ج1 ص196، تفسير القرطبي 2|127، البداية والنهاية لابن كثير ج3 ص475

[^][19] ويكيبيديا – اللغة السريانية

[^][20] صحيح البخاري 3231، صحيح مسلم 1795، صحيح ابن حبان 6561

[^][21] صحيح ابن حبان 6244، مسند أحمد 6197، موطأ مالك 966، سنن النسائي الكبرى 2995

[^][22] تفسير ابن كثير 6|58

[^][23] صحيح مسلم 1261، مسند أحمد 5703، صحيح ابن خزيمة 2762، سنن البيهقي 9064، سنن الدارمي 1841

[^][24] تفسير الطبري 7|69

[^][25] إقليم أدوم – موقع الأنبا تكلا هيمانوت

[^][26] قَادَشَ بَرْنِيعَ – موقع الأنبا تكلا هيمانوت

[^][27] مسند أحمد 16630، البداية والنهاية لابن كثير ج4 ص394، سير أعلام النبلاء للذهبي ج2 ص247

[^][28] صحيح البخاري 1750

[^][29] صحيح البخاري 4426، صحيح أبي داود 2779، صحيح ابن حبان 4792، صحيح الترمذي 1718، مسند أحمد 15294

[^][30] صحيح البخاري 3925، مسند أحمد 18568، سنن النسائي الكبرى 11666

[^][31] فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني 3925

[^][32] البداية والنهاية لابن كثير ج4 ص485

[^][33] البداية والنهاية لابن كثير - سنة8، التوضيح لشرح الجامع الصحيح لابن الملقن 4161

[^][34] تلبيس إبليس لابن الجوزي ص251، وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى للسمهودي ص43

[^][35] تفاسير ابن عطية، الكشاف للزمخشري 14|35، الطبري، البغوي، القرطبي، ابن أبي حاتم، الدر المنثور للسيوطي 2|126، معجم البلدان لياقوت الحموي - الطائف

[^][36] سير أعلام النبلاء للذهبي ج26 ص231، السيرة النبوية لابن هشام ج1 ص421، الكامل في التاريخ لابن الأثير ج1 ص685، البداية والنهاية لابن كثير ج14 ص337، تفسير البغوي 46|29، تفسير القرطبي 46|29

^ ^ ^ ^

16. الدوافع .. المنافع

في الأقسام السابقة.. براهين كافية على أن القرآن ليس وحياً من خارج الكوكب، وإنما كلام مسجوع صاغه أشخاص جاهلون مما وجدوه من إرث الأمم، لكي يكون لهم دين «سماوي» وسلطان «إلهي»، به يتمكنون من تطويع الناس وتعبيدهم وتجنيدهم لينالوا العزة والمجد والتمتع بالنساء والغنائم.

العزة لهم والذلة لغيرهم

{مَرِضَ أَبُو طَالِبٍ، فَأَتَتْهُ قُرَيْشٌ وَأَتَاهُ رَسُولُ اللَّهِ ... يَعُودُهُ، وَعِنْدَ رَأْسِهِ مَقْعَدُ رَجُلٍ فَقَامَ أَبُو جَهْلٍ فَقَعَدَ فِيهِ، فَقَالُوا: إِنَّ ابْنَ أَخِيكَ يَقَعُ فِي آلِهَتِنَا. قَالَ: مَا شَأْنُ قَوْمِكَ يَشْكُونَكَ؟ قَالَ: يَا عَمِّ، أُرِيدُهُمْ عَلَى كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ، تَدِينُ لَهُمْ بِهَا الْعَرَبُ وَيَملِكُونَ رِقَابَ العَجَمِ (أو: تَذِلُّ لَهُمْ بِهَا الْعَرَبُ وَتُؤَدِّي الْعَجَمُ إِلَيْهِمْ الْجِزْيَةَ). قَالَ: مَا هِيَ؟ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. ..} [1]

{مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا ..} 35|10

(الطبري: مَنْ كَانَ يُرِيد الْعِزَّة، فَبِاللَّهِ فَلْيَتَعَزَّزْ)

{.. وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ..} 63|8

{الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا} 4|139

{وَلَا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ..} 10|65

{.. مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ ..} 5|54

{وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ ..} 3|123

{وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} 3|139

{فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ ..} 47|35

(الطبري: لا تضعفوا عنهم وتدعوهم إلى الصلح والمسالمة وأنتم القاهرون لهم والعالون عليهم)

(ابن كثير: ... فِي حَالِ عُلُوّكُمْ عَلَى عَدُوّكُمْ. فَأَمَّا إِذَا كَانَ الْكُفَّارُ فِيهِمْ قُوَّةٌ وَكَثْرَةٌ بِالنِّسْبَةِ إِلَى جَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ، وَرَأَى الْإِمَامُ فِي الْمُعَاهَدَةِ وَالْمُهَادَنَةِ مَصْلَحَةً، فَلَهُ أَنْ يَفْعَلَ ذَلِكَ، كَمَا فَعَلَ رَسُولِ اللَّهِ ... حِينَ صَدَّهُ كُفَّارُ قُرَيْشٍ عَنْ مَكَّةَ، وَدَعَوْهُ إِلَى الصُّلْحِ وَوَضْعِ الْحَرْبِ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ عَشْرَ سِنِينَ، فَأَجَابَهُمْ إِلَى ذَلِكَ.)

{كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ..} 3|110

{إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ} 58|20

{.. وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا ..} 9|40

{قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ} 9|29

{قال محمد: بُعِثْتُ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ بِالسَّيْفِ، حَتَّى يُعْبَدَ اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَجُعِلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رُمْحِي، وَجُعِلَ الذِّلَّةُ وَالصَّغَارُ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرِي ..} [2]

التمتع بالغنائم

{وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ..} 8|41

{لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا • وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا [...] وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا ..} 48|18-20

التمتع بالنساء

{قال محمد: حُبِّبَ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا النِّسَاءُ وَالطِّيبُ ..} [3]

{يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ [...] وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ [...] • تُرْجِئُ مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ..} 33|50-51

{قَالَتْ عَائِشَةَ: كُنْتُ أَغَارُ عَلَى اللَّاتِي وَهَبْنَ أَنْفُسَهُنَّ لِرَسُولِ اللَّهِ ... وَأَقُولُ: أَتَهَبُ الْمَرْأَةُ نَفْسَهَا؟ فَلَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى «تُرْجِئُ مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ [...] » قُلْتُ: مَا أُرَى رَبَّكَ إِلَّا يُسَارِعُ فِي هَوَاكَ} [4]

{عَنْ عَائِشَةَ ... أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ... كَانَ يَسْتَأْذِنُ فِي يَوْمِ الْمَرْأَةِ مِنَّا بَعْدَ أَنْ أُنْزِلَتْ هَذِهِ الْآيَةَ: «تُرْجِئُ مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ ..»} [5]

{قَالَتْ عَائِشَةَ: [...] كُنْتُ أُطَيِّبُ رَسُولَ اللَّهِ ... فَيَطُوفُ عَلَى نِسَائِهِ ..} [6]

{قَتَادَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ... يَدُورُ عَلَى نِسَائِهِ فِي السَّاعَةِ الْوَاحِدَةِ مِنَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُنَّ إِحْدَى عَشْرَةَ. قُلْتُ لِأَنَسٍ: أَوَكَانَ يُطِيقُهُ؟ قَالَ: كُنَّا نَتَحَدَّثُ أَنَّهُ أُعْطِيَ قُوَّةَ ثَلَاثِينَ.} [7]

{قَالَتْ عَائِشَةَ: [...] كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ... إِذَا انْصَرَفَ مِنْ الْعَصْرِ دَخَلَ عَلَى نِسَائِهِ فَيَدْنُو مِنْ إِحْدَاهُنَّ، فَدَخَلَ عَلَى حَفْصَةَ فَاحْتَبَسَ أَكْثَرَ مِمَّا كَانَ يَحْتَبِسُ} [8]

{قَالَتْ عَائِشَةَ: كَانَتْ إِحْدَانَا إِذَا كَانَتْ حَائِضًا فَأَرَادَ رَسُولُ اللَّهِ ... أَنْ يُبَاشِرَهَا أَمَرَهَا أَنْ تَتَّزِرَ فِي فَوْرِ حَيْضَتِهَا ثُمَّ يُبَاشِرُهَا ... وَأَيُّكُمْ يَمْلِكُ إِرْبَهُ كَمَا كَانَ النَّبِيُّ ... يَمْلِكُ إِرْبَهُ} [9]

{قَالَتْ مَيْمُونَةَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ... يُبَاشِرُ الْمَرْأَةَ مِنْ نِسَائِهِ وَهِيَ حَائِضٌ إِذَا كَانَ عَلَيْهَا إِزَارٌ يَبْلُغُ أَنْصَافَ الْفَخِذَيْنِ..} [10]

{.. وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ... قَدْ اصْطَفَى لِنَفْسِهِ مِنْ نِسَائِهِمْ رَيْحَانَةَ بِنْتَ عَمْرِو بْنِ خُنَافَةَ، إِحْدَى نِسَاءِ بَنِي عَمْرِو بْنِ قُرَيْظَةَ ..} [11]

{قَالَتْ عَائِشَةَ: لَمَّا قَسَمَ رَسُولُ اللَّهِ ... سَبَايَا بَنِي الْمُصْطَلِقِ وَقَعَتْ جُوَيْرِيَةُ [...] فِي السَّهْمِ لِثَابِتِ بْنِ قَيْسٍ [...] وَكَاتَبَتْهُ عَلَى [عتق] نَفْسِهَا. وَكَانَتْ امْرَأَةً حُلْوَةً مُلَاحَةً لَا يَرَاهَا أَحَدٌ إِلَّا أَخَذَتْ بِنَفْسِهِ. فَأَتَتْ رَسُولَ اللَّهِ ... فَدَخَلَتْ عَلَيْهِ فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنَا جُوَيْرِيَةُ بِنْتُ الْحَارِثِ [...] سَيِّدِ قَوْمِهِ، وَقَدْ أَصَابَنِي مِنْ الْبَلَاءِ مَا لَمْ يَخْفَ عَلَيْكَ، فَوَقَعْتُ فِي السَّهْمِ لِثَابِتِ بْنِ قَيْسٍ [...] فَكَاتَبْتُهُ عَلَى نَفْسِي، فَجِئْتُكَ أَسْتَعِينُكَ عَلَى كِتَابَتِي. قَالَ فَهَلْ لَكِ فِي خَيْرٍ مِنْ ذَلِكَ؟ قَالَتْ وَمَا هُوَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ أَقْضِي كِتَابَتَكِ وَأَتَزَوَّجُكِ ..} [12]

{إن النبي ... تزوج 15 امرأة، ودخل ب13، وجمع بين 11، وتوفي عن 9 [...] خديجة [...] سودة [...] وكانت قبله عند السكران بن عمرو [...] وكان من مهاجرة الحبشة، فتنصر بها ومات [...] وأما عائشة فدخل بها بالمدينة وهي ابنة 9 سنين، ومات عنها وهي ابنة 18 [...] حفصة [...] أم سلمة [...] زينب [...] جويرية [...] أم حبيبة [...] وكانت عند عبيدالله [...] وكان من مهاجرة الحبشة فتنصر ومات بها [...] زينب [...] صفية [...] وكانت قبله تحت [...] كنانة [...] فقتله محمد بن مسلمة صبرا بأمر النبي ... ثم أعتقها النبي ... وتزوجها سنة ست [...] ميمونة [...] النشا [...] تزوج الشنبا [...] فمات إبراهيم ابنه قبل أن يدخل بها، فقالت: لو كان نبيا ما مات ابنه، فطلقها. ثم تزوج غزية [...] فلما قدمت على النبي ... استعاذت بالله منه، ففارقها. ثم تزوج أسماء [...] فلما دخل بها وجد بها بياضا، فمتعها وردها إلى أهلها. وقيل: بل استعاذت منه أيضا، فردها. والعالية [...] فجمعها، ثم فارقها [...] وليلى [...] عرضت نفسها عليه فتزوجها، فأخبرت قومها، فقالوا: أنت غيور وله نساء، فاستقيليه، فأقالته، ففارقها [...] وأما من خطب النبي ... ولم ينكحها، فمنهن أم هانئ [...] ضباعة [...] صفية [...] أم حبيبة [...] جمرة [...] وأما سراريه [...] مارية ابنة شمعون القبطية، وولدت له إبراهيم، وريحانة القرظية ..} [13]

{سَرَارِيِّهِ [...] كَانَ لَهُ أَرْبَعٌ: مارية وَهِيَ أُمُّ وَلَدِهِ إبراهيم، وريحانة وَجَارِيَةٌ أُخْرَى جَمِيلَةٌ أَصَابَهَا فِي بَعْضِ السَّبْيِ، وَجَارِيَةٌ وَهَبَتْهَا لَهُ زينب [...] فِي مَوَالِيهِ [...] مِنَ النِّسَاءِ: سلمى أم رافع، وميمونة بنت سعد، وخضرة، ورضوى، ورزينة، وأم ضميرة، وميمونة بنت أبي عسيب، ومارية، وريحانة} [14]

{يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاةَ أَزْوَاجِكَ ..} 66|1

(الطبري: كَانَتْ حَفْصَة وَعَائِشَة مُتَحَابَّتَيْنِ [...] فذهبت حفصة إِلَى أَبِيهَا، فتحدثت عنده، فَأَرْسَلَ النَّبِيّ ... إِلَى [...] مارية، فَظَلَّتْ مَعَهُ فِي بَيْت حَفْصَة، وَكَانَ الْيَوْم الَّذِي يَأْتِي فِيهِ عَائِشَة، فَرَجَعَتْ حَفْصَة، فَوَجَدَتْهُمَا فِي بَيْتهَا، فَجَعَلَتْ تَنْتَظِر خُرُوجهَا، وغارت غيرة شديدة، فَأَخْرَجَ رَسُول اللَّه ... جاريته، وَدَخَلَتْ حَفْصَة فَقَالَتْ: قَدْ رَأَيْت مَنْ كَانَ عِنْدك، وَاللَّه لَقَدْ سُؤْتَنِي، فَقَالَ النَّبِيّ: وَاللَّه لَأُرْضِيَنك فَإِنِّي مُسِرّ إِلَيْك سِرًّا فَاحْفَظِيهِ. قَالَتْ: مَا هُوَ؟ قَالَ: إِنِّي أُشْهِدك أَنَّ سُرِّيَّتِي هَذِهِ عَلَيَّ حَرَام رِضًا لَك. وَكَانَتْ حَفْصَة وَعَائِشَة تَظَاهَرَانِ عَلَى نِسَاء النَّبِيّ ... فَأَسَرَّتْ إِلَيْهَا أَنْ أَبْشِرِي إِنَّ النَّبِيّ ... قَدْ حَرَّمَ عَلَيْهِ فَتَاته، فَلَمَّا أَخْبَرَتْ بِسِرِّ النَّبِيّ ... أَظْهَرَ اللَّه عَزَّ وَجَلَّ النَّبِيّ ... فَأَنْزَلَ [...] «لِمَ تُحَرِّمُ»)

{قَالَتْ عَائِشَةَ: مَا غِرْتُ عَلَى امْرَأَةٍ إلا دُونَ مَا غِرْتُ عَلَى مَارِيَةَ، وَذَلِكَ أَنَّهَا كَانَتْ جَمِيلَةً مِنَ النِّسَاءِ جَعْدَةً، وَأُعْجِبَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ... فَكَانَ [...] عَامَّةَ النَّهَارِ وَاللَّيْلِ عِنْدَهَا، حَتَّى فَرَغْنَا لَهَا، فَجَزِعَت، فَحَوَّلَهَا إِلَى الْعَالِيَةِ، فَكَانَ يَخْتَلِفُ إِلَيْهَا هُنَاكَ، فَكَانَ ذَلِكَ أَشَدَّ عَلَيْنَا، ثُمَّ رَزَقَ اللَّهُ مِنْهَا الْوَلَدَ وَحَرَمَنَا مِنْهُ.} [15]

{وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ..} 4|24

(الطبري: إِذَا سُبِيَتْ الْمَرْأَة وَلَهَا زَوْج فِي قَوْمهَا، فَلَا بَأْس أَنْ تَطَأَهَا [...] عَنْ أَبِي سَعِيد الْخُدْرِيّ قَالَ: أَصَبْنَا نِسَاءً مِنْ سَبْي أَوْطَاس لَهُنَّ أَزْوَاج، فَكَرِهْنَا أَنْ نَقَع عَلَيْهِنَّ وَلَهُنَّ أَزْوَاج، فَسَأَلْنَا النَّبِيّ ... فَنَزَلَتْ الْآيَة، فَاسْتَحْلَلْنَا فُرُوجهنَّ.)

{.. وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكُمْ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً ..} 4|24

(الطبري: فَمَا تَمَتَّعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ بِأَجْرٍ تَمَتُّع اللَّذَّة، لا بِنِكَاحٍ مُطْلَق [...] يَعْنِي نِكَاح الْمُتْعَة [...] عَنْ أَبِي نَضْرَة قَالَ: سَأَلْت اِبْن عَبَّاس عَنْ مُتْعَة النِّسَاء، قَالَ: أَمَا تَقْرَأ سُورَة النِّسَاء؟ قُلْت: بَلَى. قَالَ: فَمَا تَقْرَأ فِيهَا «فَمَا اِسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ إِلَى أَجَل مُسَمًّى»؟ قُلْت: لَا، لَوْ قَرَأْتهَا هَكَذَا مَا سَأَلْتُك! قَالَ: فَإِنَّهَا كَذَا [...] وَاَللَّه لَأَنْزَلَهَا اللَّه كَذَلِكَ [...] عَنْ الْحَكَم قَالَ: سَأَلْته عَنْ [...] «فَمَا اِسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ» أَمَنْسُوخَة هِيَ؟ قَالَ: لَا.)

{جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ وَسَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ قَالَا: كُنَّا فِي جَيْشٍ فَأَتَانَا رَسُولُ رَسُولِ اللَّهِ ... فَقَالَ إِنَّهُ قَدْ أُذِنَ لَكُمْ أَنْ تَسْتَمْتِعُوا فَاسْتَمْتِعُوا. وَقَالَ ابْنُ أَبِي ذِئْبٍ حَدَّثَنِي إِيَاسُ بْنُ سَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ عَنْ أَبِيهِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ... أَيُّمَا رَجُلٍ وَامْرَأَةٍ تَوَافَقَا فَعِشْرَةُ مَا بَيْنَهُمَا ثَلَاثُ لَيَالٍ فَإِنْ أَحَبَّا أَنْ يَتَزَايَدَا أَوْ يَتَتَارَكَا تَتَارَكَا ..} [16]

{وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلاً أَن يَنكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِن مِّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم..}4|25

{وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا} 4|3

{عَائِشَةَ، «وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى»، قَالَتْ: الْيَتِيمَةُ تَكُونُ عِنْدَ الرَّجُلِ وَهُوَ وَلِيُّهَا فَيَتَزَوَّجُهَا عَلَى مَالِهَا وَيُسِيءُ صُحْبَتَهَا وَلَا يَعْدِلُ فِي مَالِهَا، فَلْيَتَزَوَّجْ مَا طَابَ لَهُ مِنَ النِّسَاءِ سِوَاهَا، مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ.} [17]

محمد اشتهى زوجة زيد، ابنه بالتبني، فاضطر زيد أن يطلقها لكي ينكحها محمد:

{وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا • مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ ..} 33|37-38

وهكذا تتضح دوافع مؤسسي الإسلام: الطمع، الكبرياء، الرغبة الجامحة بالسيادة وبإقامة دولة توسّعية، الشبق والشهوانية. وبهذا يبطل العجب.. من الفظائع الوحشية التي ارتكبوها وجعلوها في دِينهم.. دين الشر الملتبس بالخير.



[^][1] صحيح، مسند أحمد 2009، سنن الترمذي 3232، صحيح ابن حبان 6686

[^][2] صحيح، مسند أحمد 5667، سير أعلام النبلاء للذهبي 15|509، صحيح الجامع للألباني 2831

[^][3] صحيح، سنن النسائي الصغرى 3939، مسند أحمد 14069، البيهقي 13836

[^][4] صحيح البخاري 4510، صحيح مسلم 1464

[^][5] صحيح البخاري 4511 [^][6] صحيح البخاري 264

[^][7] صحيح البخاري 265 [^][8] صحيح البخاري 4918

[^][9] صحيح البخاري 296، صحيح مسلم 293 [^][10] صحيح أبي داود 267، صحيح النسائي 376، مسند أحمد 26310

[^][11] السيرة النبوية لابن هشام ص245 [^][12] صحيح أبي داود 3931، مسند أحمد 25833

[^][13] الكامل في التاريخ لابن الأثير ص170 [^][14] زاد المعاد لابن القيم ص111

[^][15] الطبقات الكبرى لابن سعد ج10 ص201، الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر ج8 ص112

[^][16] صحيح البخاري 4827 [^][17] صحيح البخاري 4810

^ ^ ^ ^

17. ترغيب وترهيب .. وتدريب وتأهيب

كان الغرض الرئيس (وربما الوحيد) من الدين الإسلامي.. هو تطويع الرجال وتجنيدهم لإقامة دولة للعرب (بقيادة قريش) تضاهي دولة الروم ودولة فارس (كما يبين القسم 15):

{.. أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ} 61|9

{.. وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ..} 63|8

{مَرِضَ أَبُو طَالِبٍ، فَأَتَتْه قُرَيْشٌ وَأَتَاه رَسولُ اللَّهِ [...] قَالَ: مَا شَأْنُ قَوْمِكَ يَشْكُونَكَ؟ قَالَ: يَا عَمِّ، أُرِيدُهُمْ عَلَى كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ، تَدِينُ لَهُمْ بِهَا الْعَرَبُ وَيَملِكُون رِقابَ العَجَم. قَالَ: مَا هِيَ؟ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. ..} [1]

نسخة معدلة

اتخذ مؤسسو الإسلام (بنو هاشم وأعوانهم).. زعماءَ اليهود (أنبياء بني إسرائيل) قدوة لهم، واستفادوا من تجربتهم في هذا المجال.. استفادة قصوى؛ فهو دين يمثل نسخة عربية معدلة من اليهودية.

زعماء اليهود (ذوو عقلية «شعب الله المختار») أسسوا الدين الإبراهيمي الأول، وبه تمكنوا من تطويع الرجال وتجنيدهم لإقامة دولتهم. حشدوهم وشحنوهم، فاجتاحوا البلاد (بأمر الإله المزعوم).. وأبادوا أهلها، واستولوا على أراضيهم، وأقاموا عليها دولتهم. لقد ارتكبوا جريمة الإبادة عدة مرات، (وهذا سلطان إلهي وهمي ما زال يُستغل لارتكاب مجازر في فلسطين):

{فَأَرْسَلَهُمْ مُوسَى أَلْفًا مِنْ كُلِّ سِبْطٍ [...] فَتَجَنَّدُوا عَلَى مِدْيَانَ كَمَا أَمَرَ الرَّبُّ وَقَتَلُوا كُلَّ ذَكَرٍ. [...] وَأَخَذُوا كُلَّ الْغَنِيمَةِ وَكُلَّ النَّهْبِ مِنَ النَّاسِ وَالْبَهَائِمِ، وَأَتَوْا إِلَى مُوسَى [...] فَسَخَطَ مُوسَى [...] وَقَالَ لَهُمْ مُوسَى: «هَلْ أَبْقَيْتُمْ كُلَّ أُنْثَى حَيَّةً؟ [...] فَالآنَ اقْتُلُوا كُلَّ ذَكَرٍ مِنَ الأَطْفَالِ. وَكُلَّ امْرَأَةٍ عَرَفَتْ رَجُلًا بِمُضَاجَعَةِ ذَكَرٍ اقْتُلُوهَا.»} سفر العدد 31|6-17

{أَنَّ يَشُوعَ قَالَ لِلشَّعْبِ: اهْتِفُوا، لأَنَّ الرَّبَّ قَدْ أَعْطَاكُمُ الْمَدِينَةَ. فَتَكُونُ الْمَدِينَةُ وَكُلُّ مَا فِيهَا مُحَرَّمًا لِلرَّبِّ. [...] وَحَرَّمُوا كُلَّ مَا فِي الْمَدِينَةِ مِنْ رَجُل وَامْرَأَةٍ، مِنْ طِفْل وَشَيْخٍ، حَتَّى الْبَقَرَ وَالْغَنَمَ وَالْحَمِيرَ بِحَدِّ السَّيْفِ.} سفر يشوع 6|16-21

{ثُمَّ رَجَعَ يَشُوعُ وَكُلُّ إِسْرَائِيلَ مَعَهُ إِلَى دَبِيرَ وَحَارَبَهَا، وَأَخَذَهَا مَعَ مَلِكِهَا وَكُلِّ مُدُنِهَا، وَضَرَبُوهَا بِحَدِّ السَّيْفِ وَحَرَّمُوا كُلَّ نَفْسٍ بِهَا. لَمْ يُبْقِ شَارِدًا، [...] فَضَرَبَ يَشُوعُ كُلَّ أَرْضِ الْجَبَلِ وَالْجَنُوبِ وَالسَّهْلِ وَالسُّفُوحِ وَكُلَّ مُلُوكِهَا. لَمْ يُبْقِ شَارِدًا، بَلْ حَرَّمَ كُلَّ نَسَمَةٍ كَمَا أَمَرَ الرَّبُّ إِلهُ إِسْرَائِيلَ.} سفر يشوع 10|38-40

{وَقَالَ صَمُوئِيلُ لِشَاوُلَ: «إِيَّايَ أَرْسَلَ الرَّبُّ لِمَسْحِكَ مَلِكًا عَلَى شَعْبِهِ إِسْرَائِيلَ. وَالآنَ فَاسْمَعْ صَوْتَ كَلاَمِ الرَّبِّ. هكَذَا يَقُولُ رَبُّ الْجُنُودِ: إِنِّي قَدِ افْتَقَدْتُ مَا عَمِلَ عَمَالِيقُ بِإِسْرَائِيلَ حِينَ وَقَفَ لَهُ فِي الطَّرِيقِ عِنْدَ صُعُودِهِ مِنْ مِصْرَ. فَالآنَ اذْهَبْ وَاضْرِبْ عَمَالِيقَ، وَحَرِّمُوا كُلَّ مَا لَهُ وَلاَ تَعْفُ عَنْهُمْ بَلِ اقْتُلْ رَجُلاً وَامْرَأَةً، طِفْلاً وَرَضِيعًا، بَقَرًا وَغَنَمًا، جَمَلاً وَحِمَارًا.»} سفر صموئيل الأول 15|1-3

العقيدة

كانت أول مرحلة هي دعوة الناس إلى الإيمان بالإله المزعوم، وبأنه الخالق العليم، له المُلك، يعز من يشاء ويذل من يشاء، بيده الخير والضير، والنعيم والجحيم، الإله العظيم الوحيد المستحق للعبودية والطاعة العمياء للأوامر والنواهي.

وقد اجتهد مؤلفو القرآن في إقناع الناس بذلك الإله، وأن القرآن كلامه، وأن محمدًا رسوله، ووجوب الانقياد والخضوع له، والإيمان بالبعث ويوم الحساب، واستعانوا لذلك بالحجج المختلفة.. في ظواهر كونية كالشمس والنجوم، وطبيعة حية كالنبات والحيوان وجسم الإنسان، وآثار أقوام سابقين أصابتهم الكوارث، وغير ذلك.

الترغيب والترهيب

بسياسة العصا والجزرة، تهديد بالتحريق، وإغراء لأهل الصحراء.. بنساء حسناوات، وجنّات ذات أنهار من لبن سائغ وعسل صافٍ وخمر لذيذ، لأن هذا أكبر أمانيهم. لا يحتاج الإله الحق (إن وُجد) إلى الوعد والوعيد، والإغراء والتهديد لكي يُعبد، إنها طرق البشر المحتالين لاستغلال الآخرين في تحقيق أطماعهم.

وعد لهم إن آمنوا بمحمد رسولاً وأطاعوه.. أن ينالوا ما كانوا يشتهون من عزة ورزق حسن وطيبات الطعام ونساء وغنائم، في حياتهم، والخلود في ذلك بعد موتهم وبعثهم:

{وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ • وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ • وَحُورٌ عِينٌ} 56|20-22

{قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ..} 7|32

{وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا ..} 48|20
{.. إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكُمْ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً ..} 4|24

ووعيد لهم إن عصوه.. بعكس ذلك كله:
{كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ} 68|33

أيضًا الأحكام المشددة على النساء، كانت ترغيبًا لأهل يثرب، بأن يكون الدين موافقًا لطباعهم وما تستحسنه عقليتهم المحافظة؛ فهي لم تُفرض على المسلمين في مكة (التي كانت متحررة ليبرالية) بالرغم من مضي عشر سنين.

التأهيب

• أمر إلهي بطاعة الحاكم، سواء كان عادلاً أو ظالمًا، مصلحًا أو مفسدًا:
{.. أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ..} 4|59
{عن عبادة بن الصامت: دَعانا رَسولُ اللهِ ... فَبايَعْناهُ، فكانَ فِيما أَخَذَ عَلَيْنا: أَنْ بايَعَنا على السَّمْعِ والطّاعَةِ في مَنْشَطِنا وَمَكْرَهِنا، وعُسْرِنا ويُسْرِنا، وأَثَرَةٍ عَلَيْنا، وأَنْ لا نُنازِعَ الأمْرَ أَهْلَهُ، قالَ: إلّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَواحًا عِنْدَكُمْ مِنَ اللهِ فيه بُرْهانٌ.} [2]

• حكم عسكري، وعقوبات جسدية قاسية، عنيفة، لردع المخالفين.. من جَلد بسياط، إلى تقطيع أيدٍ وأرجل، إلى ذبح وصلب

• تحريم العلاقة الجنسية المجردة من المال، لكي يسعى الرجال إليها بالقتال والسبي، أو بالموت ونَيل الحور

• تحريم الخمر.. فالعمل على إقامة دولة والخطط الحربية وتنفيذها كان يتطلب اليقظة والانتباه، والحذر الدائم من المتربصين، وانضباط سلوك الأفراد ومنع التسيب والتراخي

• تحريم الموسيقى والغناء.. لكي تسيطر تلاوة القرآن على ساحة الطرب والمتعة السمعية، وينفرد بالمقامات بلا منافسة أو مزاحمة (سيكا، حجاز، عجم، صبا، نهاوند، لامي، بياتي،) ويخلو الجو لقرائه ليرتّلوه ويُرددوه على مسامع الناس ليلاً ونهارًا، كل أيام العام، حتى في الأعياد، فيترسخ في نفوسهم ويكون ثقافتهم الرئيسة، وليستمر ترديد الدعاية (بروباغندا) حتى يعتادوا عليها وعلى تصديقها، كما قال النازيّون: إذا رددنا كذبة على الناس لمدة كافية، سيصدّقونها وستكون حقيقة في نظرهم

• الحث على الإكثار من التسبيح والتحميد والتهليل، ليقلّ حيّز العقل للتفكير والتشكيك واكتشاف الخديعة

• تحريم الربا.. كحرب اقتصادية على اليهود.. الذين تميزوا بثرواتهم وتنميتها بفوائد القروض

• الأمر بمخالفة اليهود، الذين عاش معهم الأوس والخزرج في يثرب، ومنع التشبه بهم، لتنمو في النفوس العداوة والبغضاء تجاههم، ويهون عليها محاربتهم وتقتيلهم

• الحض على الزهد بالحياة، والعمل لما بعد الموت بدلاً عن العمل لها، لكي يقاتلوا ببسالة

• التحريض على الغزو ونهب الغنائم، ونبذ الزراعة والتجارة:
{قال محمد: إذا تبايعتُم بالعينةِ وأخذتم أذنابَ البقرِ ورضيتُم بالزَّرعِ وترَكتمُ الجِهادَ، سلَّطَ اللَّهُ عليكم ذلاًّ لاَ ينزعُهُ حتّى ترجعوا إلى دينِكُم.} [3]

التدريب

تدريب الرجال على الغزو.. بالسير ليلاً والكُمون نهارًا، والإغارة والهجوم فجرًا (كما يبين القسم 20):
{إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ} 61|4

• صلاة الجماعة.. يصطفّون متراصين خلف إمام (قائد) ويأتمّون به في كلمات وحركات منتظمة منضبطة.. بأوقات محددة إلزامية خمس مرات يوميًا، أهمها عند الفجر

• الحث على قيام الليل (الذي كان فريضة في البداية).. ليسهل عليهم السير ليلاً والكُمون نهارًا:
{كَانُواْ قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ • وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ} 51|17-18
{قال محمد: بَشِّرِ الْمَشَّائِينَ فِي الظُّلَمِ إِلَى الْمَسَاجِدِ بِالنُّورِ التَّامِّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.} [4]

• الصوم.. ليعتادوا الصحوة ليلًا لتناول السحور، والصبر وتحمل الجوع والعطش عند الكُمون نهارًا، ولذلك كانت بعض أهم الغزوات في شهر رمضان

• التدرّب على مهارات القتال:
{وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ..} 8|60
{قال محمد: «وَأَعِدُّوا لهمْ ما اسْتَطَعْتُمْ مِن قُوَّةٍ»، أَلا إنَّ القُوَّةَ الرَّمْيُ. أَلا إنَّ القُوَّةَ الرَّمْيُ. أَلا إنَّ القُوَّةَ الرَّمْيُ.} [5]

هذا ليس دينًا روحانيًا، إنه نظام عسكري صارم!

إعلان الجهاد والغزو

قاتلوا! قاتلوهم! اقتلوهم حيث وجدتموهم! أتت هذه النصوص في آخر مرحلة كتتويج لما سبقها (ذروة السنام)، وفيها ينكشف الغرض من كل ذلك:
{يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ ..} 8|65

{فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ..} 9|5

{قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ} 9|29

{.. قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً ..} 9|123

{.. سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ..} 48|16

انشغل جزء كبير من نصوص القرآن بالتحريض على القتال والنفير والغزو وإنفاق الأموال:

{آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ} 57|7

{.. مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ • إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا [...] انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ..} 9|38-41

الثقال هم العجزة والضعاف والمرضى. كل هؤلاء استُغلّوا لغرض إقامة الدولة.

هكذا جرى تجنيد أهل يثرب (الأوس والخزرج) وغيرهم من القبائل والأقوام، وأخذ الأموال منهم لتجهيز الجيش وبناء الدولة. وبالرغم من أن الدولة أُسّست بتضحياتهم بأموالهم وأنفسهم، (حتى أن أحدهم ضحّى بمزرعته المثمرة، مصدر رزقه هو وعائلته، كما يبين القسم 18،) أصرّ محمد على أن تكون {الخِلافةُ في قُرَيش}[6] وهذا ما كان.

خرجت الأمور عن السيطرة قليلاً بسبب ظلم الخليفة عثمان وثورة الناس عليه وحصاره وقتله، وانقسام الصحابة واقتتالهم؛ [7] لكن بالرغم من ذلك نجح العرب في إقامة دولتهم، (بل مملكتهم، بل امبراطوريتهم.) وبينما خسر كثير من الجنود حياتهم الحقيقية في سبيل حياة وهمية وُعدوا بها، ربح الذين في الطبقة الحاكمة حياة راغدة، وكان لهم أن ينالوا العزة، ويتمتعوا بالأموال والمُلك، والبساتين والقصور، وأشهى الأطعمة، وأحلى الجواري؛ وأوّلهم محمد، الملِك غير المتوّج، الذي تمتع بالعديد من النساء، سواء بنكاح أو باستعباد، ثم الخلفاء الذين امتلكوا أعدادًا لا تُحصى منهن.

من يزعم أن هذا دين سلام ورحمة.. يتجاهل أحاديث صحيحة متواترة (تكررت في عدة مصادر أصلية) أو ينكرها، ويبرر نصوص العنف والقتل بأنها للدفاع والحماية، بينما هي كما تبيّن.. للغزو والاجتياح والتوسّع. أما الرحمة.. فهي لأتباع محمد فقط:

{مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ..} 48|29

الاستبضاع

لعل من أهم أسباب تفوق قريش ونجاحهم في إقامة امبراطوريتهم.. هو جيناتهم (صفاتهم الوراثية). وقد كان ذلك نتيجةً لعادة الاستبضاع التي كانت تُمارس عندهم بشكل اعتيادي. الاستبضاع هو أن تذهب المرأة إلى رجل أعجبها أو أعجب زوجها، فتدعوه لمضاجعتها لكي تنجب منه ولدًا بمثل صفاته.

وتشير الدلائل إلى أن خديجة فعلت ذلك، فأنجبت فاطمة؛ حيث أن محمدًا لم يستطع أن ينجب، بالرغم من كثرة زوجاته وإمائه. هذا يعني أن أساس المذهب الشيعي (إمامة آل محمد أو عترة محمد) باطل، وأن انتساب من يسمَّون «الأشراف» إلى محمد باطل، ومنهم من أصبحوا ملوكًا وحكامًا حاليًا بناءً على هذا الانتساب.

ولعل من أعظم أسباب ضعف العرب لاحقًا وانهيار دولتهم وتردي أحوالهم هو تحريم هذه العادة ومنع تلاقي الجنسين واعتياد زواج الأقارب، مما سبب رداءة الجينات لديهم.

الإمبريالية الإسلامية

لا وجود لما يسمى الإسلام السياسي. إنه سياسي بطبعه وأصله. ومما يميز الإسلام عن غيره.. الحكم الشمولي والفاشية والإمبريالية [8]:

{وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ..} 5|48

{وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ ..} 8|39

{.. أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ} 61|9

كانت نتيجة عمل مؤسسيه هي.. أمّة أكثرها منافقون؛ لمّا مات الزعيم ارتدّوا عن الدين الذي كانوا مجبورين عليه؛ فاضطر الخليفة لملاحقتهم بجنوده وسيوفه. كانت الدولة الإسلامية دائمًا دولة نفاق وزيف. هل تخلّى أهالي البلاد التي خضعت لها عن معتقداتهم وصدّقوا وآمنوا ورضوا بعقيدة الإسلام وشريعته؟ بالطبع لا، ولا النصف من أعدادهم، ولا أقل من ذلك؛ بل كان الغزاة يقولون لهم «أسلم تَسلم»، ويقومون بتقتيل المتمرّدين؛ فلجؤوا للتأسلم ليَسلموا من الاضطهاد ودفع الجزية، ولتتاح لهم فرصة ظروف معيشية أفضل، بينما فرضت الدولة غسل أدمغة أبنائهم وأسلمتَهم؛ فأتت أجيال المسلمين كلها تحمل معتقدًا متوارثًا زائفًا، محرومة من حق الإنسان في حرية الاعتقاد المبني على وعي ثقافي شامل وفهم صحيح للمعتقدات المختلفة. [9] وما أخبث النفاق والزيف أن يتصف بهما شخص؛ فكيف بذلك إن بات حالاً عامًّا في الناس.

لم يعد أحد من المسلمين يقيم هذا الدين بحذافيره.. إلا جماعة طالبان، وجماعة «الدولة الإسلامية» (داعش سابقًا).. الذين ينبذهم ويشمئز منهم العالم أجمع، بمن فيه من مسلمين وغيرهم.

لو أن الأمر بيد رب للعالمين {.. يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا ..} 22|38 {.. وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ} 30|47 {.. وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا} 4|141 لما سمح بنزع الحكم منهم بقتل أمير المؤمنين الإمام علي، وانهزام الحسن، وقتل الحسين (آل محمد)، وقصف الكعبة وحرقها، [10] وتقتيل المؤمنين في المسجد الحرام، [11] بالرغم من قوله {.. مَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ..} 3|97، وأن يؤول الأمر إلى يزيد بن معاوية، وإلى أبي العباس السفّاح، وإلى الأتراك (أصحاب الخازوق) والإنغليز والفرنسيين، والتوريث بدلًا عن الانتخاب.

جاء في تاريخ الطبري (سنة 284).. أن الخليفة المعتضد أمر بإخراج المخطوطة التي كان الخليفة المأمون أمر بكتابتها في لعن معاوية [الذي فرض نفسه كخليفة بعد علي]، فأُخرجت له من الديوان. هذا مقتبس منها:

.. ودعاؤه عباد الله إلى ابنه «يزيد» المتكبر الخمّير صاحب الديوك والفهود والقرود، وأخذه البيعة له على خيار المسلمين بالقهر والسطوة والتوعيد والإخافة والتهدد والرهبة، وهو يعلم سفهه ويطلع على خبثه ورَهَقه ويعاين سَكَرانه وفجوره وكفره. فلما تمكن [يزيد] مما مكنه منه ووطّأه له [أبوه]، وعصى الله ورسوله فيه، طلب بثأرات المشركين وطوائلهم عند المسلمين، فأوقع بأهل الحَرة الوقيعة التي لم يكن في الإسلام أشنع منها ولا أفحش مما ارتكب من الصالحين فيها، وشفى بذلك عَبَد نفسه وغليله وظن أن قد انتقم من أولياء الله وبلّغ النوى لأعداء الله، فقال مجاهراً بكفره ومظهراً لشركه:

ليت أشياخي ببدر شهدوا • جَزَع الخزرج من وقع الأَسل

قد قتلنا القوم من ساداتكم • وعدلنا ميل بدر فاعتدل

فأَهَلّوا واستهلّوا فرحًا • ثم قالوا: يا يزيد لا تُسَل

لستُ من خِندِف إن لم أنتقم • من بني أحمد ما كان فعل

وَلِعَتْ هاشم بالمُلك فلا • خبرٌ جاء ولا وحيٌ نزل



[1] صحيح، مسند أحمد 2009، سنن الترمذي 3232، صحيح ابن حبان 6686

[2] صحيح البخاري 7055، 7056 [3] صحيح أبي داود 3462، مسند أحمد 4825، الطبراني 2417

[4] صحيح ابن خزيمة 3/ 28، صحيح ابن ماجه 640، صحيح الترمذي 223، صحيح أبي داود 561

[5] صحيح مسلم 1917، صحيح الترمذي 3083، صحيح أبي داود 2514، صحيح ابن حبان 4709

[6] صحيح، مسند أحمد 17690، صحيح الجامع للألباني 3342

[7] تاريخ الطبري سنة35، البداية والنهاية لابن كثير سنة35، الكامل في التاريخ لابن الأثير سنة35

[8] Efraim Karsh, 2007, Islamic Imperialism: A History

[9] ويكيبيديا – أسلمة مصر [10] تاريخ الطبري سنة64، البداية والنهاية لابن كثير سنة64، الكامل في التاريخ لابن الأثير سنة64

[11] تاريخ الطبري سنة73، البداية والنهاية لابن كثير سنة73، الكامل في التاريخ لابن الأثير سنة73

^ ^ ^ ^

الفصل الرابع

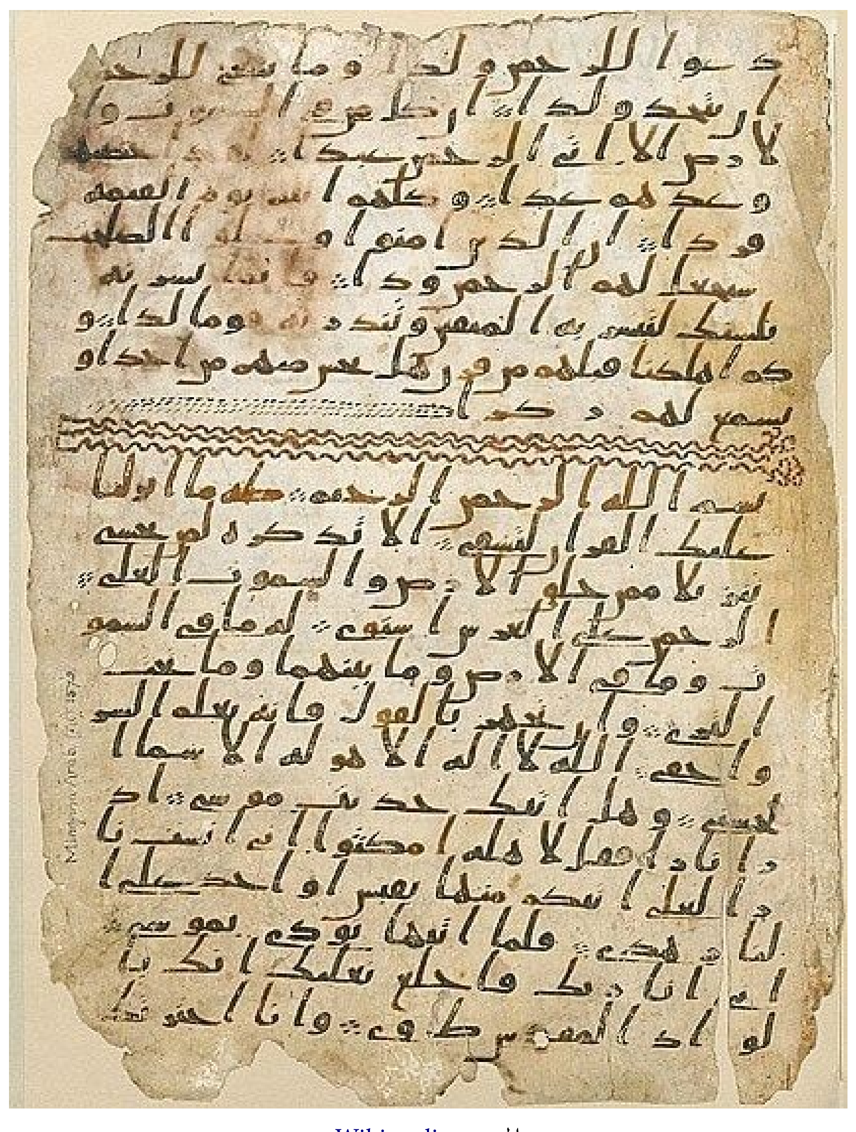
فضائح وفظائع .. أين هو الحق الضائع؟

عن تعاليم الدين المنافية للإنسانية

يا دِينُ للأوهام شوّقتنا
وبقيودك قد طوّقتنا

بالقرون قد ضيّعت وقتَنا

تاركك نال السعد واقتنى



المصدر: Wikimedia

^ ^ ^ ^

18. تمييز جنسي وطبقي .. فُرِض على الناس وبقي

التمييز الجنسي

تمييز صريح في الأفضلية:
{.. وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ..} 2|228
{الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ ..} 4|34

صفة النساء في القرآن:
{نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ ..} 2|223
وفي الحديث الصحيح:

{الدُّنْيَا مَتَاعٌ، وَخَيْرُ مَتَاعِ الدنيا الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ.} [1]

النساء من نواقض الوضوء:
{.. وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ ..} 4|43
(الطبري: أو لامستموهن باليد)
(القرطبي: الْمُلَامَسَةُ مُقْتَضَاهَا الْتِقَاءُ الْبَشَرَتَيْنِ)
(ابن كثير: عَنَى اللَّهُ بِذَلِكَ كُلَّ لَمْسٍ بِيَدٍ كَانَ أَوْ بِغَيْرِهَا مِنْ أَعْضَاءِ الْإِنْسَانِ، وَأَوْجَبَ الْوُضُوءَ عَلَى كُلِّ مَنْ مَسَّ بِشَيْءٍ مِنْ جَسَدِهِ شَيْئًا مِنْ جَسَدِهَا مُفْضِيًا إِلَيْهِ.)

المرأة المتزوجة من مسلم، إذا لم تطعه في كل ما يأمرها به.. فله أن يعاقبها، وله أن يضربها! وليس لها مثل ذلك:
{.. وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ..} 4|34

وكأن كل تلك الإهانة للمرأة لا تكفي، فهنالك المزيد:
{وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ..} 4|3

يعني يحق للرجل تعدد الزوجات (الحريم)، فتكون له 3 نساء غيرها، وعدد لا محدود من المملوكات؛ بينما لا يحق لها تعدد الأزواج ولا الاستمتاع بأكثر من رجل واحد. ولم يحرم محمد نفسه من التمتع بذلك الامتياز، ولم تكفه الأربع التي سمح بها للناس؛ بل جمع بين 13 زوجة، مع ما اشتهى من المملوكات، (كما يبين القسم 16.)

ولإغراء الذكور وتحفيزهم للاندفاع إلى القتال.. جاء توصيف النساء في الجنة جسديًا كأنهن إماء تمنح لهم لتلبية شهواتهم وإمتاعهم، وليس للمرأة مثل ذلك:
{إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً • فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا • عُرُبًا أَتْرَابًا • لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ} 56|35-38
(الطبري: أبكارًا غنجات، متحببات [...] عواشق [...] المشتهية)
(ابن كثير: بِالْحَلَاوَة وَالظَّرَافَة وَالْمَلَاحَة)
{فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ} 55|56
{حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ} 55|72
{وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا} 78|33
(الطبري: التي قد نهدت وكَعَبَ ثديها) (القرطبي: جَمْعُ كَاعِبٍ وَهِيَ النَّاهِدُ)
(ابن كثير: ثُدِيّهن نَوَاهِد لَمْ يَتَدَلَّيْنَ لِأَنَّهُنَّ أَبْكَار... أَتْرَاب أَيْ: فِي سِنٍّ وَاحِدَة)

أيضًا، ليس للمرأة إلا نصف ما للرجل في الإرث وفي أهلية الشهادة، وهي ليست كفؤًا أبدًا لتولي مناصب حكومية عليا:
{.. إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ فَإِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ ..} 4|176
{.. وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى ..} 2|282
{عن أبي بكرة قالَ: لقَدْ نَفَعَنِي اللَّهُ بكَلِمَةٍ سَمِعْتُهَا مِن رَسولِ اللَّهِ ... أيَّامَ الجَمَلِ، بَعْدَ ما كِدْتُ أنْ ألْحَقَ بأَصْحَابِ الجَمَلِ فَأُقَاتِلَ معهُمْ [بقيادة عائشة]، لَمَّا بَلَغَ رَسولَ اللَّهِ ... أنَّ أهْلَ فَارِسَ، قدْ مَلَّكُوا عليهم بنْتَ كِسْرَى، قالَ: لَنْ يُفْلِحَ قَوْمٌ ولَّوْا أمْرَهُمُ امْرَأَةً.} [2]

إضافة إلى كل ذلك، فإن التمييز ضدها بفرض تغطية الجسد عليها.. فيه حرمان لها من أشعة الشمس. وقد أثبت العلم أن فيتامين د الضروري لصحتنا يتكوّن في الجلد بتعرّضه المباشر للشمس، وأن الأقمشة تمنع من ذلك. [3]

ويستمر التمييز ضدها حتى بعد موتها:
{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى ..} 2|178
(الطبري: فُرِض عليكم أيها المؤمنون، القصاصُ في القتلى: أن يُقتص الحر بالحرّ، والعبد بالعبد، والأنثى بالأنثى.)

{قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ..: دِيّةُ المرأةِ على النصفِ من ديّةِ الرجل.} [4]
وقد أجمع الفقهاء على هذا في المذاهب الأربعة. قال ابن القيّم: «لمّا كانت المرأة أنقص من الرجل، والرجل أنفع منها، [...] لم تكن قيمتهما مع ذلك متساوية وهي الدية.» [5]

أيا امرأةُ ما نَسينا
ولّى زمن المدنَّسينَ
إنّا إنسٌ فأنَسينا
ولنتذاكر ابنَ سينا

التمييز الطبقي

الطبقية مشيئة «الله»:
{انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا} 17|21
{وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ ..} 6|165
{.. نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا ..} 43|32
{قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ..} 3|26
هذا زعم مؤلفي القرآن، أن الطبقية والعزة والذلة والاستحواذ على المُلك.. من مشيئة «الله»، لكن الحقيقة أنها نماذج من الظلم والعدوان ناتجة من تنامي خصلتي الجشع والكِبر.

نَصْب على الأغنياء:
{الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ • أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ} 8|3-4
{مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ} 57|11
نَصْب على الأغنياء بأخذ ممتلكاتهم مقابل رفع درجاتهم (طبقة الأغنياء) ووعد بمكافأة بعد موتهم. يعني أعطنا مالك كقرض، تصبح من ذوي الامتياز، وسوف تأخذ أضعافه فوائد ربوية.. لكن بعد أن تموت.
(ابن كثير: ... لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَة [...] قَالَ أَبُو الدَّحْدَاح الْأَنْصَارِيّ: يَا رَسُول اللَّه وَإِنَّ اللَّه لَيُرِيد مِنَّا الْقَرْض؟ قَالَ: نَعَمْ يَا أَبَا الدَّحْدَاح [...] قَالَ: فَإِنِّي قَدْ أَقْرَضْت رَبِّي حَائِطِي. وَلَهُ حَائِط فِيهِ 600 نَخْلَة وَأُمّ الدَّحْدَاح فِيهِ وَعِيَالهَا [...] وَإِنَّ رَسُول اللَّه ... قَالَ: كَمْ مِنْ عِذْق رَدَاح فِي الْجَنَّة لِأَبِي الدَّحْدَاح.) [6]

محاولة إقناع الفقراء:

حاول محمد إقناع الفقراء بأنهم والأثرياء أمام ربهم سواسية، لا تمييز ضدهم بسبب المال؛ لكنه فشل في ذلك، واعترف بأن الثري أعلى شأناً في الإسلام لأنه محظوظ بالمال ويصرفه على «الله» ورسوله والمؤمنين:

{أَنَّ فُقَرَاءَ الْمُهَاجِرِينَ أَتَوْا رَسُولَ اللَّهِ ... فَقَالُوا: ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ بِالدَّرَجَاتِ الْعُلَى وَالنَّعِيمِ الْمُقِيمِ. فَقَالَ: وَمَا ذَاكَ؟ قَالُوا: يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ وَيَتَصَدَّقُونَ وَلَا نَتَصَدَّقُ وَيُعْتِقُونَ وَلَا نُعْتِقُ فَقَالَ ... : أَفَلَا أُعَلِّمُكُمْ شَيْئًا تُدْرِكُونَ بِهِ مَنْ سَبَقَكُمْ وَتَسْبِقُونَ بِهِ مَنْ بَعْدَكُمْ وَلَا يَكُونُ أَحَدٌ أَفْضَلَ مِنْكُمْ إِلَّا مَنْ صَنَعَ مِثْلَ مَا صَنَعْتُمْ؟ [...] تُسَبِّحُونَ وَتُكَبِّرُونَ وَتَحْمَدُونَ دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ مَرَّةً. [...] فَرَجَعَ فُقَرَاءُ الْمُهَاجِرِينَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ... فَقَالُوا: سَمِعَ إِخْوَانُنَا أَهْلُ الْأَمْوَالِ بِمَا فَعَلْنَا فَفَعَلُوا مِثْلَهُ. فَقَالَ..: ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ.} [7]

وعليه فإن المسلم الذي جاء إلى الدنيا ووجد نفسه من عائلة ثرية وورث مالاً وأنفق منه في سبيل «الله».. أعلى شأناً، وموعود بدرجة أعلى في الآخرة من الذي وجد نفسه من عائلة فقيرة، حتى لو تساويا في العمل والتقوى. وهكذا، فالأفضلية في الإسلام لأصحاب الأموال.

إقرار استعباد البشر

يبيح القرآن للمسلم أن يمتلك البشر وأن يستغلهم في الجنس والعمل الشاق:

{وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ • إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ} 70|29-30

ولا ملامة عليه في فعل ذلك، فمحمد قدوته.. كان يمتلك إماء لنفسه ولشهوته. قد أباح له القرآن استعبادهن عن طريق الغزو:

{يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ ..} 33|50

(الطبري: وَأَحْلَلْنَا لَكَ إِمَاءَكَ اللَّوَاتِي سَبَيْتَهُنَّ، فَمَلَكْتَهُنَّ ..)

وقد أكد إباحة هذا له حتى في آخر مرحلة من حياته حينما أعلن اكتمال الدين؛ فهو بنصٍ واحد منع عنه أن يتزوّج النساء.. وأباح له امتلاك المزيد منهن:

{لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ ..} 33|52

أما زعم بعض المسلمين أن هذا الدين دعى إلى تحرير العبيد.. فهو زعم باطل. كل ما هنالك هو فعل مستحب أو عقوبة.. لغرض تحرير العبيد المسلمين فقط، بشرائهم من أسيادهم غير المسلمين، ليتسنّى تجنيدهم في جيش العرب، ولتكون العزة لهم والذلة لغيرهم (كما يبيّن القسم 16):

{.. وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ ..} 4|92



[1] صحيح مسلم 1467، صحيح النسائي 3232، صحيح ابن حبان 4031، صحيح ابن ماجه 1516

[2] صحيح البخاري 4425

[3] • L Y Matsuoka, et al. «Clothing prevents ultraviolet-B radiation-dependent photosynthesis of vitamin D3» 1992

• Shemani Jagoda & Katie Dixon «Protective Effects of 1,25 Dihydroxyvitamin D 3 and Its Analogs on Ultraviolet Radiation-Induced Oxidative Stress» 2020

[4] صحيح، السنن الكبرى للبيهقي 16738

[5] إعلام الموقّعين عن رب العالمين لابن قيّم الجوزية ج2 ص114

[6] صحيح ابن حبان 7159

[7] صحيح مسلم 595

^ ^ ^ ^

19. الإباحة .. والقباحة

قتل الإنسان للثأر والانتقام

يبيح القرآن القتل للثأر والانتقام، بل يشجّع على ذلك:

{.. وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا} 17|33

(ابن كثير: أَيْ: سُلْطَةً عَلَى الْقَاتِلِ فَإِنَّهُ بِالْخِيَارِ فِيهِ إِنْ شَاءَ قَتَلَهُ قَوَدًا وَإِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ عَلَى الدِّيَةِ وَإِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ مَجَّانًا كَمَا ثَبَتَتِ السُّنَّةُ بِذَلِكَ [...] «فَلَا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ» قَالُوا مَعْنَاهُ فَلَا يُسْرِفِ الْوَلِيُّ فِي قَتْلِ الْقَاتِلِ بِأَنْ يُمَثِّلَ بِهِ أَوْ يَقْتَصَّ مِنْ غَيْرِ الْقَاتِلِ.)

تقتيل الناس إن لم يؤمنوا بالمعتقد الإبراهيمي

المسلم حرام دمه وماله وعرضه. ماذا عن غير المسلم؟ إن كان ذمياً من أهل الكتاب فهو حرام كالمسلم. وأما الآخرون (الذين قد يكون بعض أحبائك منهم).. إذا لم يبدلوا معتقداتهم بمعتقد المسلمين.. تُباح دماؤهم وأموالهم وأعراضهم، ويجب على المسلمين تقتيلهم أو تهجيرهم. ولو أن الحكم الإسلامي امتد إلى جميع أنحاء العالم.. فلن يكون لأولئك الناس مفر من التقتيل والاغتصاب والمقابر الجماعية:

{.. فَإِنْ تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ ..} 4|89

{.. فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ ..} 9|5

{لَئِن لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا * مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلًا} 33|60-61

(ابن كثير: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَيْ: لَنُسَلِّطَنَّكَ عَلَيْهِمْ [...] «ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا») أَيْ، فِي الْمَدِينَةِ «إِلَّا قَلِيلًا مَلْعُونِينَ» مَطْرُودِينَ مُبْعَدِينَ، «أَيْنَ مَا ثُقِفُوا» أَيْ: وُجِدُوا، «أُخِذُوا» لِذِلَّتِهِمْ وَقِلَّتِهِمْ، «وَقُتِّلُوا تَقْتِيلًا».)

قتل الطفل

لم يرَ مؤسسو الإسلام بأسًا في قتل شخص لطفل عمدًا. هذا النص يذكر ذلك باعتباره من «الرحمة» و«العلم». ماذا عنك أيها المسلم الذي يقرأه يوم الجُمعة؟ ماذا لو حدث ذلك لطفلك، أو لطفل تعرفه؟:

{.. عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا [...] فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا [...] وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا} 18|65-80

(ابن كثير: النَّبِيّ .. قَالَ: «الْغُلَامُ الَّذِي قَتَلَهُ الْخَضِرُ طُبِعَ يَوْمَ طُبِعَ كَافِرًا»[...] «يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا» أَيْ: يَحْمِلُهُمَا حُبُّهُ عَلَى مُتَابَعَتِهِ عَلَى الْكُفْرِ. قَالَ قَتَادَةُ: قَدْ فَرِحَ بِهِ أَبَوَاهُ حِينَ وُلِدَ، وَحَزِنَا عَلَيْهِ حِينَ قُتِلَ، وَلَوْ بَقِيَ لَكَانَ فِيهِ هَلَاكُهُمَا. ..)

{ابْنِ جَثَّامَةَ قَالَ: مَرَّ بِيَ النَّبِيُّ ... بِالْأَبْوَاءِ أَوْ بِوَدَّانَ وَسُئِلَ عَنْ أَهْلِ الدَّارِ يُبَيَّتُونَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فَيُصَابُ مِنْ نِسَائِهِمْ وَذَرَارِيِّهِمْ. قَالَ: هُمْ مِنْهُمْ. وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ لَا حِمَى إِلَّا لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ ..} [1]

الطفل البريء، لمجرد أنه طفل شخص كافر، لا يهمهم، ولا يبالون بأن يصاب، ولا بأس بأن يقتله المسلم بالخطأ.

تقتيل الأسرى

{مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ..} 8|67

يعني: لا تأخذوا الأسرى لتطلقوهم مقابل فدية؛ بل اقتلوهم!

(الطبري: يُعَرِّفُهُ أَنَّ قَتْلَ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ أَسَرَهُمْ يَوْمَ بَدْرٍ ثُمَّ فَادَى بِهِمْ كَانَ أَوْلَى بِالصَّوَابِ مِنْ أَخْذِ الْفِدْيَةِ مِنْهُمْ وَإِطْلَاقِهِمْ [...] إِذَا أَسَرْتُمُوهُمْ فَلَا تُفَادُوهُمْ حَتَّى تُثْخِنُوا فِيهِمُ الْقَتْلَ..)

ممارسة التعذيب

استخدم مؤسسو الإسلام سلطانهم الإلهي المزيّف لشرعنة وتسويغ ممارسة التعذيب، والتهديد باستمراره بعد الموت إلى الأبد، ليكون وسيلة لإرهاب الناس، ضمن سياسة «العصا والجزرة». في القرآن، تردد ذكر التعذيب والتهديد به مئات المرات. أمثلة:

{إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا ..} 9|39

{لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ} 9|66

{.. فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ} 9|74

{فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ..} 3|56

{قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِنْ تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِنْ تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا} 48|16

{وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ} 9|101

{لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ} 13|34

{الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} 24|2

{يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ..} 33|30

{إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ..} 24|19

{كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ} 68|33

الاستغلال الجنسي للأطفال (بيدوفيليا)

الإسلام يبيح بلا أدنى حرج.. أن ينكح الرجل طفلة، ويفعل بها العملية الجنسية وهي لم يكتمل نموها ولم تبدأ دورتها الشهرية:

{.. فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ ..} 65|4

(الطبري: .. اللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ مِنَ الْجَوَارِي لِصِغَرٍ إِذَا طَلَّقَهُنَّ أَزْوَاجهنَّ بَعْد الدُّخُول [...] لَمْ يَبْلُغْنَ الْمَحِيض، وَقَدْ مُسِسْنَ..)

{تَزَوَّجَ النَّبِيُّ .. عَائِشَةَ وَهِيَ بِنْتُ سِتِّ سِنِينَ وَبَنَى بِهَا وَهِيَ بِنْتُ تِسْعٍ وَمَكَثَتْ عِنْدَهُ تِسْعًا} [2]

بينما يحرّم هذا الدين.. شرب القليل من النبيذ (الذي ثبت علمياً أنه مفيد للصحة [3])، يبيح هذه العادة القبيحة، وانتهاك الطفولة. وكان محمد ينصح أصحابه بأن ينكحوا الصغيرات:

{جابر بن عبدالله قال: تزوجتُ، فأتيتُ النَّبِيَّ ..، فقال: «أتزوَّجْتَ يا جابرُ؟» قلتُ: نعمْ. قال: «بِكرًا أمْ ثيِّبًا؟» فقلْتُ: ثيِّبًا. قال: «فهلّا بِكْرًا تُلاعِبُها وتُلاعِبُك؟»} [4]

البغاء (الدعارة)

الإسلام يبيح استغلال الجواري في البغاء (الدعارة)، ما دام ليس بالإكراه:

{.. وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهْهُنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ} 24|33

ويبيح للفقير أن ينكح امرأة مملوكة لرجل آخر، وبهذا قد تضاجع المرأة رَجلين.. مالكها وزوجها:

{وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ..} 4|25

(الطبري: مَنْ لَمْ يَجِد مَا يَنْكِح بِهِ حُرَّة فَيَنْكِح هَذِهِ الْأَمَة فَيَتَعَفَّف بِهَا وَيَكْفِيه أَهْلهَا مُؤْنَتهَا.)

ويبيح نكاح المتعة، وهو استغلال المرأة المحتاجة.. في نكح مؤقت مقابل أجر. وهذا امتياز للرجل، ليس للمرأة مثله؛ وهو ما يمكن تسميته «البغاء الإسلامي» أو «الدعارة الإسلامية»:

{.. وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكُمْ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ..} 4|24

{ابْنِ جُرَيْجٍ قَالَ: أَخْبَرَنِي عَطَاءٌ أَنَّهُ سَمِعَ ابْنَ عَبَّاسٍ يَرَاهَا حَتَّى الْآنَ حَلَالًا، وَأَخْبَرَنِي أَنَّهُ كَانَ يَقْرَأُ «فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ إِلَى أَجَلٍ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ» ..} [5]

{أبو جمرة قال: سَمِعْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ سُئِلَ عن مُتْعَةِ النِّساءِ، فَرَخَّصَ ..} [6]

{جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ وَسَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ قَالَا: كُنَّا فِي جَيْشٍ فَأَتَانَا رَسُولُ رَسُولِ اللَّهِ .. فَقَالَ «إِنَّهُ قَدْ أُذِنَ لَكُمْ أَنْ تَسْتَمْتِعُوا فَاسْتَمْتِعُوا» [...] عَنْ رَسُولِ اللَّهِ .. «أَيُّمَا رَجُلٍ وَامْرَأَةٍ تَوَافَقَا فَعِشْرَةُ مَا بَيْنَهُمَا ثَلَاثُ لَيَالٍ فَإِنْ أَحَبَّا أَنْ يَتَزَايَدَا أَوْ يَتَتَارَكَا تَتَارَكَا ..»} [7]

{سبرة بن معبد الجهني قال: أَذِنَ لَنا رَسولُ اللهِ .. بالمُتْعَةِ، فانْطَلَقْتُ أنا ورَجُلٌ إلى امْرَأَةٍ مِن بَنِي عامِرٍ، كَأنَّها بَكْرَةٌ عَيْطاءُ، فَعَرَضْنا عليها أنْفُسَنا، فقالَتْ: ما تُعْطِي؟ فَقُلتُ: رِدائِي. وقالَ صاحِبِي: رِدائِي. وكانَ رِداءُ صاحِبِي أجْوَدَ مِن رِدائِي، وكُنْتُ أشَبَّ منه، فَإِذا نَظَرَتْ إلى رِداءِ صاحِبِي أعْجَبَها، وإذا نَظَرَتْ إلَيَّ أعْجَبْتُها. ثُمَّ قالَتْ: أنْتَ ورِداؤُكَ يَكْفِينِي. فَمَكَثْتُ معها ثَلاثًا. ثُمَّ إنَّ رَسولَ اللهِ .. قالَ: مَن كانَ عِنْدَهُ شيءٌ مِن هذِه النِّساءِ الَّتي يَتَمَتَّعُ، فَلْيُخَلِّ سَبِيلَها.} [8]

بينما يحرّم هذا الدين.. العاطفة الجميلة المتبادلة، والعشق والانجذاب الجنسي، والعلاقة الجنسية المتكافئة بين امرأة وحبيبها، («وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ» 4|25) يبيح للمرأة أن تغدو أجيرة جنس أو عاملة جنس ليستمتع الرجال بها ويقضوا شهوتهم فيها مقابل أجر.

(ابن كثير: .. اسْتُدِلَّ بِعُمُومِ هَذِهِ الْآيَةِ عَلَى نِكَاحِ الْمُتْعَةِ، وَلَا شَكَّ أَنَّهُ كَانَ مَشْرُوعًا فِي اِبْتِدَاء الْإِسْلَام ثُمَّ نُسِخَ بَعْد ذَلِكَ. وَقَدْ ذَهَبَ الشَّافِعِيّ وَطَائِفَة مِنْ الْعُلَمَاء إِلَى أَنَّهُ أُبِيحَ ثُمَّ نُسِخَ ثُمَّ أُبِيحَ ثُمَّ نُسِخَ مَرَّتَيْنِ وَقَالَ آخَرُونَ: أَكْثَر مِنْ ذَلِكَ. [...] وَقَدْ رُوِيَ عَنْ اِبْن عَبَّاس وَطَائِفَة مِنْ الصَّحَابَة الْقَوْل بِإِبَاحَتِهَا لِلضَّرُورَةِ [...] وَكَانَ اِبْنُ عَبَّاسٍ وَأُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ وَالسُّدِّيُّ يَقْرَءُونَ «فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ» [...] مَنْ حَمَلَ هَذِهِ الْآيَةَ عَلَى نِكَاحِ الْمُتْعَةِ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى قَالَ: لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا اِنْقَضَى الْأَجَلُ أَنْ تَتَرَاضَوْا عَلَى زِيَادَةٍ بِهِ [...] إِنْ شَاءَ أَرْضَاهَا مِنْ بَعْد [...] الْأَجْر الَّذِي أَعْطَاهَا عَلَى تَمَتُّعه بِهَا قَبْل اِنْقِضَاء الْأَجَل بَيْنَهُمَا فَقَالَ: أَتَمَتَّع مِنْك أَيْضًا بِكَذَا وَكَذَا [...] إِذَا اِنْقَضَتْ الْمُدَّة فَلَيْسَ لَهُ عَلَيْهَا سَبِيل وَهِيَ مِنْهُ بَرِيئَة وَعَلَيْهَا أَنْ تَسْتَبْرِئَ مَا فِي رَحِمهَا وَلَيْسَ بَيْنهمَا مِيرَاث ..)

سبي النساء (الاغتصاب)

الإسلام يبيح للرجل أن يأخذ امرأة معتقلة من الغزو.. فيفعل بها ما يشاء، وأن يغتصبها كما يشاء.. حتى لو كانت متزوجة.. على أساس أنها صارت من ممتلكاته:

{يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ ..} 33|50

(الطبري: وَأَحْلَلْنَا لَك إِمَاءَك اللَّوَاتِي سَبَيْتهنَّ، فَمَلَكْتهنَّ بِالسِّبَاءِ، وَصِرْنَ لَك بِفَتْحِ اللَّه عَلَيْك مِنْ الْفَيْء.)

(القرطبي: أَيْ: مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ مِنَ النِّسَاءِ بِالْمَأْخُوذِ عَلَى وَجْهِ الْقَهْرِ وَالْغَلَبَةِ.)

(ابن كثير: أَيْ: وَأَبَاحَ لَكَ التَّسَرِّي مِمَّا أَخَذْت مِنْ الْمَغَانِم، وَقَدْ مَلَكَ صَفِيَّة وَجُوَيْرِيَة فَأَعْتَقَهُمَا وَتَزَوَّجَهُمَا. وَمَلَكَ رَيْحَانَة بِنْت شَمْعُون النَّضْرِيَّة، وَمَارِيَة الْقِبْطِيَّة أُمّ اِبْنه إِبْرَاهِيم، .. وَكَانَتَا مِنْ السَّرَارِي)

{وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ..} 4|24

(الطبري: الْمُحْصَنَات [...] هُنَّ ذَوَات الْأَزْوَاج غَيْر الْمَسْبِيَّات مِنْهُنَّ. وَمِلْك الْيَمِين: السَّبَايَا اللَّوَاتِي فَرَّقَ بَيْنهنَّ وَبَيْن أَزْوَاجهنَّ السِّبَاء، فَحَلَلْنَ لِمَنْ صِرْنَ لَهُ بِمِلْكِ الْيَمِين مِنْ غَيْر طَلَاق كَانَ مِنْ زَوْجهَا الْحَرْبِيّ لَهَا.)

(القرطبي: .. كَانَ أَصْحَاب رَسُول اللَّه .. يَسْتَبْرِئُونَ الْمَسْبِيَّة بِحَيْضَة ..)

{أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ .. بَعَثَ جَيْشًا إِلَى أَوْطَاسَ فَلَقُوا عَدُوًّا فَقَاتَلُوهُمْ فَظَهَرُوا عَلَيْهِمْ وَأَصَابُوا لَهُمْ سَبَايَا. فَكَأَنَّ نَاسًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ .. تَحَرَّجُوا مِنْ غِشْيَانِهِنَّ مِنْ أَجْلِ أَزْوَاجِهِنَّ مِنْ الْمُشْرِكِينَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي ذَلِكَ «وَالْمُحْصَنَاتُ مِنْ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ» أَيْ: فَهُنَّ لَكُمْ حَلَالٌ إِذَا انْقَضَتْ عِدَّتُهُنَّ.} [9]

يعني، ينتظر مالك المرأة المعتقلة أقل من شهر فيثبت عدم حملها من زوجها، ثم له أن يغتصبها كما يشاء. لم يأبه مؤسسو الإسلام بحال أطفال تلك المرأة المستغَلّة؛ فقد حولوهم تلقائيًا إلى عبيد وإماء صغار. ولسان حالهم كان يقول «أعداء نقاتلهم وننتصر؛ يحق لنا أن نتمتع بنسائهم، ونتخذ أولادهم عبيدًا لنا.» (تخيّل نفسك مكان المستعبَد)

شخصية الله الخيالية

قدّم مؤلفو القرآن شخصية «الله».. على أنه يقوم بممارسة التعذيب كما بينت الفقرة السابقة، وأنه خلق الناس فريقين، ليُنعم على أحدهما، ويعذّب الآخر:

{وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ} 11|118-119

(الطبري: سُئِلَ الْحَسَنُ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ .. قَالَ: النَّاسُ كُلُّهُمْ مُخْتَلِفُونَ عَلَى أَدْيَانٍ شَتَّى، إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ، فَمَنْ رَحِمَ غَيْرُ مُخْتَلِفٍ. فَقُلْتُ لَهُ: «وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ»؟ فَقَالَ: خَلَقَ هَؤُلَاءِ لِجَنَّتِهِ، وَهَؤُلَاءِ لِنَارِهِ، وَخَلَقَ هَؤُلَاءِ لِرَحْمَتِهِ، وَخَلَقَ هَؤُلَاءِ لِعَذَابِهِ. عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَوْلُهُ: «وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ»، قَالَ: خَلَقَهُمْ فَرِيقَيْنِ: فَرِيقًا يُرْحَمُ فَلَا يَخْتَلِفُ، وَفَرِيقًا لَا يُرْحَمُ يَخْتَلِفُ، وَذَلِكَ قَوْلُهُ: «فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ» 11|105. سُئِلَ مَالِكٌ [...] قَالَ: خَلَقَهُمْ لِيَكُونُوا فَرِيقَيْنِ: فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ، وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ.)

(ابن كثير: يُخْبِرُ تَعَالَى أَنَّهُ قَدْ سَبَقَ فِي قَضَائِهِ وَقَدَرِهِ، لِعِلْمِهِ التَّامِّ وَحِكْمَتِهِ النَّافِذَةِ، أَنَّ مِمَّنْ خَلَقَهُ مَنْ يَسْتَحِقُّ الْجَنَّةَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَحِقُّ النَّارَ، وَأَنَّهُ لَا بُدَّ أَنْ يَمْلَأَ جَهَنَّمَ مِنْ هَذَيْنِ الثَّقَلَيْنِ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ)

(القرطبي: مَعْنَى «تَمَّتْ» ثَبَتَ ذَلِكَ كَمَا أَخْبَرَ وَقَدَّرَ فِي أَزَلِهِ. وَتَمَامُ الْكَلِمَةِ امْتِنَاعُهَا عَنْ قَبُولِ التَّغْيِيرِ وَالتَّبْدِيلِ.)

وأنه يُضل الناس ويفتنهم، ثم يعذبهم على ضلالهم بالنار، ويستمر بتعذيبهم إلى الأبد:

{.. قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ ..} 13|27

{وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ..} 16|93

{إِنْ تَحْرِصْ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ ..} 16|37

{.. أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا} 4|88

{.. فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ ..} 30|29

{مَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ} 7|186

{وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا} 17|97

{.. وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ} 5|41

وأنه يريد الدمار ويوجّه المجرمين:

{وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا} 17|16

{وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا ..} 6|123

وأنه يحرض المسلم على العداوة والبغضاء تجاه كل من له معتقد مختلف، حتى أقرب الناس إليه:

{لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ..} 58|22

{قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ..} 60|4

وأنه جبّار منتقم.. يحرّض المسلمين صراحةً على تقتيل مخالفيهم.. بعبارات مشحونة بالبغضاء والعدوانية.. ما تسبب عبر 14 قرنًا بما لا يحصى من قتلى، وأيتام وأرامل وثكالى. (تخيّل نفسك مكانهم):

{فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ ..} 47|35

{وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ} 2|191

{وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّى يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا [...] فَإِنْ لَمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ وَيَكُفُّوا أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ ..} 4|89-91

{.. فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ..} 9|5

{قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ} 9|14

{فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ ..} 47|4

{.. فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ} 8|12

وأنه يَعجب ويغضب ويتحسّر:

{وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ ..} 13|5

{.. وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ ..} 48|6

{يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ ..} 36|30

المتكلم المزعوم هو «الله»، واصفًا قول خصوم محمد بأنه «عجب». المقولة المعروفة «إذا عُرف السبب بطل العجب» تُذكّرنا بأن حالة العجب تأتي من جهل السبب، أو سوء فهم لأمر ما. كذلك الغضب والحسرة، مرتبطان بضعف المرء وعجزه عن تحقيق ما يريد أو منع ما لا يريد. هذه الحالات.. لا تليق بكائن قوي غني عالم بكل شيء قادر على كل شيء.

فهل هذه الشخصية الخيالية تستحق الاحترام أصلاً، فضلاً عن استحقاق التأليه؟



[1] صحيح البخاري 3012، صحيح مسلم 1745، صحيح ابن حبان 4786

[2] صحيح البخاري 4863

[3] القسم 22 من هذا الكتاب «كأس نبيذ .. صحي لذيذ»

[4] صحيح البخاري 5080، 5367، 6387، صحيح مسلم 715، صحيح أبي داود 2048، صحيح النسائي 3219، صحيح الترمذي 1100، صحيح ابن حبان 2717، صحيح ابن ماجه 1519، مسند أحمد 14306

[5] التمهيد لابن عبدالبر 113/10، مصنف عبد الرزاق 14022

[6] صحيح البخاري 5116

[7] صحيح البخاري 4827

[8] صحيح مسلم 1406، صحيح ابن حبان 4146

[9] صحيح مسلم 1456

^ ^ ^ ^

20. بسم الإيمان والإحسان .. جرائم ضد الإنسان

الغزو

ذبح الأسرى

اغتيال المعارضين

منع الحرية الدينية

العقوبات الجسدية الهمجية

كما يبيّن القسم 11، نصوص الغزو وتقتيل المعارضين في سورة التوبة وغيرها (الأخيرة زمنيًا).. ناسخة (مبطِلة) لجميع نصوص السماحة والمسالمة.

استخدم محمد وأعوانه القرآن.. لوضع شريعة سلطوية بحسب أهوائهم، ولتعبيد وتجنيد أتباعهم. إن ما كان يفعله محمد وأتباعه هو غزوات، هجمات على القرى والبلدات والقبائل والقوافل، وليست معارك دفاعية كما يزعم بعض المسلمين. كانت في البدء بحجة تعويض ما خسروه من ممتلكاتهم التي تركوها حينما فرّوا من مكة، ثم توسعت واستفحلت تحت الشعار الوهمي «الجهاد في سبيل الله».. فباتت جرائم ضد الإنسانية.. لغرض مواصلة نيل الغنائم.. واغتصاب ممتلكات الغير ونسائهم. وقد اجترؤوا على اغتيال المعارضين وذبح الأسرى، وأقدموا على عشرات الغزوات، بقيادة محمد أو بتوجيه مباشر منه، سقط فيها مئات القتلى. بعنصر المفاجأة ومباغتة أهل البلاد وقت نومهم، استطاعوا احتلالها، وتقتيل رجالها، ونهبها واسترقاق نسائها وأطفالها، وإقامة دولة توسعية.. لإشباع شهواتهم. [1]

{.. [قريش] اجْتَمَعَ أَشْرَافُهُمْ يومًا فِي الْحِجْرِ فَذَكَرُوا رَسُولَ اللَّهِ ... فَقَالُوا: مَا رَأَيْنَا مِثْلَ مَا صَبَرْنَا عَلَيْهِ مِنْ هَذَا الرَّجُلِ قَطُّ، سَفَّهَ أَحْلامَنَا وَشَتَمَ آبَاءَنَا وعَابَ دِينَنَا وَفَرَّقَ جَمَاعَتَنَا وَسَبَّ آلِهَتَنَا، لَقَدْ صَبَرْنَا مِنْهُ عَلَى أَمْرٍ عَظِيمٍ [...] طَلَعَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ... فَلَمَّا أَنْ مَرَّ بِهِمْ غَمَزُوهُ بِبَعْضِ مَا يَقُولُ [...] ثُمَّ مَضَى فَلَمَّا مَرَّ بِهِمُ الثَّانِيَةَ غَمَزُوهُ بِمِثْلِهَا [...] ثُمَّ مَضَى ثُمَّ مَرَّ بِهِمُ الثَّالِثَةَ فَغَمَزُوهُ بِمِثْلِهَا فَقَالَ: تَسْمَعُونَ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ؟! أَمَا وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِالذَّبْحِ! فَأَخَذَتِ الْقَوْمَ كَلِمَتُهُ ..} [2]

{فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ ..} 9|5

(القرطبي: اعْلَمْ أَنَّ مُطْلَقَ قَوْلِهِ «اقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ» يَقْتَضِي جَوَازَ قَتْلِهِمْ بِأَيِّ وَجْهٍ كَانَ، إِلَّا أَنَّ الْأَخْبَارَ وَرَدَتْ بِالنَّهْيِ عَنِ الْمُثْلَةِ. وَمَعَ هَذَا فَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الصِّدِّيقُ ... حِينَ قَتَلَ أَهْلَ الرِّدَّةِ بِالْإِحْرَاقِ بِالنَّارِ، وَبِالْحِجَارَةِ وَبِالرَّمْيِ

مِنْ رُءُوسِ الْجِبَالِ، وَالتَّنْكِيسِ فِي الْآبَارِ، تَعَلَّقَ بِعُمُومِ الْآيَةِ. وَكَذَلِكَ إِحْرَاقُ عَلِيٍّ ... قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الرِّدَّةِ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَيْلًا إِلَى هَذَا الْمَذْهَبِ، وَاعْتِمَادًا عَلَى عُمُومِ اللَّفْظِ. [...] «وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ» فِي هَذَا دَلِيلٌ عَلَى جَوَازِ اغْتِيَالِهِمْ قَبْلَ الدَّعْوَةِ.}

الغزو

{قال محمد: مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَغْزُ وَلَمْ يُحَدِّثْ نَفْسَهُ بِالْغَزْوِ مَاتَ عَلَى شُعْبَةٍ مِنْ نِفَاقٍ.} [3]

{قال محمد: بُعِثْتُ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ بِالسَّيْفِ، حَتَّى يُعْبَدَ اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَجُعِلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رُمْحِي ..} [4]

{أنس بن مالك قال: كان النَّبِيُّ ... إذا غزا قومًا لم يَغْزُ حتّى يُصبِحَ فينظُرَ فإنْ سمِعَ أذانًا كفَّ عنهم وإنْ لم يسمَعْ أذانًا أغار عليهم ..} [5]

{.. النَّبِيَّ ... أَغَارَ عَلَى بَنِي الْمُصْطَلِقِ وَهُمْ غَارُّونَ وَأَنْعَامُهُمْ تُسْقَى عَلَى الْمَاءِ، فَقَتَلَ مُقَاتِلَتَهُمْ، وَسَبَى ذَرَارِيَّهُمْ، وَأَصَابَ يَوْمَئِذٍ جُوَيْرِيَةَ. ..} [6]

{.. بَلَغَ رَسُولَ اللَّهِ ... أَنَّ بِدُومَةَ الْجَنْدَلِ جَمْعًا كَثِيرًا وَأَنَّهُمْ يَظْلِمُونَ مَنْ مَرَّ بِهِمْ ... فَنَدَبَ ... النَّاسَ [...] وَخَرَجَ [...] فِي أَلْفٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَكَانَ يَسِيرُ اللَّيْلَ وَيَكْمُنُ النَّهَارَ [...] فَلَمَّا دَنَا مِنْهُمْ إِذَا هُمْ مُغَرِّبُونَ، وَإِذَا آثَارُ النَّعَمِ وَالشَّاءِ، فَهَجَمَ عَلَى مَاشِيَتِهِمْ وَرِعَاتِهِمْ فَأَصَابَ مَنْ أَصَابَ ..} [7]

{ابْنِ جَثَّامَةَ قَالَ: مَرَّ بِيَ النَّبِيُّ ... بِالْأَبْوَاءِ أَوْ بِوَدَّانَ وَسُئِلَ عَنْ أَهْلِ الدَّارِ يُبَيَّتُونَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فَيُصَابُ مِنْ نِسَائِهِمْ وَذَرَارِيِّهِمْ. قَالَ: هُمْ مِنْهُمْ. وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ لَا حِمَى إِلَّا لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ ..} [8]

يعني، الطفل البريء، لمجرد أنه طفل شخص كافر، لا يهم أن يقتله المسلم بالخطأ، أو يأخذه ليكون عبدًا مملوكًا له.

{زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ [...] بَعَثَهُ رَسُولُ اللَّهِ ... فِي 500 رَجُلٍ [...] وَكَانَ زَيْدٌ يَسِيرُ اللَّيْلَ وَيَكْمُنُ النَّهَارَ [...] حَتَّى هَجَمَ بِهِمْ فَأَغَارُوا مَعَ الصُّبْحِ عَلَى الْهُنَيْدِ وَابْنِهِ وَمَنْ كَانَ فِي مَحَلَّتِهِمْ فَأَصَابُوا مَا وَجَدُوا، وَقَتَلُوا فِيهِمْ فَأَوْجَعُوا، وَقَتَلُوا الْهُنَيْدَ وَابْنَهُ وَأَغَارُوا عَلَى مَاشِيَتِهِمْ وَنَعَمِهِمْ وَنِسَائِهِمْ فَأَخَذُوا مِنَ النَّعَمِ 1000 بَعِيرٍ وَمِنَ الشَّاءِ 5000 شَاةٍ وَمِنَ السَّبْيِ 100 مِنَ النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ ..} [9]

{بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ... شُجَاعَ بْنَ وَهْبٍ فِي 24 رَجُلًا إِلَى جَمْعٍ مِنْ هَوَازِنَ بِالسِّيِّ، وَأَمَرَهُ أَنْ يُغِيرَ عَلَيْهِمْ. فَخَرَجَ، فَكَانَ يَسِيرُ اللَّيْلَ وَيَكْمُنُ النَّهَارَ، حَتَّى صَبَّحَهُمْ وَهُمْ غَارُّونَ [...] فَأَصَابُوا نَعَمًا كَثِيرًا وَشَاءً فَاسْتَاقُوا ذَلِكَ كُلَّهُ [...] قَدْ أَصَابُوا فِي الْحَاضِرِ نِسْوَةً فَاسْتَاقُوهُنَّ، وَكَانَتْ فِيهِنَّ جَارِيَةٌ وَضِيئَةٌ، فَقَدِمُوا بِهَا الْمَدِينَةَ} [10]

{جُنْدَبِ ... قَالَ بَعَثَ رَسُولُ اللهِ ... غَالِبَ بْنَ عَبدِ اللهِ الْكَلْبِيّ [...] فِي سَرِيّةٍ كُنْت فِيهَا، وَأَمَرَهُ أَنْ يَشُنّ الْغَارَةَ عَلَى بَنِي الْمُلَوّحِ، وَهُمْ بِالْكَدِيدِ فَخَرَجْنَا [...] وَأمهَلْنَاهُم حَتّى إِذَا اطْمَأَنّوا وَنَامُوا، وَكَانَ فِي وَجْهِ السّحَرِ، شَنَنّا عليهم الْغَارَةَ [...] فَقَتَلْنَا، وَاسْتَقْنَا النّعَم وَخَرَجَ صَرِيخُ الْقَوْمِ فَجَاءَنَا دَهْمٌ لا قِبَلَ لَنَا بِهِ وَمَضَيْنَا بِالنّعَمِ [...] فقدمْنَا بِهَا عَلَى رَسُولِ اللّهِ ..} [11]

بئس القوم يغزون الأنام
غدرًا في الليل حين تنام

{أَنَّ قُرَيْشًا خافُوا طَرِيقَهُمْ الّذِي كَانُوا يَسْلُكُونَ إلَى الشّامِ، حِينَ كَانَ مِنْ وَقْعَةِ بَدْرٍ مَا كَانَ، فَسلَكُوا طَرِيقَ الْعِراقِ، فَخَرج مِنهم تُجّارٌ [...] وبعثَ رَسُولُ اللّهِ ... زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ فَلَقِيَهُمْ [...] فَأَصَاب تِلْكَ الْعِيرَ وَمَا فِيهَا، وَأَعْجَزَهُ الرِّجَالُ، فقَدِمَ بِهَا عَلى رَسُولِ اللّهِ} [12]

{أُسامَةَ بْنَ زَيْد ... يَقُولُ بَعَثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ... إِلَى الْحُرَقَةِ. فَصَبَّحْنَا الْقَوْمَ، فَهزمْنَاهُمْ. وَلَحِقْتُ أَنَا وَرَجُلٌ مِنْ الْأَنْصارِ رَجُلًا مِنْهُمْ، فَلَمَّا غَشِيناهُ قَالَ لَا إِلهَ إِلَّا اللَّهُ. فَكَفَّ الْأَنْصارِيُّ، فَطَعَنْتُه بِرُمْحِي حَتَّى قَتَلْتُه. فَلَمَّا قَدِمْنَا بَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ... فَقَالَ يَا أُسَامَةُ أَقَتَلْتَهُ بَعْدَ مَا قَالَ لَا إِلهَ إِلَّا اللَّهُ؟ قُلْتُ كَانَ مُتَعَوِّذًا. فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا حَتَّى تَمَنَّيْتُ أَنِّي لَمْ أَكُنْ أَسْلَمْتُ قَبْلَ ذَلِكَ الْيَوْمِ} [13]

{جَرِيرٍ قَالَ كَانَ بَيْتٌ فِي الْجَاهِلِيَّةِ يُقَالُ لَهُ ذُو الْخَلَصَةِ وَالْكَعْبَةُ الْيَمَانِيَةُ وَالْكَعْبَةُ الشَّأْمِيَّةُ. فَقَالَ لِي النَّبِيُّ ... أَلَا تُرِيحُنِي مِنْ ذِي الْخَلَصَةِ؟ فَنَفَرْتُ فِي 150 رَاكِبًا فَكسَرْنَاهُ وَقَتَلْنَا مَنْ وَجَدْنَا عِنْدَهُ. فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ ... فَأَخْبَرْتُهُ، فَدَعَا لَنَا} [14]

{ابْنِ أَبِي حَدْرَدٍ قَالَ: [...] أَقْبَلَ [...] رِفَاعَةُ بْنُ قَيْسٍ [...] حَتَّى نَزَلَ بِقَوْمِهِ وَمَنْ مَعَهُ بِالْغَابَةِ، يُرِيدُ أَنْ يَجْمَعَ قَيْسًا عَلَى حَرْبِ رَسُولِ اللّهِ ... فَدَعَانِي رَسُولُ اللّهِ ... وَرَجُلَيْنِ مَعِي مِنْ الْمُسْلِمِينَ، فَقَالَ: اُخْرُجُوا إلَى هَذَا الرّجُلِ حَتّى تَأْتُوا مِنْهُ بِخَبَرٍ وَعِلْمٍ [...] فَخَرَجْنَا وَمَعَنَا سِلَاحُنَا مِنْ النّبْلِ وَالسّيُوفِ، حَتّى إذَا جِئْنَا قَرِيبًا مِنْ الْحَاضِرِ عُشَيْشِيَةً مَعَ غُرُوبِ الشّمْسِ، كَمَنْتُ فِي نَاحِيَةٍ، وَأَمَرْتُ صَاحِبَيّ، فَكَمَنَا فِي نَاحِيَةٍ أُخْرَى مِنْ حَاضِرِ الْقَوْمِ، وَقُلْتُ لَهُمَا: إذَا سَمِعْتُمَانِي قَدْ كَبّرْتُ وَشَدَدْتُ فِي نَاحِيَةِ الْعَسْكَرِ فَكَبّرَا وَشُدّا مَعِي. فَوَاَللّهِ إنّا لَكَذَلِكَ نَنْتَظِرُ غِرّةَ الْقَوْمِ، أَوْ أَنْ نُصِيبَ مِنْهُمْ شَيْئًا. وَقَدْ غَشِيَنَا اللّيْلُ حَتّى ذَهَبَتْ فَحْمَةُ الْعِشَاءِ، وَقَدْ كَانَ لَهُمْ رَاعٍ قَدْ سَرَحَ فِي ذَلِكَ الْبَلَدِ، فَأَبْطَأَ عَلَيْهِمْ حَتّى تَخَوّفُوا عَلَيْهِ. فَقَامَ [...] رِفَاعَةُ بْنُ قَيْسٍ، فَأَخَذَ سَيْفَهُ، فَجَعَلَهُ فِي عُنُقِهِ، ثُمّ قَالَ: وَاَللّهِ لَأَتْبَعَنّ أَثَرَ رَاعِينَا هَذَا، وَلَقَدْ أَصَابَهُ شَرٌّ [...] وَخَرَجَ حَتّى يَمُرّ بِي. فَلَمّا أَمْكَنَنِي نَفَحْتُهُ بِسَهْمِي، فَوَضَعْتُهُ فِي فُؤَادِهِ. فَوَاَللّهِ مَا تَكَلّمَ، وَوَثَبْتُ إلَيْهِ، فَاحْتَزَزْتُ رَأْسَهُ. وَشَدَدْتُ فِي نَاحِيَةِ الْعَسْكَرِ، وَكَبّرْتُ، وَشَدّ صَاحِبَايَ وَكَبّرَا [...] وَاسْتَقْنَا إبِلًا

عظيمةً، وغنمًا كثيرةً، فجئنا بها إلى رسولِ اللهِ، وجئتُ برأسه أحملُه معي فأعطاني من تلك الإبلِ 13 بعيرًا} [15]

{بعثَ رسولُ اللهِ ... عبدَ اللهِ بنَ جحشٍ [...] وبعثَ معه ثمانيةَ [...] وكتبَ له كتابًا وأمرَه أنْ لا ينظرَ فيه حتى يسيرَ يومينِ [...] فلما سارَ [...] يومينِ فتحَ الكتابَ [...] إذا فيه: إذا نظرتَ في كتابي هذا فامضِ حتى تنزلَ نخلةَ، بينَ مكةَ والطائفِ، فترصدْ بها قريشًا [...] ومضى [...] حتى نزلَ بنخلةَ، فمرتْ به عيرٌ لقريشٍ تحملُ زبيبًا وأدمًا، وتجارةً [...] وتشاورَ القومُ فيهم وذلكَ في آخرِ يومٍ منْ رجبٍ (الشهر الحرام) فقالَ القومُ واللهِ لئنْ تركتمُ القومَ هذه الليلةَ ليدخلُنَّ الحرمَ، فليمتنعنَّ منكمْ به ولئنْ قتلتموهمْ لتقتلنَّهمْ في الشهرِ الحرامِ [...] ثمَّ شجعوا أنفسهمْ عليهمْ، وأجمعوا على قتلِ منْ قدروا عليهِ منهمْ، وأخذِ ما معهمْ [...] فرمى واقدُ ... عمرو بنَ الحضرميّ ... بسهمٍ فقتلهُ، واستأسرَ عثمانَ ... والحكمَ ... وأقبلَ [...] بالعيرِ وبالأسيرينِ [...] فعزلَ لرسولِ اللهِ ... خمسَ العيرِ، وقسمَ سائرَها بينَ أصحابهِ [...] فلمَّا قدموا على رسولِ اللهِ [...] قالَ: ما أمرتكمْ بقتالٍ في الشهرِ الحرامِ. فوقفَ العيرَ والأسيرينِ وأبى أنْ يأخذَ منْ ذلكَ شيئًا [...] سُقطَ في أيدي القومِ وظنُّوا أنَّهمْ قدْ هلكُوا، وعنفهمْ إخوانُهمْ منَ المسلمينَ فيما صنعُوا. وقالتْ قريشٌ قدْ استحلَّ محمدٌ وأصحابُه الشهرَ الحرامَ، وسفكُوا فيهِ الدمَ، وأخذُوا فيهِ الأموالَ، وأسرُوا فيهِ الرجالَ [...] فلمَّا أكثرَ النَّاسُ في ذلكَ أنزلَ اللهُ: {يسألونكَ عنِ الشهرِ الحرامِ قتالٍ فيهِ قلْ قتالٌ فيهِ كبيرٌ وصدٌّ عنْ سبيلِ اللهِ وكفرٌ بهِ والمسجدِ الحرامِ وإخراجُ أهلهِ منهُ أكبرُ عندَ اللهِ ..} 2|217 [...] فلمَّا نزلَ القرآنُ بهذَا منَ الأمرِ، وفرجَ اللهُ تعالَى عنَ المسلمينَ ما كانُوا فيهِ منَ الشفقِ قبضَ رسولُ اللهِ ... العيرَ والأسيرينِ} [16]

{ما قطعتُمْ منْ لينةٍ أوْ تركتُموها قائمةً على أصولِها فبإذنِ اللهِ وليُخزيَ الفاسقينَ} 59|5

{عبدالله بن عمر قالَ: حرّقَ رسولُ اللهِ ... نخلَ بني النضيرِ وقطعَ، وهي البويرةُ. فنزلتْ «ما قطعتُمْ منْ لينةٍ ..»} [17]

ذبح الأسرى

كان فتح مكة يومًا تاريخيًا: محمد الذي كان مجرد زعيم عصابة.. أصبح أوّل مَلك ورئيس للدولة الإسلامية. وكان أول قرار اتخذه هو.. ذبح الأسرى، ليكون البطش والإرهاب هما حجر الأساس الذي بُنيت عليه، ولكي لا يجرؤ أحد بعد ذلك على فضح زيف تلك الدولة وهذا الدين.

{.. عمرُ بنُ الخطابِ قالَ: لمَّا كانَ يومُ بدرٍ [...] فلمَّا أسروا الأُسارى قالَ رسولُ اللهِ ... لأبي بكرٍ وعمرَ: ما ترونَ في هؤلاءِ الأُسارى؟ فقالَ أبو بكرٍ: يا نبيَّ اللهِ همْ بنو العمِّ والعشيرةِ أرى أنْ تأخذَ منهمْ فديةً. [...] قلتُ: ... أرى أنْ تُمكّنَّا فنضربَ أعناقهمْ. [...] فلمَّا كانَ منَ الغدِ جئتُ فإذا رسولُ اللهِ ... وأبو بكرٍ قاعدينِ يبكيانِ قلتُ:

يَا رَسُولَ اللَّهِ أَخْبِرْنِي مِنْ أَيِّ شَيْءٍ تَبْكِي [...] فَقَالَ ..: أَبْكِي لِلَّذِي عَرَضَ عَلَيَّ أَصْحَابُكَ مِنْ أَخْذِهِمُ الْفِدَاءَ لَقَدْ عُرِضَ عَلَيَّ عَذَابُهُمْ. [...] وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ «مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى ..» } [18]

{فِي هَدْيِهِ [...] فِي الْأُسَارَى: كَانَ يَمُنُّ عَلَى بَعْضِهِمْ، وَيَقْتُلُ بَعْضَهُمْ، وَيُفَادِي بَعْضَهُمْ بِالْمَالِ، وَبَعْضَهُمْ بِأَسْرَى الْمُسْلِمِينَ [...] وَقَتَلَ عقبة بن أبي معيط مِنَ الْأَسْرَى، وَقَتَلَ النضر بن الحارث لِشِدَّةِ عَدَاوَتِهِمَا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ} [19]

أي أن محمدًا «نبي الرحمة» كان يتصرف بالأسرى كما شاء، على هواه؛ فيقتل من شاء، و«يمنّ» على من شاء بأن يتركه يعيش.

أرسلت أخت النضر إلى محمد قصيدة بكائية، قالت فيها «مَا كَانَ ضَرَّكَ لَوْ مَنَنْتَ؟» ويقال أنه قال «لَوْ بَلَغَنِي هَذَا قَبْلَ قَتْلِهِ لَمَنَنْتُ عَلَيْهِ.»[20]

{لَمَّا انْقَضَتِ الْحَرْبُ أَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ ... حَتَّى وَقَفَ عَلَى الْقَتْلَى [...] فَقَالَ: بِئْسَ عَشِيرَةُ النَّبِيِّ كُنْتُمْ لِنَبِيِّكُمْ [...] ثُمَّ ارْتَحَلَ [...] وَمَعَهُ الْأُسَارَى وَالْمَغَانِمُ، فَلَمَّا كَانَ بِالصَّفْرَاءِ، قَسَمَ الْغَنَائِمَ وَضَرَبَ عُنُقَ النضر بن الحارث [...] [21] قَتَلَهُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ [...] ثُمَّ خَرَجَ حَتَّى إِذَا كَانَ بِعِرْقِ الظَّبْيَةِ قُتِلَ عُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ [...] قَالَ عُقْبَةُ حِينَ أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ... بِقَتْلِهِ: فَمَنْ لِلصِّبْيَةِ يَا مُحَمَّدُ؟ قَالَ: النَّارُ ... [20]}

هل فعل النضر ما استحق به الذبح؟ كل ما فعله هو نشاط سلمي وتحدّ لمزاعم محمد:

{وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ} 8|31

(الطبري: السُّدِّيِّ قَالَ : كَانَ النَّضْرُ [...] يَخْتَلِفُ إِلَى الْحِيرَةِ، فَيَسْمَعُ سَجْعَ أَهْلِهَا وَكَلَامَهُمْ . فَلَمَّا قَدِمَ مَكَّةَ، سَمِعَ كَلَامَ النَّبِيِّ ... وَالْقُرْآنَ، فَقَالَ : « قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ »، يَقُولُ : أَسَاجِيعُ أَهْلِ الْحِيرَةِ. [...] سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ: قَتَلَ النَّبِيُّ مِنْ يَوْمِ بَدْرٍ صَبْرًا: عُقْبَةَ بْنَ أَبِي مُعَيْطٍ، وَطُعَيْمَةَ بْنَ عَدِيٍّ، وَالنَّضْرَ بْنَ الْحَارِثِ. وَكَانَ الْمِقْدَادُ أَسَرَ النَّضْرَ، فَلَمَّا أَمَرَ بِقَتْلِهِ، قَالَ الْمِقْدَادُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَسِيرِي ! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ..: إِنَّهُ كَانَ يَقُولُ فِي كِتَابِ اللَّهِ مَا يَقُولُ! ..)

{مَا كَانَ يُؤْذِي بِهِ النَّضْرُ بْنُ الْحَارِثِ رَسُولَ اللَّهِ: كَانَ إِذَا جَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ ... مَجْلِسًا، فَدَعَا فِيهِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَتَلَا فِيهَا الْقُرْآنَ، وَحَذَّرَ قُرَيْشًا مَا أَصَابَ الْأُمَمَ الْخَالِيَةَ، خَلَفَهُ فِي مَجْلِسِهِ إِذَا قَامَ، فَحَدَّثَهُمْ عَنْ رُسْتُمَ السِّنْدِيدِ، وَعَنْ أَسْفَنْدِيَارَ، وَمُلُوكِ فَارِسَ، ثُمَّ يَقُولُ وَاَللَّهِ مَا مُحَمَّدٌ بِأَحْسَنَ حَدِيثًا مِنِّي، وَمَا حَدِيثُهُ إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ، اكْتَتَبَهَا كَمَا اكْتَتَبْتُهَا. فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ: «وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ..» [22] [...] فَلَمَّا قَالَ لَهُمْ ذَلِكَ ... بَعَثُوهُ وَبَعَثُوا مَعَهُ عُقْبَةَ بْنَ أَبِي مُعَيْطٍ إِلَى أَحْبَارِ يَهُودَ بِالْمَدِينَةِ، وَقَالُوا لَهُمَا: سَلَاهُمْ عَنْ مُحَمَّدٍ، وَصِفَا لَهُمْ صِفَتَهُ، وَأَخْبِرَاهُمْ بِقَوْلِهِ، فَإِنَّهُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ الْأَوَّلِ، وَعِنْدَهُمْ عِلْمٌ لَيْسَ عِنْدَنَا مِنْ عِلْمِ الْأَنْبِيَاءِ. فَخَرَجَا حَتَّى قَدِمَا الْمَدِينَةَ، فَسَأَلَا أَحْبَارَ يَهُودَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ [...] فَقَالَتْ لَهُمَا أَحْبَارُ يَهُودَ: سَلُوهُ عَنْ ثَلَاثٍ [...] سَلُوهُ عَنْ فِتْيَةٍ

ذَهَبُوا فِي الدَّهْرِ الْأَوَّلِ مَا كَانَ أَمْرُهُمْ، فَإِنَّهُ قَدْ كَانَ لَهُمْ حَدِيثٌ عَجَبٌ، وَسَلُوهُ عَنْ رَجُلٍ طَوَّافٍ قَدْ بَلَغَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا مَا كَانَ نَبَؤُهُ، وَسَلُوهُ عَنِ الرُّوحِ مَا هِيَ؛ فَإِذَا أَخْبَرَكُمْ بِذَلِكَ فَاتَّبِعُوهُ، فَإِنَّهُ نَبِيٌّ، وَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ، فَهُوَ رَجُلٌ مُتَقَوِّلٌ [...] فَجَاءُوا رَسُولَ اللَّهِ [...] فَقَالَ لَهُمْ ..: أُخْبِرُكُمْ بِمَا سَأَلْتُمْ عَنْهُ غَدًا، وَلَمْ يَسْتَثْنِ [...] فَمَكَثَ رَسُولُ اللَّهِ ... 15 لَيْلَةً لَا يُحْدِثُ اللَّهُ إِلَيْهِ فِي ذَلِكَ وَحْيًا [...] وَقَالُوا: وَعَدَنَا مُحَمَّدٌ غَدًا، وَالْيَوْمَ 15 لَيْلَةً، قَدْ أَصْبَحْنَا مِنْهَا لَا يُخْبِرُنَا بِشَيْءٍ مِمَّا سَأَلْنَاهُ عَنْهُ، وَحَتَّى أَحْزَنَ رَسُولَ اللَّهِ ... مُكْثُ الْوَحْيِ عَنْهُ، وَشَقَّ عَلَيْهِ مَا يَتَكَلَّمُ بِهِ أَهْلُ مَكَّةَ. ثُمَّ جَاءَهُ جِبْرِيلُ ... بِسُورَةِ أَصْحَابِ الْكَهْفِ ... [23]}

{وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا} 26|33

(الطبري: وَعَنَى بِذَلِكَ بَنِي قُرَيْظَةَ [...] حَاصَرَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ... حَتَّى جَهَدَهُمُ الْحِصَارُ [...] ثُمَّ خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ... إِلَى سُوقِ الْمَدِينَةِ [...] فَخَنْدَقَ بِهَا خَنَادِقَ، ثُمَّ بَعَثَ إِلَيْهِمْ، فَضَرَبَ أَعْنَاقَهُمْ فِي تِلْكَ الْخَنَادِقِ [...] كَانُوا مِنْ 600 إِلَى 900 [...] وَأُتِيَ بِحُيَيِّ بْنِ أَخْطَبَ [الزعيم أبو صفية] [...] فَلَمَّا نَظَرَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ... قَالَ: أَمَا وَاللَّهِ مَا لُمْتُ نَفْسِي فِي عَدَاوَتِكَ، وَلَكِنَّهُ مَنْ يَخْذُلِ اللَّهُ يُخْذَلْ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّهُ لَا بَأْسَ بِأَمْرِ اللَّهِ، كِتَابُ اللَّهِ وَقَدَرُهُ، وَمَلْحَمَةٌ قَدْ كُتِبَتْ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ. ثُمَّ جَلَسَ فَضُرِبَتْ عُنُقُهُ [...] عَائِشَةُ قَالَتْ: لَمْ يُقْتَلْ مِنْ نِسَائِهِمْ إِلَّا امْرَأَةٌ وَاحِدَةٌ [...] وَاللَّهِ إِنَّهَا لَعِنْدِي تَحَدَّثُ مَعِي وَتَضْحَكُ ظُهْرًا، وَرَسُولُ اللَّهِ.. يَقْتُلُ رِجَالَهُمْ بِالسُّوقِ، إِذْ هَتَفَ هَاتِفٌ بِاسْمِهَا: أَيْنَ فُلَانَةُ؟! قَالَتْ: أَنَا وَاللَّهِ. قُلْتُ: وَيْلَكِ مَا لَكِ؟! قَالَتْ: أُقْتَلُ. قُلْتُ: وَلِمَ؟ قَالَتْ: لِحَدَثٍ أَحْدَثْتُهُ. فَانْطُلِقَ بِهَا، فَضُرِبَتْ عُنُقُهَا. فَكَانَتْ عَائِشَةُ تَقُولُ: مَا أَنْسَى عَجَبِي مِنْهَا طِيبَ نَفْسٍ، وَكَثْرَةَ ضَحِكٍ، وَقَدْ عَرَفَتْ أَنَّهَا تُقْتَلُ.) [24]

{قَالَ النَّبِيُّ [...] »يَا سَعْدُ، إِنَّ هَؤُلَاءِ نَزَلُوا عَلَى حُكْمِكَ«. قَالَ فَإِنِّي أَحْكُمُ فِيهِمْ أَنْ تُقْتَلَ مُقَاتِلَتُهُمْ وَتُسْبَى ذَرَارِيُّهُمْ. قَالَ »حَكَمْتَ بِحُكْمِ اللَّهِ« ..} [25]

{أَنَّ يَهُودَ بَنِي النَّضِيرِ وَقُرَيْظَةَ حَارَبُوا رَسُولَ اللَّهِ ... فَأَجْلَى ... بَنِي النَّضِيرِ وَأَقَرَّ قُرَيْظَةَ وَمَنَّ عَلَيْهِمْ حَتَّى حَارَبَتْ قُرَيْظَةُ بَعْدَ ذَلِكَ فَقَتَلَ رِجَالَهُمْ وَقَسَمَ نِسَاءَهُمْ وَأَوْلَادَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ [...] وَأَجْلَى [...] بَنِي قَيْنُقَاعَ [...] وَيَهُودَ بَنِي حَارِثَةَ، وَكُلَّ يَهُودِ الْمَدِينَةِ.} [26]

{عَطِيَّةُ الْقُرَظِيُّ قَالَ كُنْتُ مِنْ سَبْيِ بَنِي قُرَيْظَةَ فَكَانُوا يَنْظُرُونَ فَمَنْ أَنْبَتَ الشَّعْرَ قُتِلَ وَمَنْ لَمْ يُنْبِتْ لَمْ يُقْتَلْ [...] فَكَشَفُوا عَانَتِي فَوَجَدُوهَا لَمْ تُنْبِتْ فَجَعَلُونِي مِنَ السَّبْيِ.} [27]

أقدم المدعو قُثَم بن عبداللات، الشهير بمحمد بن عبدالله، على تعذيب وقتل الأسرى.. زوج السيدة صفية بنت حيي، وأبيها، وعشيرتها.. ثم نكحها.. بل اغتصبها:

{لَمَّا افْتَتَحَ رَسُولُ اللَّهِ ... حِصْنَ بَنِي أَبِي الْحُقَيْقِ، أُتِيَ رَسُولُ اللَّهِ ... بِصَفِيَّةَ بِنْتِ حُيَيِّ بْنِ أَخْطَبَ، وَبِأُخْرَى

معها، فمرَّ بهما بلالٌ، وهو الَّذي جاءَ بهما على قتلى من قتلى يهود، فلمَّا رأتهم الَّتي مع صفيَّة صاحت. وصكَّت وجهها وحثَّت التُّراب على رأسها، فلمَّا رآها رسول اللهِ ... قال: أعزبوا عنِّي هذه الشَّيطانة. وأمر بصفيَّة فحيزت خلفه، وألقى عليها رداءه، فعرف المسلمون أنَّ رسول اللهِ ... قد اصطفاها لنفسه [...] وأُتي رسولُ اللهِ ... بكنانة بن الرَّبيع [زوجها]، وكان عنده كنز بني النَّضير، فسأله عنه. فجحد أن يكون يعرف مكانه [...] فقال رسولُ اللهِ: [...] أرأيت إن وجدناه عندك، أأقتلك؟ قال: نعم. فأمر رسولُ اللهِ ... بالخربة فحفرت، فأخرج منها بعض كنزهم، ثمَّ سأله عمَّا بقي، فأبى أن يؤدِّيه، فأمر به رسولُ اللهِ ... الزُّبير [...] فقال: عذِّبه حتَّى تستأصل ما عنده. فكان الزُّبير يقدح بزند في صدره، حتَّى أشرف على نفسه، ثمَّ دفعه رسولُ اللهِ ... إلى محمد بن مسلمة، فضرب عنقه ..} [28]

{قدم النَّبيُّ ... خيبر فلمَّا فتح اللهُ عليه الحصن ذُكر له جمالُ صفيَّة بنت حيي بن أخطب وقد قُتل زوجها وكانت عروسًا فاصطفاها رسولُ اللهِ ... لنفسه.} [29]

{.. عن أنس بن مالك أنَّ رسولَ اللهِ ... غزا خيبر [...] فأجرى نبيُّ اللهِ ... في زقاق خيبر وإنَّ ركبتي لتمسُّ فخذ نبيِّ اللهِ ... ثمَّ حسر الإزار عن فخذه حتَّى إنِّي أنظر إلى بياض فخذ نبيِّ اللهِ ... فلمَّا دخل القرية قال اللهُ أكبر خربت خيبر [...] فأصبناها عنوة. فجمع السَّبي فجاء دحية الكلبيُّ [...] فقال يا نبيَّ اللهِ أعطني جارية من السَّبي قال اذهب فخذ جارية فأخذ صفيَّة بنت حيي فجاء رجلٌ إلى النَّبيِّ ... فقال يا نبيَّ اللهِ أعطيت دحية صفيَّة بنت حيي سيِّدة قريظة والنَّضير لا تصلح إلَّا لك قال ادعوه بها فجاء بها فلمَّا نظر إليها النَّبيُّ ... قال خذ جارية من السَّبي غيرها قال فأعتقها النَّبيُّ ... وتزوَّجها ..} [30]

{ولمَّا أعرس رسولُ اللهِ ... بصفيَّة بخيبر أو ببعض الطَّريق [...] بات بها [...] في قبَّة له. وبات أبو أيُّوب [...] متوشِّحًا سيفه، يحرس رسول اللهِ ... ويطيف بالقبَّة، حتَّى أصبح رسولُ اللهِ ... فلمَّا رأى مكانه قال: ما لك يا أبا أيُّوب؟ قال: يا رسولَ اللهِ، خفتُ عليك من هذه المرأة، وكانت امرأةً قد قتلت أباها وزوجها وقومها، وكانت حديثة عهدٍ بكفرٍ، فخفتها عليك.} [31]

اغتيال المعارضين

{بعث رسولُ اللهِ ... رهطًا إلى أبي رافعٍ فدخل عليه عبدُ اللهِ بنُ عتيك بيته ليلًا وهو نائمٌ فقتله.} [32]

{أنَّ عليًّا أُتي بزنادقة معهم كُتُب، فأمر بنار فأُجِّجت، فألقاهم فيها بكتبهم. فبلغ ذلك ابن عبَّاسٍ، فقال: أمَّا أنا لو كُنْتُ لم أُحرِّقهم، لنهي رسولِ اللهِ ... ولقتلتُهم، لقول رسولِ اللهِ ... «لا تعذِّبوا بعذاب اللهِ»، وقال رسولُ اللهِ ... «من بدَّل دينه فاقتلوه».} [33]

{قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ... مَنْ لِكَعْبِ بْنِ الْأَشْرَفِ فَإِنَّهُ قَدْ آذَى اللَّهَ وَرَسُولَهُ؟ فَقَامَ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَتُحِبُّ أَنْ أَقْتُلَهُ؟ قَالَ نَعَمْ. قَالَ فَأْذَنْ لِي أَنْ أَقُولَ شَيْئًا [كذبًا على كعب]. قَالَ قُلْ. فَأَتَاهُ [إلى كعب] [...] فَقَالَ إِنَّ [محمدًا] ... قَدْ سَأَلَنَا صَدَقَةً [...] وَقَدْ أَرَدْنَا أَنْ تُسْلِفَنَا وَسْقًا أَوْ وَسْقَيْنِ [...] نَرْهَنُكَ [...] السِّلَاحَ فَوَاعَدَهُ أَنْ يَأْتِيَهُ فَجَاءَهُ لَيْلًا وَمَعَهُ أَبُو نَائِلَةَ وَهُوَ أَخُو كَعْبٍ مِنَ الرَّضَاعَةِ فَدَعَاهُمْ إِلَى الْحِصْنِ فَنَزَلَ إِلَيْهِمْ فَقَالَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ أَيْنَ تَخْرُجُ هَذِهِ السَّاعَةَ؟ [...] أَسْمَعُ صَوْتًا كَأَنَّهُ يَقْطُرُ مِنْهُ الدَّمُ. قَالَ إِنَّمَا هُوَ أَخِي مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ وَرَضِيعِي أَبُو نَائِلَةَ. إِنَّ الْكَرِيمَ لَوْ دُعِيَ إِلَى طَعْنَةٍ بِلَيْلٍ لَأَجَابَ. [...] وَيُدْخِلُ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ مَعَهُ رَجُلَيْنِ [...] فَنَزَلَ إِلَيْهِمْ مُتَوَشِّحًا وَهُوَ يَنْفَحُ مِنْهُ رِيحُ الطِّيبِ، فَقَالَ (ابْنُ مَسْلَمَةَ) مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ رِيحًا [...] أَطْيَبَ [...] قَالَ عِنْدِي أَعْطَرُ نِسَاءِ الْعَرَبِ [...] فَقَالَ أَتَأْذَنُ لِي أَنْ أَشُمَّ رَأْسَكَ؟ قَالَ نَعَمْ. فَشَمَّهُ ثُمَّ أَشَمَّ أَصْحَابَهُ [...] فَلَمَّا اسْتَمْكَنَ مِنْهُ قَالَ دُونَكُمْ. فَقَتَلُوهُ ثُمَّ أَتَوُا النَّبِيَّ ... فَأَخْبَرُوهُ.} [34]

{قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ..: مَنْ ظَفِرْتُمْ بِهِ مِنْ رِجَالِ يَهُودَ فَاقْتُلُوهُ. فَوَثَبَ مُحَيِّصَةُ بْنُ مَسْعُودٍ ... عَلَى ابْنِ سُنَيْنَةَ [...] رَجُلٌ مِنْ تُجَّارِ يَهُودَ، كَانَ يُلَابِسُهُمْ وَيُبَايِعُهُمْ، فَقَتَلَهُ. وَكَانَ حُوَيِّصَةُ [شقيقه] [...] إِذْ ذَاكَ لَمْ يُسْلِمْ [...] فَلَمَّا قَتَلَهُ جَعَلَ حُوَيِّصَةُ يَضْرِبُهُ، وَيَقُولُ: أَيْ عَدُوَّ اللَّهِ، أَقَتَلْتَهُ؟ أَمَا وَاللَّهِ لَرُبَّ شَحْمٍ فِي بَطْنِكَ مِنْ مَالِهِ. قَالَ مُحَيِّصَةُ: وَاللَّهِ لَقَدْ أَمَرَنِي بِقَتْلِهِ مَنْ لَوْ أَمَرَنِي بِقَتْلِكَ لَضَرَبْتُ عُنُقَكَ! ..} [35]

{عَمْرُو بْنُ أُمَيَّةَ [...] بَعَثَهُ رَسُولُ اللَّهِ ... وَأَمَرَهُ أَنْ يَقْتُلَ أَبَا سُفْيَانَ [...] وَبَعَثَ مَعَهُ جَبَّارَ بْنَ صَخْرٍ [...] فَخَرَجَا [...] ثُمَّ دَخَلَا مَكَّةَ لَيْلًا [...] فَقَالَ عَمْرٌو: إِنَّ الْقَوْمَ إِذَا تَعَشَّوْا جَلَسُوا بِأَفْنِيَتِهِمْ [...] فَوَاللَّهِ إِنَّا لَنَمْشِي بِمَكَّةَ إِذْ نَظَرَ إِلَيَّ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ فَعَرَفَنِي [...] فَقُلْتُ لِصَاحِبِي: النَّجَاءُ، فَخَرَجْنَا نَشْتَدُّ [...] وَخَرَجُوا فِي طَلَبِنَا، حَتَّى إِذَا عَلَوْنَا الْجَبَلَ يَئِسُوا مِنَّا، فَرَجَعْنَا، فَدَخَلْنَا كَهْفًا فِي الْجَبَلِ، فَبِتْنَا فِيهِ [...] فَلَمَّا أَصْبَحْنَا غَدَا رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ يَقُودُ فَرَسًا لَهُ، وَيُخَلِّي عَلَيْهَا، فَغَشِيَنَا وَنَحْنُ فِي الْغَارِ، فَقُلْتُ: إِنْ رَآنَا صَاحَ بِنَا، فَأُخِذْنَا فَقُتِلْنَا. وَمَعِي خَنْجَرٌ قَدْ أَعْدَدْتُهُ لِأَبِي سُفْيَانَ، فَأَخْرُجُ إِلَيْهِ، فَأَضْرِبُهُ عَلَى ثَدْيِهِ ضَرْبَةً، وَصَاحَ صَيْحَةً أَسْمَعَ أَهْلَ مَكَّةَ، وَأَرْجِعُ فَأَدْخُلُ مَكَانِي، وَجَاءَهُ النَّاسُ يَشْتَدُّونَ وَهُوَ بِآخِرِ رَمَقٍ، فَقَالُوا: مَنْ ضَرَبَكَ؟ فَقَالَ: عَمْرُو بْنُ أُمَيَّةَ [...] وَلَمْ يَدُلَّ عَلَى مَكَانِنَا، فَاحْتَمَلُوهُ. فَقُلْتُ لِصَاحِبِي، لَمَّا أَمْسَيْنَا: النَّجَاءُ، فَخَرَجْنَا لَيْلًا مِنْ مَكَّةَ نُرِيدُ الْمَدِينَةَ [...] فَأَدْخُلُ كَهْفًا، فَبَيْنَا أَنَا فِيهِ، إِذْ دَخَلَ عَلَيَّ شَيْخٌ مِنْ بَنِي الدِّيلِ أَعْوَرُ، فِي غُنَيْمَةٍ لَهُ، فَقَالَ: مَنِ الرَّجُلُ؟ فَقُلْتُ: مِنْ بَنِي بَكْرٍ، فَمَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: مِنْ بَنِي بَكْرٍ، فَقُلْتُ: مَرْحَبًا، فَاضْطَجَعَ [...] فَقَالَ: «وَلَسْتُ بِمُسْلِمٍ مَا دُمْتُ حَيًّا • وَلَا دَانٍ لِدِينِ الْمُسْلِمِينَا». فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: سَتَعْلَمُ. فَأَمْهَلْتُهُ، حَتَّى إِذَا نَامَ أَخَذْتُ قَوْسِي، فَجَعَلْتُ سِيَتَهَا فِي عَيْنِهِ الصَّحِيحَةِ، ثُمَّ تَحَامَلْتُ عَلَيْهِ حَتَّى بَلَغْتُ الْعَظْمَ ..} [36]

{عَصْمَاءُ بِنْتُ مَرْوَانَ [...] كَانَتْ تَحْتَ رَجُلٍ مِنْ بَنِي خَطْمَةَ [...] وَكَانَتْ تُؤْذِي النَّبِيَّ ... وَتَعِيبُ الْإِسْلَامَ وَتُحَرِّضُ عَلَى النَّبِيِّ ... وَقَالَتْ شِعْرًا [...] فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ... حِينَ بَلَغَهُ ذَلِكَ، أَلَا آخِذٌ لِي مِنِ ابْنَةِ مَرْوَانَ؟ فَسَمِعَ ذَلِكَ [...] عُمَيْرُ بْنُ عَدِيٍّ الْخَطْمِيُّ [الأعمى] وَهُوَ عِنْدَهُ، فَلَمَّا أَمْسَى مِنْ تِلْكَ اللَّيْلَةِ [...] دَخَلَ عَلَيْهَا فِي

بَيْتِهَا، وَحولَهَا نَفرٌ مِنْ وَلَدِهَا نيامٌ مِنْهُم مَنْ تُرْضِعُهُ فِي صَدْرِهَا، فَجَسَّهَا بِيَدِهِ فَوجَدَ الصَّبِيّ تُرْضِعُهُ فَنَحّاهُ عَنْهَا، ثُمَّ وَضعَ سَيْفَهُ عَلَى صَدْرِهَا حَتّى أَنْفَذَهُ مِن ظَهْرِهَا [...] ثُمَّ أَصْبَحَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ... فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي قَدْ قَتَلْتُهَا. فَقَالَ: نَصَرْتَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يَا عُمَيْرُ.} [37]

{أُمَّ قِرْفَةَ (فَاطِمَةُ بِنْتُ رَبِيعَةَ بْنِ بَدْرٍ مِن فَزَارَةَ مِن غَطَفَان) [...] كانت أعز العرب. كانت إذا كان بين غطفان تشاجر بعثت خمارها فعُلّق بينهم فاصطلحوا [...] وكان زوجها مالك بن حذيفة فولدت له 13 رجلاً كلهم قد علّق سيف رياسة. وكانت منيعة، تؤلب على رسول الله [...] إن رسول الله ... كان يقول لقريش: أرأيتم إن قتلت أم قرفة [...] أتؤمنون؟ [...] فيقولون: أيكون ذلك؟ [38] كانت العرب تقول «لو كنت أعز من أم قرفة». [39] زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ [...] بعثه رَسُولُ اللَّهِ ... فِي جَيْشٍ إِلَى بَنِي فَزَارَةَ [...] صَمَدُوا لَهُمْ فِي اللَّيْلِ حَتّى صَبّحُوهُمْ [...] وَقَالَ إِذَا كَبّرت فكَبّروا. وَأَحَاطُوا بِالْحَاضِرِ ثُمَّ كَبّرَ وَكَبّرُوا [40] فَأَصَابَ فِيهِمْ، وَقَتَلَ قَيْسُ [...] مَسْعدَةَ [...] وأَسَرَ أُمَّ قِرْفَةَ [...] عَجُوزًا كَبِيرَةً، وَبِنْتًا لَهَا، فقتلها قتلاً عنيفا: [41] رَبَطَ بِرِجْلَيْهَا حَبْلَيْنِ، ثُمَّ رَبَطَهُمَا إِلَى بَعِيرَيْنِ حَتّى شَقَّاهَا. ثُمَّ قَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ... بِابْنَةِ أُمّ قِرْفَةَ [42] عَائِشَةَ قَالَتْ قَدِمَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ الْمَدِينَةَ - تعني من سرية أم قرفة - وَرَسُولُ اللَّهِ ... فِي بَيْتِي فَقَرَعَ الْبَابَ فَقَامَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ ... عُرْيَانًا يَجُرُّ ثَوْبَهُ فَاعْتَنَقَهُ وَقَبَّلَهُ ثُمّ سَأَلَهُ فَأَخْبَرَهُ بِمَا ظَفَّرَهُ اللهُ [43] أمر رسول الله ... برأسها فدير به في المدينة ليُعلم قتلها.} [44]

{وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ ..} 6|93

(الطبري: نَزَلَتْ فِي عَبْد اللَّه بْن سَعْد بْن أَبِي سَرْح، أَسْلَمَ، وَكَانَ يَكْتُب لِلنَّبِيّ ... فَكَانَ إِذَا أَمْلَى عَلَيْهِ «سَمِيعًا عَلِيمًا» كَتَبَ هُوَ «عَلِيمًا حَكِيمًا» [...] فَشَكَّ وَكَفَرَ، وَقَالَ: إِنْ كَانَ مُحَمَّد يُوحَى إِلَيْهِ فَقَدْ أُوحِيَ إِلَيَّ، وَإِنْ كَانَ اللَّه يُنْزِلهُ فَقَدْ أَنْزَلْت مِثْل مَا أَنْزَلَ اللَّه [...] فَلَحِقَ بِالْمُشْرِكِينَ. وَوَشَى بِعَمَّار وَجُبَيْر ... فَأَخَذُوهُم فَعُذِّبُوا حَتَّى كَفَرُوا ... فَانْطَلَقَ عَمَّارٌ إِلَى النَّبِيّ ... فَأَخْبَرَهُ بِمَا لَقِيَ، وَالَّذِي أَعْطَاهُمْ مِنَ الْكُفْرِ، فَأَبَى النَّبِيُّ ... أَنْ يَتَوَلَّاهُ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ ... «مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْد إِيمَانه إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِن مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا ..» 16| 106 - فَالَّذِي أُكْرِهَ عَمَّارٌ وَأَصْحَابُهُ، وَالَّذِي شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَهُوَ ابْنُ أَبِي سَرْحٍ.)

{..وَكَانَ عَبْدُ اللهِ بْنُ سَعْدِ بْنِ أَبِي سَرْحٍ يَكْتُبُ لِرَسُولِ اللهِ ... الْوَحْيَ فَرُبَّمَا أَمْلَى عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ... سَمِيعٌ عَلِيمٌ، فَيَكْتُبُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ. فَيَقْرَأُ رَسُولُ اللهِ ... فَيَقُولُ « كَذَلِكَ اللّهُ،» وَيُقِرّهُ. وافْتُتِنَ، وَقَالَ «مَا يَدْرِي مُحَمَّدٌ مَا يَقُولُ، إِنِّي لَأَكْتُبُ لَهُ مَا شِئْتُ، هَذَا الّذِي كَتَبْتُ يُوحَى إِلَيّ كَمَا يُوحَى إِلَى مُحَمّدٍ.» وَخَرَجَ هَارِبًا مِنَ الْمَدِينَةِ إِلَى مَكّةَ مُرْتَدًّا، فَأَهْدَرَ رَسُولُ اللهِ ... دمه يَوْمَ الْفَتْحِ ..} [45]

{لَمَّا كَانَ يَوْمُ فَتْحِ مَكَّةَ أَمَّنَ رَسُولُ اللَّهِ ... النَّاسَ إِلَّا أَرْبَعَةَ نَفَرٍ وَامْرَأَتَيْنِ وَقَالَ اقْتُلُوهُمْ وَإِنْ وَجَدْتُمُوهُمْ مُتَعَلِّقِينَ بِأَسْتَارِ الْكَعْبَةِ: عِكْرِمَةُ بْنُ أَبِي جَهْلٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ خَطَلٍ وَمَقِيسُ بْنُ صُبَابَةَ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعْدِ بْنِ أَبِي السَّرْحِ ..} [46]

{أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ... دَخَلَ عَامَ الْفَتْحِ وَعَلَى رَأْسِهِ الْمِغْفَرُ فَلَمَّا نَزَعَهُ جَاءَ رَجُلٌ فَقَالَ إِنَّ ابْنَ خَطَلٍ مُتَعَلِّقٌ بِأَسْتَارِ الْكَعْبَةِ فَقَالَ اقْتُلُوهُ} [47]

{.. قَيْنَتَانِ، فَرْتَنَى وَصَاحِبَتُهَا، وَكَانَتَا تُغَنِّيَانِ بِهِجَاءِ رَسُولِ اللَّهِ ... فَأَمَرَ ... بِقَتْلِهِمَا ..} [48]

{إِنَّ شَيْخًا [...] يُقَالُ لَهُ أَبُو عَفَكٍ وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا، قَدْ بَلَغَ عِشْرِينَ وَمِائَةَ سَنَةٍ حِينَ قَدِمَ النَّبِيُّ ... الْمَدِينَةَ، كَانَ يُحَرِّضُ عَلَى عَدَاوَةِ النَّبِيِّ ... فَقَالَ:

قَدْ عِشْتُ حِينًا وَمَا إِنْ أَرَى • مِنَ النَّاسِ دَارًا وَلَا مَجْمَعَا
أَجَمَّ عُقُولًا وَآتَى إِلَى • مُنِيبٍ سِرَاعًا إِذَا مَا دَعَا
فَسَلَّبَهُمْ أَمْرَهُمْ رَاكِبٌ • حَرَامًا حَلَالًا لِشَتَّى مَعَا
فَلَوْ كَانَ بِالْمُلْكِ صَدَّقْتُمُ • وَبِالنَّصْرِ تَابَعْتُمُ تُبَّعَا

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ... مَنْ لِي بِهَذَا الْخَبِيثِ؟ فَخَرَجَ سَالِمُ بْنُ عُمَيْرٍ [...] فَأَمْهَلَ فَطَلَبَ لَهُ غِرَّةً، حَتَّى كَانَتْ لَيْلَةٌ صَائِفَةٌ، فَنَامَ أَبُو عَفَكٍ بِالْفِنَاءِ [...] فَأَقْبَلَ سَالِمٌ [...] فَوَضَعَ السَّيْفَ عَلَى كَبِدِهِ حَتَّى خَشَّ فِي الْفِرَاشِ ..} [49]

{كَانَ الْأَسْوَدُ [الْعَنْسِيّ] قَدْ خَرَجَ بِصَنْعَاءَ وَادَّعَى النُّبُوَّةَ [...] وَكَانَ مَعَهُ شَيْطَانَانِ [...] يُخْبِرَانِهِ بِكُلِّ شَيْءٍ يَحْدُثُ مِنْ أُمُورِ النَّاسِ، وَكَانَ بَاذَانُ عَامِلَ النَّبِيِّ [محمد] ... بِصَنْعَاءَ، فَمَاتَ، فَجَاءَ شَيْطَانُ الْأَسْوَدِ فَأَخْبَرَهُ، فَخَرَجَ فِي قَوْمِهِ حَتَّى مَلَكَ صَنْعَاءَ وَتَزَوَّجَ الْمَرْزُبَانَةَ زَوْجَةَ بَاذَانَ [...] [فواعدت] دَادَوَيْهِ وَفَيْرُوزَ وَغَيْرَهُمَا حَتَّى دَخَلُوا عَلَى الْأَسْوَدِ لَيْلًا، وَقَدْ سَقَتْهُ الْمَرْزُبَانَةُ الْخَمْرَ صِرْفًا حَتَّى سَكِرَ [...] فَنَقَبَ فَيْرُوزُ وَمَنْ مَعَهُ الْجِدَارَ حَتَّى دَخَلُوا فَقَتَلَهُ فَيْرُوزُ وَاحْتَزَّ رَأْسَهُ، وَأَخْرَجُوا الْمَرْأَةَ وَمَا أَحَبُّوا مِنْ مَتَاعِ الْبَيْتِ ..} [50]

{أَنَّ أَعْمَى كَانَتْ لَهُ أُمُّ وَلَدٍ تَشْتُمُ النَّبِيَّ ... وَتَقَعُ فِيهِ فَيَنْهَاهَا فَلَا تَنْتَهِي وَيَزْجُرُهَا فَلَا تَنْزَجِرُ. فَلَمَّا كَانَتْ ذَاتَ لَيْلَةٍ جَعَلَتْ تَقَعُ فِي النَّبِيِّ ... وَتَشْتُمُهُ فَأَخَذَ الْمِغْوَلَ فَوَضَعَهُ فِي بَطْنِهَا وَاتَّكَأَ عَلَيْهَا فَقَتَلَهَا، فَوَقَعَ بَيْنَ رِجْلَيْهَا طِفْلٌ، فَلَطَّخَتْ مَا هُنَاكَ بِالدَّمِ. فَلَمَّا أَصْبَحَ ذُكِرَ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ [...] فَقَالَ النَّبِيُّ ... أَلَا اشْهَدُوا أَنَّ دَمَهَا هَدَرٌ} [51]

{أبو هُرَيْرَةَ قال: بَعَثَنا رسولُ اللَّهِ ... في بَعْثٍ فقال: إنْ وجدتُم فُلانًا وفُلانًا فأحرِقوهما بالنّارِ. ثُمّ قال رسولُ اللَّهِ ... حِينَ أردنا الخروجَ: إنّي أمرتُكم أنْ تُحرِقوا فُلانًا وفُلانًا، وإنَّ النّارَ لا يُعذِّبُ بها إلّا اللّهُ، فإنْ وجدتُموهما فاقتُلوهما.} [52]

منع الحرية الدينية

حرية الاعتقاد.. أتت استثنائية لأهل الكتاب والمجوس والصابئة. وما كان هذا إلا لأنهم أقوام كثيرون، فاستعظم مؤسسو الإسلام أن يبيدوهم وهم مسالمون بأعداد لا تحصى.. لمجرد أنهم تمسكوا بمعتقداتهم؛ فآثروا إبقاءهم أحياء، والاكتفاء بأن يكون الإسلام مهيمناً على البلاد، وتأكيد ذلك بمنعهم من الدعوة إلى أديانهم أو إقامة معابد علنية، وأن «يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ». 9|29

هي طبعًا ليست مفتوحة للجميع. لو كانت مفتوحة لما كان هنالك منافقون انشغل بهم جزء كبير من القرآن. النفاق هو حال اضطر إليه الناس بسبب منع الحرية الدينية.

إن أكبر عيوب الإسلام هو منع أتباعه من التشكيك فيه وتركه، وذلك بممارسة الإرهاب، والقتل، والإيذاء المادي والمعنوي. هذا حقيقة ثابتة منذ تأسيسه -بأمر من محمد- ويؤكدها الحرب على المرتدين، وواقع المسلمين طوال 14 قرناً؛ حيث أن من يجرؤ على ذلك يُقتل، أو يُسجن، أو يُنفى من بلده بأن يُضطر إلى الهجرة واللجوء.

{قال محمد: مَن بدَّل دِينَه فاقتُلوه.} [53]
{أنَّ عليًّا أُتِي بزنادقةٍ معهم كُتُب، فأمَر بنارٍ فأُجِّجتْ، فألقاهم فيها بكُتُبِهِم. فبلَغ ذلك ابنَ عبّاسٍ فقال: أمّا أنا لو كُنْتُ لم أُحرِّقْهم [...] ولَقَتَلْتُهم، لقولِ رسولِ اللهِ ... «لا تُعذِّبوا بعذابِ اللهِ،» وقال ... «مَن بدَّل دِينَه فاقتُلوه»} [33]

العقوبات الجسدية الهمجية

تعذيب الناس بالجَلد وغيره، وتقطيع أيديهم وأرجلهم، وذبحهم أو صلبهم حتى الموت.. هي عقوبات تكشف عن امتهان فظيع للإنسانية، ولا يأمر بها إلا زعيم سادي همجي قبيح السريرة معتم البصيرة:

{الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} 24|2
تخيل أيها القارئ: شاب وشابة.. متحابّان، غير قادرَين على الزواج.. يومًا ما، لبّيا الغريزة الطبيعية ومارسا الجنس. فيؤتى بهما أمام جمع من الناس، يُربطان ويُجلدان بالسوط ويتألّمان، والناس يرون ويسمعون هذا التعذيب وهذه الإهانة لكرامة الإنسان.

{إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا [...] وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ ..} 5|33-38

في قِرَاءَةِ ابْنِ مَسْعُودٍ «وَالسَّارِقُونَ وَالسَّارِقَاتُ فَاقْطَعُوا أَيْمَانَهُمْ». [54]

{قال محمد: «لَعَنَ اللَّهُ السَّارِقَ يَسْرِقُ الْبَيْضَةَ فَتُقْطَعُ يَدُهُ وَيَسْرِقُ الْحَبْلَ فَتُقْطَعُ يَدُهُ.» قَالَ الأَعْمَشُ: «كَانُوا يَرَوْنَ أَنَّهُ بَيْضُ الْحَدِيدِ [الخوذة]، وَالْحَبْلَ كَانُوا يَرَوْنَ أَنَّهُ مِنْهَا مَا يَسْوَى دَرَاهِمَ.»} [55]

{أَنَّ امْرَأَةً سَرَقَتْ فِي غَزْوَةِ الْفَتْحِ فَأُتِيَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ... ثُمَّ أَمَرَ بِهَا فَقُطِعَتْ يَدُهَا.} [56]

لم يكتف محمد بذلك، فقد حكم بقتل الإنسان فيما هو أهون من ذلك:

{قال محمد: مَنْ شَرِبَ الْخَمْرَ فَاجْلِدُوهُ، فَإِنْ عَادَ فِي الرَّابِعَةِ فَاقْتُلُوهُ.} [57]

{قال محمد: مَنْ أَتَى بَهِيمَةً فَاقْتُلُوهُ وَاقْتُلُوهَا مَعَهُ.} [58]

{قال محمد: مَنْ وَجَدْتُمُوهُ يَعْمَلُ عَمَلَ قَوْمِ لُوطٍ فَاقْتُلُوا الْفَاعِلَ وَالْمَفْعُولَ بِهِ.} [59]

{أَنَّ امْرَأَةً مِنْ جُهَيْنَةَ اعْتَرَفَتْ عِنْدَ النَّبِيِّ ... بِالزِّنَى، فَقَالَتْ: إِنِّي حُبْلَى. فَدَعَا النَّبِيُّ ... وَلِيَّهَا، فَقَالَ: أَحْسِنْ إِلَيْهَا، فَإِذَا وَضَعَتْ حَمْلَهَا فَأَخْبِرْنِي. فَفَعَلَ. فَأَمَرَ بِهَا فَشُدَّتْ عَلَيْهَا ثِيَابُهَا ثُمَّ أَمَرَ بِرَجْمِهَا فَرُجِمَتْ. ..} [60]

{قَدِمَ رَهْطٌ مِنْ عُكْلٍ عَلَى النَّبِيِّ ... كَانُوا فِي الصُّفَّةِ، فَاجْتَوَوْا الْمَدِينَةَ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَبْغِنَا رِسْلًا، فَقَالَ: مَا أَجِدُ لَكُمْ إِلَّا أَنْ تَلْحَقُوا بِإِبِلِ رَسُولِ اللَّهِ. فَأَتَوْهَا، فَشَرِبُوا مِنْ أَلْبَانِهَا وَأَبْوَالِهَا، حَتَّى صَحُّوا وَسَمِنُوا، وَقَتَلُوا الرَّاعِيَ وَاسْتَاقُوا الذَّوْدَ. فَأَتَى النَّبِيَّ ... الصَّرِيخُ، فَبَعَثَ الطَّلَبَ فِي آثَارِهِمْ، فَمَا تَرَجَّلَ النَّهَارُ حَتَّى أُتِيَ بِهِمْ. فَأَمَرَ بِمَسَامِيرَ فَأُحْمِيَتْ، فَكَحَلَهُمْ، وَقَطَعَ أَيْدِيَهُمْ وَأَرْجُلَهُمْ، وَمَا حَسَمَهُمْ، [الحسم هو الربط على العضو المقطوع ووضع الرماد عليه] ثُمَّ أُلْقُوا فِي الْحَرَّةِ، يَسْتَسْقُونَ فَمَا سُقُوا، حَتَّى مَاتُوا.} [61]

يا له من إلهٍ يرضى بالنهب والسلبِ

ويعاقب الإنسان بالتقطيع والصلبِ



توالت فظائع زعيم الحرب محمد القرشي وأتباعه بعد موته.. بأحداث سفك الدماء والاقتتال والمعارك الشرسة، لا ضد غيرهم فحسب.. بل حتى فيما بينهم، نزاعًا على السُلطة؛ أشهرها معركة الجمل، بين فئتين يقودهما أقرب الناس إليه: زوجته عائشة (أم المؤمنين) ضد زوج ابنته علي (أمير المؤمنين). فأنّى لمثل هذا الزعيم أن يوصف بأنه «رحمة للعالمين»؟ إن هذا لَدليل إضافي على همجية مؤسسي الإسلام، وعلى زيف هذا الدين والشرّ المتأصل فيه؛ فلو كان خيرًا لصلحت به أنفس معتنقيه الذين عاشروا الرسول المزعوم، ولتعاونوا على الخير والأمن والسلام.



[^][1] ويكيبيديا – غزوات الرسول محمد

[^][2] صحيح، مسند أحمد 7036، صحيح ابن حبان 6567، سنن النسائي الكبرى 11462

[^][3] صحيح مسلم 1910، صحيح أبي داود 2502، سنن النسائي الصغرى 3097، مسند أحمد 8865

[^][4] صحيح، مسند أحمد 5667، سير أعلام النبلاء للذهبي 15|509، صحيح الجامع للألباني 2831
[^][5] صحيح، سنن الترمذي 1550، صحيح ابن حبان 4745
[^][6] صحيح البخاري 2541، صحيح مسلم 1730
[^][7] البداية والنهاية لابن كثير - سنة 5، الطبقات الكبرى لابن سعد ج2 ص14
[^][8] صحيح البخاري 3012، صحيح مسلم 1745، صحيح ابن حبان 4786
[^][9] المغازي للواقدي ص557، السيرة النبوية لابن هشام ص612
[^][10] المغازي للواقدي ص753
[^][11] مسند أحمد 15417، السيرة النبوية لابن هشام ص610
[^][12] السيرة النبوية لابن هشام ص50، البداية والنهاية لابن كثير - سنة 3
[^][13] صحيح البخاري 4269، صحيح مسلم 96، صحيح ابن حبان 4751
[^][14] صحيح البخاري 3823، 4355، صحيح مسلم 2476
[^][15] السيرة النبوية لابن هشام ص629
[^][16] السيرة النبوية لابن هشام ص601، المغازي للواقدي ص13
[^][17] صحيح البخاري 4031، صحيح مسلم 1746، صحيح أبي داود 2615، سنن الترمذي 3302، سنن ابن ماجه 2312
[^][18] صحيح مسلم 1763، صحيح ابن حبان 4793
[^][19] زاد المعاد لابن قيم ص100
[^][20] السيرة النبوية لابن هشام ص643، البداية والنهاية لابن كثير - سنة 2
[^][21] زاد المعاد لابن القيم ص167
[^][22] السيرة النبوية لابن هشام ص358
[^][23] السيرة النبوية لابن هشام ص300
[^][24] مثله في السيرة النبوية لابن هشام ص235
[^][25] صحيح البخاري 3804، 4121، صحيح مسلم 1768، مسند أحمد 11171، صحيح ابن حبان 7026
[^][26] صحيح البخاري 4028، صحيح مسلم 1766، صحيح أبي داود 3005
[^][27] صحيح أبي داود 4404، سنن الترمذي 1584
[^][28] السيرة النبوية لابن هشام ص336
[^][29] صحيح البخاري 2235، 2893، 4211، صحيح أبي داود 2995
[^][30] صحيح البخاري 371، صحيح مسلم 1365، صحيح أبي داود 299، صحيح ابن حبان 7212، صحيح النسائي 3380
[^][31] السيرة النبوية لابن هشام ص339
[^][32] صحيح البخاري 3023، 4038
[^][^][33] صحيح البخاري 2854، 3017، 6922، صحيح ابن حبان 5606، مسند أحمد 2548، صحيح النسائي 4071
[^][34] صحيح البخاري 2510، 3031، 3032، 3811، 4037، صحيح مسلم 1801، 3359، صحيح أبي داود 2768، 3000
[^][35] السيرة النبوية لابن هشام ص58
[^][36] السيرة النبوية لابن هشام ص634
[^][37] السيرة النبوية لابن هشام ص637، المغازي للواقدي ص172
[^][38] المحبّر لمحمد بن حبيب ص490،462
[^][39] السيرة النبوية لابن هشام ص617
[^][40] المغازي للواقدي ص564
[^][41] الطبقات الكبرى لابن سعد ج2 ص20

[^][42] تاريخ الطبري 705، الكامل في التاريخ لابن الأثير ص90، فتح الباري لابن حجر 4004، السيرة النبوية لابن هشام ص617، المغازي للواقدي ص564

[^][43] سير أعلام النبلاء للذهبي ص226، فتح الباري لابن حجر ص64، المغازي للواقدي ص565، الطبقات الكبرى لابن سعد ج2 ص20

[^][44] المحبّر لمحمد بن حبيب ص490

[^][45] صحيح النسائي 4069، صحيح أبي داود 4080، تفسير الطبري 6|93، الكامل في التاريخ لابن الأثير - سنة 8، المغازي للواقدي ج2 ص 855

[^][46] صحيح النسائي 4078، سنن الدارقطني 4344

[^][47] صحيح البخاري 1846، 3044، صحيح مسلم 1357، مسند أحمد 13436، صحيح ابن حبان 3719، صحيح أبي داود 2685، سنن الترمذي 1693، صحيح النسائي 2867

[^][48] السيرة النبوية لابن هشام ص410

[^][49] المغازي للواقدي ص174، السيرة النبوية لابن هشام ص635

[^][50] فتح الباري لابن حجر 4118، الكامل في التاريخ لابن الأثير ص198، سير أعلام النبلاء للذهبي ص28، البداية والنهاية لابن كثير ج9 ص 429

[^][51] صحيح أبي داود 4361، صحيح النسائي 4081

[^][52] صحيح البخاري 3016، صحيح ابن حبان 5611، سنن الترمذي 1571، سنن الدارمي 2461

[^][53] صحيح ابن حبان 4475، صحيح النسائي 4070، صحيح ابن ماجه 2070

[^][54] السنن الكبرى للبيهقي 16722، تفسير الطبري، تفسير القرطبي

[^][55] صحيح البخاري 6783، صحيح مسلم 1687

[^][56] صحيح البخاري 2648، 4304، صحيح مسلم 1688

[^][57] صحيح أبي داود 4484، سنن النسائي الكبرى 5297، ابن ماجه 2573، أحمد 16859، الترمذي 1444

[^][58] صحيح أبي داود 4464، سنن الترمذي 1455، سنن النسائي الكبرى 7340، ابن ماجه 2564، مسند أحمد 2420

[^][59] صحيح أبي داود 4462، سنن الترمذي 1456، ابن ماجه 2561، مسند أحمد 2732

[^][60] صحيح مسلم 1696، سنن الترمذي 1435، صحيح أبي داود 4440، سنن النسائي الصغرى 1957، مسند أحمد 19861

[^][61] صحيح البخاري 3018، 6804، صحيح مسلم 1671، صحيح النسائي 4037، صحيح أبي داود 4365

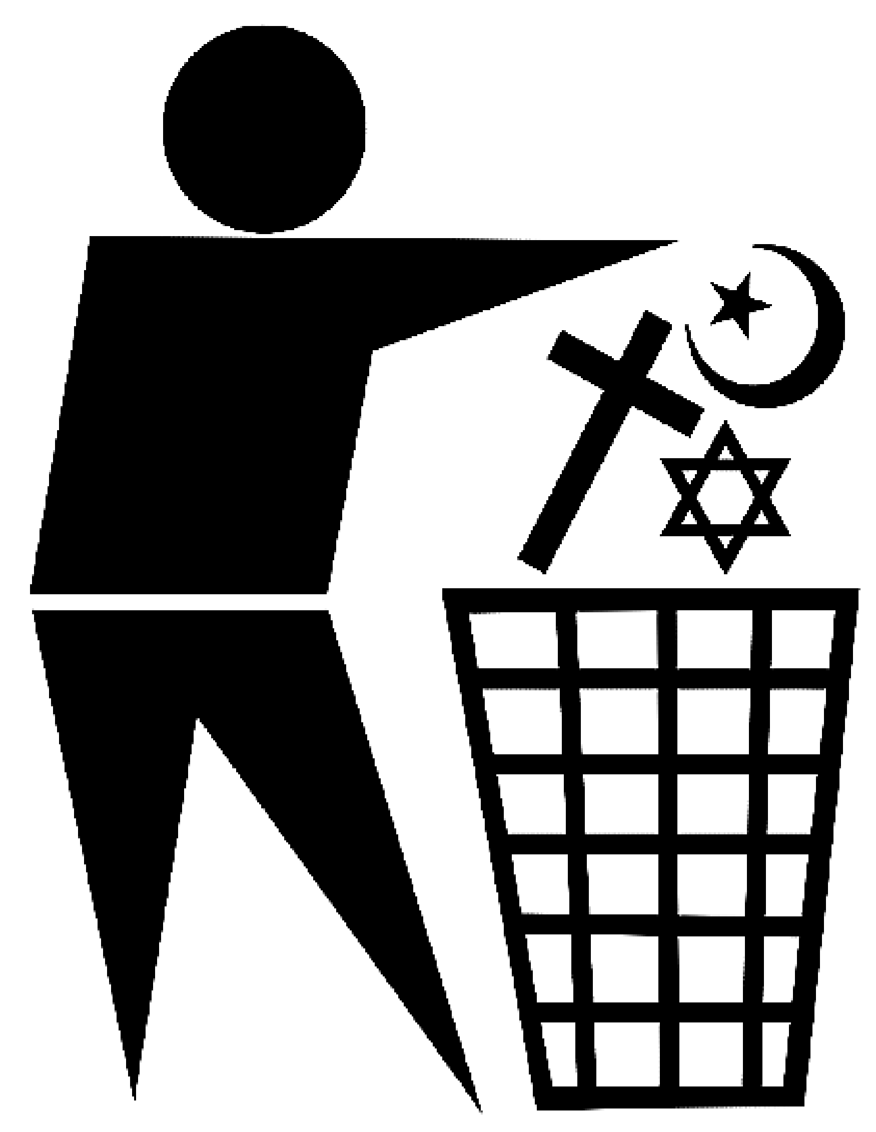
^ ^ ^ ^

الفصل الخامس

خيرٌ لنا أن نكون بدون .. ما كان آباؤنا يعبدون

عن ترك الدِين (الإسلام) وما بعده

ما نحن بمرتدّين
نحن لم نعتنق الدِين
وجدنا عليه الوالدِين
أمّتي كم تعتدين



المصدر: klipartz.com

^ ^ ^ ^

21. جدل الأخلاق .. قيد الإغلاق

المرجعية الدينية

هل الدِين هو المرجعية الخُلقية المثلى؟ وأي الأديان أحق بأن يُتّخذ مرجعية؟
هل هو دين أولئك الأعلى صوتًا الذين يحتجون على اللادينيين بادعاء ألا مرجعية خُلقية لهم؟
إنه دين أباح نكاح الطفلة (بيدوفيليا)، وأباح نكاح المتعة (دعارة)، وأباح سبي النساء (اغتصاب)، وأباح ذبح الأسرى، وأباح الاتجار بالبشر في أسواق النخاسة.
إن في ذلك خزي لهم؛ وهو يعني أنهم مخدوعون.. عبيد أذلاء خاضعون لأوامر بشر دجالين أسسوا هذا الدين على خرافات وأساطير لتطويع الناس لتنفيذ أغراضهم، وماتوا ولم يبق إلا رفاتهم وأكاذيبهم.

هل الأفضل للناس اتخاذ دين كهذا مرجعية؟
هل الأفضل لهم الاقتداء برسول مزعوم.. كان عبدًا لشهوته، جمع بين 13 زوجة وامتلك عدة إماء، نكح طفلة في التاسعة من عمرها، نكح زوجة ابنه بالتبني، حرّض أتباعه على اغتيال المعارضين وذبح الأسرى، وقاد غزوات على قبائل وبلدات للاستحواذ على ثرواتها ونسائها؟
هل الأفضل لهم طاعة إله مزعوم.. يضل من يشاء، أَمَر اليهود بارتكاب جريمة الإبادة لأهل مدن وقرى كاملة.. بأطفالها وشيوخها، وأَمَر العرب بغزو جيرانهم وتقتيلهم ونهب أموالهم واستعباد نسائهم وأطفالهم؟

وقبل ذلك كله.. هل أُسست الأديان الإبراهيمية على الحق، أم على كذب وزيف ودجل؟ وهل كتبها المكدسة وحي من لدن «علّام الغيوب»، أم كلام حاذق من بشر جهلاء؟ هذا هو ما يجب أن يكون المبحث

الأول، وقد تم لنا نحن الذين نبذنا الأديان.
إن البراهين القاطعة وافرة سافرة على أن مؤسسي هذه الأديان بشر لم يأتهم وحي من خارج الكوكب. ما فعلوه هو اختطاف بعض المخطوطات وبعض القيم الإنسانية ووضع علامتهم عليها. وبناء على تلك البراهين.. تضاف مثلبة الكذب والدجل إلى المثالب السالف ذكرها. فيالها من مرجعية!

برهنت الفصول السابقة على أن الإسلام دين بَشَري بلا سلطان إلهي، يُمثل المكان والزمان اللذان نشأ فيهما. بناء على ذلك، تَبطل المرجعية الأخلاقية.. لانتفاء المصداقية والاستحقاق.

الأخلاق الإسلامية

كيف كانت أخلاق العرب قبل الإسلام؟ كان لديهم المروءة والحرص على السُمعة الحسنة. مقولة محمد «بُعثتُ لأتمم مكارم الأخلاق» [1] اعتراف بأن مكارم الأخلاق كانت سائدة في الناس أصلاً. هذا يعني أن الأخلاق الإسلامية هي بالأساس أخلاق العرب، مع قليل من التغيير بما يُعجب مؤسسي الدين وأتباعهم.

بارون دي هولباخ، أحد أهم رواد عصر التنوير الفرنسي، وصف الأديان في أحد كتبه بأنها عائق للتقدّم الخُلقي للإنسانية. [2]
ليس للدين فضل في حسن خُلق الإنسان. بل بالعكس.. الدين الإسلامي -مثلاً- يتسبب في سوء الخُلق.. لأنه أحل الشريعة والإفتاء محل ضمير الإنسان. الضمير كأي شيء لدينا، إذا تعطل يكسل ويضمُر (ضمور الضمير). الحكمة تقول: استفتِ قلبك ولو أفتاك المُفتون.

اعتمد مؤسسو هذا الدين بشكل رئيس على الترهيب والتخويف؛ وفي نظر أتباعه.. أهم ما يتصف به الشخص هو «تقوى الله»، أي الخوف من إلههم الخرافي؛ فيقال فلان «يخاف الله». واعتمدوا كذلك على الترغيب، من خلال الإيهام بادّخار «الأجر» بعد الموت. وهكذا.. فإن المسلم الملتزم ليس إنسانًا كامل الأهلية؛ إنه مجرد عبد أجير، يلتزم بالأخلاق التي يؤمر بها.. طمعًا بالأجر وخوفًا من العقاب.

ويتصف المسلم المتديّن بالغرور والتكبر على الآخرين. تختلف التسمية فقط: عزة وذلة (كما يبين القسم 16.) هذا ليس بغريب على من يقدّس كتابًا يشبّههم بالأنعام والدواب (البهائم).

هو مغترّ بدينه، وهو بالطبع لا يُحكّم ضميره، لأنه يُحكّم الإله الوهمي في كل شؤونه، غالبًا من خلال فتاوي شيوخ أو ملالي، مستندة إلى نصوص كُتبت قبل قرون عديدة. بتعبير آخر: هو لا يميز الصواب والخطأ وفقًا للنفع والضرر. إنما الصواب أو الخطأ في نظره هو ما قال قدماء العرب (مؤسسو الإسلام) أنه صواب أو خطأ.
ولهذا.. فإنه قد يظلم المرأة ويهينها بجعلها إحدى «حَرِيم» له..
{وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ ..} 4|129

وقد يؤذيها ويضربها.. عملاً بنص القرآن..

{.. وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ..} 4|34

وقد يسرق ممتلكات الناس ويسميها «غنيمة»، بل قد يستبيح دماءهم، فيُقدم على جريمة قتل إنسان.. لمجرد أنه عارض معتقده، بل قد يشارك في جريمة مذبحة جماعية، ويُقدم على سبي النساء واغتصابهن، لأنه سمع أو قرأ أن هذا كله في دينه ومن سنّة الرسول. الحقيقة أن هذا هو ما ينطبق عليه نص القرآن..

{.. زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ ..} 35|8

أساسًا، الركن الأول من الإسلام، الشهادتان.. بأن لا إله إلا «الله»، وأن محمدًا رسول «الله».. لم يشهدهما أحد. هما شهادتا زور، والمسلم شاهد زور. شهادة الزور هي أعظم الكذب، وهذا من سوء الخُلق. لو كان ضميره يقظًا واحتكم إليه، لما رضي أن يشهد هاتين الشهادتين أصلاً، وهو لم يتأكد من صحتهما. (النص «وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ ..» تم إثبات أنه خرافة في القسم 5.)

بمقارنة محايدة -مثلاً- بين أكثرية المسلمين وأكثرية المسيحيين المتجردين من الشريعة.. نجد أن الدين الذي يتدخل في تفاصيل حياة الناس يفسدها.

الحقيقة أن أخلاق المرء الملتزم بتعاليم دينية تفصيلية.. ليست أخلاقًا حقيقية قائمة على استحسان كل خُلق منها بذاته، وإنما هي مجرد طاعة عمياء، كطاعة الجندي لقائده، مدفوعة بالرغبة والرهبة. ما قال مؤسسو الدين أنه حسن يأخذ به، وما قالوا أنه سيء يجتنبه. وهو يقدّس الأشخاص («الأنبياء») ويبرر أقوالهم وأفعالهم -مهما كانت- بزعم أنها «مشيئة الله» ولذا لا بد أنها خيّرة وفيها حكمة.

من المبادئ الراسخة عند المسلمين ربط حسن خُلق المرء بأنه يخاف «الله» وأنه «ابن حلال». هذه أفكار متخلفة، فالخوف والطمع هما أساس أخلاق العبيد، وهذا لا يليق بالأحرار. مفهوم «ابن حلال» و«ابن حرام» يربط حُسن سلوك الشخص أو سوءه بكون أبويه شرعيين أو لا-شرعيين، لكنّ الواقع ينفي وجود هذا الارتباط، فحُسن السلوك أو سوءه موجود في الفئتين، والعامل المؤثر في ذلك هو ما يتلقاه الشخص خلال نشأته من تربية ومعاملة ومحبّة وحنان.

يلجأ كثير المسلمين في هذا الزمان إلى حيلة «الوسطية» للالتفاف على كل ما ذُكر أعلاه. لكن الصواب هو أن الأمر إما أن يكون من الدين فيؤخذ به، أو لا يكون. لا توجد حلول وسط في هذا. الوسطية انتقائية، بينما الدين منهج كامل ذو سلطان إلهي، لا يحق لأحد الانتقاء والاختيار فيه:

{.. أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ ..} 2|85

{وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ..} 33|36

إذن، الخيَار الممكن لنا هو.. إما أن نقبل الأخلاق الإسلامية كلها ونلتزم بها، فنكون كقوم داعش أو طالبان، أو أن نتبرأ من هذا الدين، ونلتمس الأخلاق والحكمة حيثما كانت.

الأخلاق اللادينية

اللاديني.. بسلامته من الوهم الديني.. غالبًا لا مرجعية له إلا ضميره الذي يؤنبه إذا أساء، ورغبته أن يحب ذاته ويحترمها، وأنه يستحب لها المعالي ويربأ بها عن الدنايا. كما أنه بطبعه يريد أن يكون محبوبًا محترَمًا حسن السُمعة؛ وهذا يدفعه باتجاه إيجابي، (باستثناء المنحرفين.) هذه هي المروءة (نسبة إلى امرؤ)، وهي ذاتها الإنسانية. وله إضافة إلى ذلك تبنّي ما استحسنه من آداب وأعراف اجتماعية، بما يوافق العلم والمنطق. وبما أنه بريء مما في النصوص الدينية من أفعال شنيعة، وتشمئز منها نفسه السليمة، فهو عمومًا لا يفعل إلا ما يتوافق مع طبيعته وظروفه. وهو لا قداسة لديه لأحد، وإنما يزن أقوال الأشخاص وأفعالهم بميزان العلم والمنطق.

محمد قال قولاً مشابهًا: {البِرُّ حُسنُ الخلُقِ، والإثْمُ ما حاكَ في صدْرِكَ، وكَرِهْتَ أنْ يَطلِـعَ عليه الناسُ.} [3] والناس ليسوا جماعة الشخص فقط. نحن في زمان أصبح فيه العالم قرية. إذن، هم أكثرية الناس في العالم.

أما دور الدين في تهذيب الناس والحد من الجريمة فهو ليس بالأهمية التي يزعمها أتباعه. وقد استغنت عنه المجتمعات اللادينية في كندا وأوروبا والصين وغيرها؛ فمن تكون لديهم نزعة للشر هم حالات شاذة، تُعالَج نفسيًا، أو يحيّد خطرها أمنيًا.

وقد شهد للأخلاق اللادينية.. الإمام محمد عبده، بتصريحه الشهير «رأيت في أوروبا إسلاماً بلا مسلمين، وأرى في بلادي مسلمين بلا إسلام». وأكثر المسلمين يؤيدونه. (الفضل ما شهدت به الأعداء.) ومقتضاها واضح: أهل أوروبا (اللادينيون والمسيحيون المتجردون من الشريعة) أحسن أخلاقًا وأطيب نفوسًا من المسلمين؛ ولديهم من العدل والإحسان ما يفوق ما لديهم، وبفارق كبير؛ وأعمالهم فيها خير للبشرية وإعمار للأرض أكثر منهم. حتى في الاستعمار والتوسع الإمبراطوري.. كان في استعمار الأوروبيين إعمار ونقلة حضارية للبلاد المستعمَرة.. بعكس ما كان عليه الحال تحت حكم الدولة الإسلامية (العثمانية). الإنغليز -مثلاً-، بالرغم من عدوانهم واستغلالهم للبلاد.. فإنهم «استعمروها»، يعني أقاموا فيها العمران ومناطق حضارية وطرقًا معبدة وسككًا وقطارات، ما زالت تنعم بها. وحتى بعد رحيلهم بقيت علاقتهم بها طيبة، من خلال رابطة «كومنولث».

حال العرب كما وصفه محمد عبده.. هو نتاج قرون من الجهل والانغلاق والتخلف.. بعد هيمنة الدولة العثمانية على البلاد. ولذلك.. فإن نشر المعرفة (التنوير) وارتقاء الوعي من أقوى العوامل لارتقاء مستوى الأخلاق والآداب في مجتمع ما.

وغالبًا.. إذا اكتشف المرء أن ما نشأ عليه من موروثات.. ليس هو الحق والعدل.. فإنه سينفتح على ثقافة أفضل وأرقى، سيتغير من ذاته، سيصحو ضميره ويصبح أكثر إنسانية.

الدول العلمانية المتجردة من الآلهة والقداسة الفوقية.. تعترف بمشاكلها وأخطائها وتعمل على معالجتها وتصحيحها، فتتحسن وتتقدم، بينما تزحف الأمم المتدينة خلفها محاولة اللحاق بركبها، لكنها تظل متخلفة، لأنها مكبّلة بالعبودية وتعاليم من أزمنة قديمة لا تجرؤ على التحرر منها، إذ ما زال المعتقد الوهمي الموروث يسيطر عليها. إنها أمم باتت عالة على باقي الأمم، تتسول منها المعونات والقروض، وتزاحم أبناءها بالمهاجرين الذين ينعمون بخيرها ثم يؤذونها بالجرائم والإرهاب.

إذا سلم الإنسان من سطوة المرجعية الدينية.. يكون المعيار الأساسي لديه في تقييم الأمور هو المبدأ الأصيل المتمثل في.. النفع والضرر، بمفهوم شامل للحياة. ويسمى أيضًا «الخير والشر»، فيقال «هذا خيرٌ لك»، و«ذلك شرٌ لك». فإن كان نفع الشيء أكبر من ضرره يؤخذ به، وإن كان ضرره أكبر يُجتنب.
هذا المبدأ أصيل لأنه من الطبيعة، مرتبط بأحاسيس اللذة والألم، التي نبعت من غريزة البقاء وحفظ النوع، فهو مثلاً لا يمنعنا من قتل حيوان لغرض التغذي عليه وحفظ صحتنا، بينما يمنع من الصيد الجائر لأنه يهدد بنقص عدد فصيلة ما وانقراضها والإخلال بالتوازن الطبيعي بين الأحياء. وهو لا يمنع من انتقاد الأفكار والمعتقدات مهما كان قاسيًا، لأن فيه تمحيص لها، بينما يمنع من عبارات الكراهية أو العنصرية تجاه شخص أو فئة من الناس، لأنها تسبب العداوة والأذى.

وبقدر ما يزيد وعينا لنرى النفع نفعًا فنأخذ به، والضرر ضررًا فنجتنبه، وبقدر ما تقل أنانيتنا في ذلك.. نكون أحسن أخلاقًا. وهذا يصح على مستوى الفرد والجماعة. «أنت حر ما لم تضر» وبما أن النفع والضرر الخاصان بفرد أو جماعة ما.. يتأثران بشكل مباشر أو غير مباشر بالنفع والضرر العامّين للبشر والأحياء كافّة، فإن الواجب علينا جميعًا هو الشمولية في العمل بهذا المبدأ، وتقديم المصلحة العامة على الخاصة.

تقول حكمة قديمة: «عامل الناس كما تحب أن يعاملوك.» هذا أيضًا مبدأ أصيل من الطبيعة. المبادئ الأصيلة نجدها في كائنات غير البشر، فنرى -مثلاً- قردًا يقوم بتنظيف ظهر آخر.

إن استيعاب نظرية التطور (كما يبينها القسم 6) يمكّننا من تفسير ما في عالمنا من مظالم وجرائم وكوارث ومآسي.. بأنه عالم لا يحكمه حاكم حكيم رحيم، وإنما هي أسباب ونتائج، وأن صلاحه أو فساده يعتمد حصرًا علينا نحن البشر. ومما يميّز اللاديني.. احترامه للأحياء عامةً، فهو يعي أننا جزء منها، وأن الجميع نتاج تطوّر وتفرّع من أسلاف مشتركة، وبهذا نكون مع جميع الأحياء من أصل واحد، وفروع من شجرة عائلة كبيرة واحدة.

قال ألبرت أينشتاين:
»يجب أن يقوم السلوك الخلُقي للمرء فعلياً على التعاطف والتعليم والروابط الاجتماعية. لا داعي لأساس ديني. يكون حال المرء رديئًا حقًا إذا كان يستلزم أن يقيّده الخوف من العقاب والأمل في المكافأة بعد الموت.« [4]

جدير بالذكر.. أنه يجب أيضًا عدم إغفال أهمية العفَوية (التلقائية)، وهي عكس التكلف (التصنع). ليس علينا أن نتكلف في ضبط سلوكنا وأقوالنا، ولا في تقييم تفاصيل حياتنا اليومية.. كما يفعل المتدين الغارق في التقييم والتصنيف والتحليل والتحريم. تكون حياتنا أجمل إذا تركنا القلق والتعقيد وعشنا اللحظة بعفَوية وبساطة.. على السجيّة.

الضمير

تعريف الضمير لغويًا:

• شعور إنساني باطني في المرء يجعله يراقب سلوكه ويتحكم بتوجيهه متبعًا الخير راذلاً الشر. [5]

• الضَّميرُ العالَمِيُّ: الشُّعُورُ الدَّوْلِيُّ الْمَبْنِيُّ عَلَى مَبَادِئِ الأَخْلاَقِ وَالقِيَمِ الإِنْسَانِيَّةِ الْمُثْلَى كَمَا تَنُصُّ عَلَيْهَا وَثِيقَةُ حُقُوقِ الإِنْسَانِ. [6]

فلسفيًا:

•استعداد نفسيّ لإدراك الخبيث والطيِّب من الأعمال والأقوال والأفكار، والتفرقة بينهما، واستحسان الحسن، واستقباح القبيح منهما، ويكون أساسًا لقبول أو رفض ما يعمله الفرد أو ما ينوي القيام به. [7]

علميًا:

• يسعى علماء علم الأحياء التطوري إلى تفسير الضمير كوظيفة للدماغ تطورت لتسهيل الإيثار داخل المجتمعات. في كتاب »وهم الإله«، يذكر ريتشارد دوكينز أنه يتفق مع كتاب روبرت هيند »لماذا الخير جيد«، وكتاب مايكل شيرمر »علم الخير والشر«، وكتاب روبرت بوكمان »هل يمكننا أن نكون صالحين بدون الله؟« و»العقول الأخلاقية« لمارك هاوزر، في أن إحساسنا بالصواب والخطأ يمكن أن يُشتق من ماضينا الدارويني. وقام لاحقًا بتعزيز هذه الفكرة من خلال وجهة نظر التطور الجينية، حيث أن الاصطفاء الطبيعي (المذكور في القسم 6) وحدته ليست كائنًا فرديًا ولا مجموعة، بل هي الجين »الأناني«. ويمكن لهذه الجينات أن تضمن بقاءها، من بين أمور أخرى، بدفع الأفراد إلى التصرف بإيثار تجاه أقاربهم. [8]

• أظهرت العديد من دراسات الحالة لتلف الدماغ أن الضرر الذي يلحق بمناطق الدماغ (مثل القشرة الأمامية قبل الجبهية) يؤدي إلى تقليل أو التخلص من المثبطات، مع تغيير جذري في السلوك. عندما يحدث الضرر لشخص بالغ، فقد يظل قادرًا على أداء التفكير الأخلاقي؛ ولكن عندما يحدث لطفل، فقد لا يطور هذه القدرة أبدًا. [8]

الجينات (بيولوجيا التطور) تتصف بالحتمية، حيث أن الكائن الحي مسيّر بها غير مخيّر. أما الإنسان فهي عامل مؤثر في سلوكه، لكنه ليس الوحيد.
الدماغ عضو استثنائي في جسم الإنسان، يتميز بالجمع بين المادي والمعنوي. من أهم وظائفه التفكير، أي معالجة الأمور المعنوية (معلومات، ثقافة، معتقدات). من هنا تأتي الإرادة والقدرة على اتخاذ القرار، ولهذا هو لا يخضع لحتمية السلوك المرتبطة بالجينات.
الإنسان الفرد، بفضل قدرات دماغه، يختار كل أفعاله، بحيث يمكن له أن يتبع حتمية الجينات (الغرائز) أو أن يخالفها، ويمكن له أن يتبع ما يمليه عليه الضمير أو أن يخالفه. حتى تحت الإجبار، له اختيار ألا يفعل الفعل. ولهذا يأتي التأنيب. للضمير وظيفتان: التوجيه والتأنيب.
سلوك الإنسان عملية معقدة متعددة العوامل. الجينات تدفع المرء باتجاه غريزي، لكن الدماغ قد يقود باتجاه آخر، نتيجة التعقيد في بنية الإنسان المادية والمعنوية. وهذا ما يميزه عن باقي الثدييات. الإنسان كائن فريد (عاقل) يجمع بين الغرائز والعقل. إذن، مصدر الأخلاق هو مزيج بين البيولوجيا (عامل وراثي) والتربية والثقافة والمعتقدات (عامل مكتسب).
الثقافة والمعتقدات ليست سلوكيات حتمية، وإنما هي إبداعات فكرية حرة. والشواهد متوفرة في ظواهر سلوك البشر: الاختلاف في الاختيار و اتخاذ القرار، الإبداع والخلق، الإرادة والقدرة على الانتحار. هذه الظواهر نشأت بالتطور الذي حصل في الدماغ البشري، فأصبح يؤدي وظائف ليست لدى غيره. هي ظواهر منشأها قدرات دماغ الإنسان، الشيء الذي يميزه عن غيره.

بناء على ذلك.. الإنسان كائن استثنائي، يتأثر بالبيئة، وبالغرائز البيولوجية، لكن لا تنطبق عليه الحتمية التطورية. الإنسان يتميز عن باقي الثدييات بدماغ يؤدي وظيفة التفكير المعقد الذي يتصف بالحرية والإبداع.
هذه الميزة عظيمة، مكنته من كسر قاعدة الحتمية التطورية. الإنسان تتنازع بداخله قوتان: الغرائز البيولوجية، والتفكير (العقل). وبقدر ما يغلب أحدهما.. تحسن أخلاقه أو تسوء.
أصل الأخلاق هو الكائن الحي. في عموم الأحياء.. الأخلاق غريزية، وفي الإنسان.. الأخلاق مزيج بين الغرائز والعقل. ولهذا يوصف المرء سيء الأخلاق بأنه حيوان، ويوصف حَسن الأخلاق بأنه ذو مروءة أو إنسانية.

الالتزام

الالتزام هو عامل مؤثر رئيس في هذا الشأن. لا فرق يذكر بين أتباع الأديان واللادينيين في مدى الالتزام بأخلاق حسنة محددة وبمبدأ النفع والضرر، إذ أن الملتزمين والمخالفين موجودون في كلا الفئتين.

ارتقاء الشيء أصعب من هبوطه، بسبب الجاذبية الأرضية. كذلك الارتقاء المعنوي أصعب من الهبوط، لأنه يتطلب قوة إرادة، وأخذ بأسباب، ونبذ تفاهات وخرافات. ليس كل الناس قادرون على الارتقاء بالنفس

وتنزيهها عن الخصال الضارة والأفعال المؤذية. وهذا يقتضي إقامة نظام حكم عادل يردع العاجزين عن ذلك ويقي الآخرين أذاهم.

لذا.. تفرض الحكومات القوانين والأنظمة، لأغراض جلب النفع ودرء الضرر، بتمكين ما يحقق المصلحة العامة وحفظ الأمن والحقوق وردع المخالفين والمعتدين. الجريمة تحدث من ذوي الدين ومن اللادينيين؛ والتعامل معها يكون بتعاون الجميع.. الجهة الأمنية والمصحة النفسية، وكل الناس بالتبليغ عمن ارتكبها أو سيرتكبها، وتطوير مهارات وقدرات مكافحيها. والأهم من ذلك معالجة أسبابها.

العدل

العدل هو فرع من مبدأ النفع والضرر. ما حصل في معيشة البشر من تعقيد وطمع وحب امتلاك وتبادل مصالح.. أدى بهم إلى فكرة العدل، بمعنى التعادل في الأخذ والعطاء والحقوق والواجبات بين الأفراد أو المجموعات. وهو نوع متطور من التوازن الذي يحتاجه الأحياء، وإقامته سبب للنفع (رضى وأمان وسلام). وضده، الظلم، هو الخلل في هذا التوازن، ويسبب الضرر (أذى المظلوم ونقمته ومشاكل وقلق). لا فرق في ذلك بين فرد وجماعة.

فكرة مؤسسي الإسلام ليست من العدل في شيء: أن الناس إذا لم يقتنعوا ويؤمنوا بوجود الإله الإبراهيمي ووحدانيته.. فسوف يخضعون خالدين لتعذيب لا-نهائي بالنار.
مهما بلغ ظلم المرء وإجرامه.. ذلك العقاب المزعوم ليس من العدل في شيء. الشِرك الذي لا يغتفر «ظلم عظيم». مهما كان الظلم عظيمًا والإجرام شنيعًا.. فهو محدود، لا يستحق عقابًا لا-محدود. هذا ليس عدلًا.
كذلك عقوبة قطع يد من سرق (حتى لو لم يسرق إلا حبلاً ببضعة دراهم، كما يوضح القسم 20،) ووصفوها بأنها «نكال من الله»، تجعله ذا عاهة، عالة على المجتمع، معاقاً في العمل وفي إصلاح شأن نفسه. هذا ليس من العدل في شيء.

ومما ينافي العدل.. تعدد الزوجات للرجل الواحد. نص القرآن..
{وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ ..} 4|129
.. يقتضي أن الإسلام يبيح للرجال الإقدام على أمر.. يستحيل فيه العدل، أي أن فيه ظلم. وهذا أمر تميّز به محمد، بالجمع بين 13 زوجة.

وقد أقرّ مؤسسو الإسلام أيضًا الظلم.. الواقع على فئة من الناس، بوصمهم وصمة «عار» طوال حياتهم أنهم مواليد «زنى»، ونبذهم واحتقارهم وحرمانهم مما يتمتع به غيرهم من فرص وتمكين؛ وهم أبرياء لا ذنب لهم في ذلك.

ومن أفكارهم المتطرفة.. أن أي شخص مشرك كافر فاجر طوال عمره، وارتكب جرائم قتل وزنى وسرقة مئات المرات، ثم تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً واحدًا ومات.. يخلد في الجنة ونعيمها؛ بينما أي شخص مؤمن عمل آلاف الصالحات طوال عمره، ثم فعل جريمة واحدة ومات في ساعتها.. يخلد في جهنم وسعيرها. أن يخلد في جهنم -مثلاً- صبي عمره 15 عامًا، ارتكب إحدى الموبقات أو ما يخرجه من الملة، ومات، ولم يكن لديه العمر وفرص التوبة والأعمال الصالحة مثلما لدى المعمَّرين:

{وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا • يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا • إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ..} 25|68-70

{بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} 2|81

{قال محمد: إنَّ أَحدَكُمْ يُجْمَعُ في بَطْنِ أُمِّه أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذلكَ، ثُمَّ يَكونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذلكَ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ إلَيْهِ مَلَكًا بأَرْبَعِ كَلِماتٍ، فيُكْتَبُ عَمَلُه وأَجَلُه ورِزْقُه وشَقِيٌّ أوْ سَعِيدٌ، ثُمَّ يُنْفَخُ فيه الرُّوحُ، فإنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بعَمَلِ أهْلِ النَّارِ، حتَّى ما يَكونُ بيْنَهُ وبيْنَها إلَّا ذِراعٌ، فَيَسْبِقُ عليه الكِتابُ فَيَعْمَلُ بعَمَلِ أهْلِ الجَنَّةِ فَيَدْخُلُ الجَنَّةَ، وإنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بعَمَلِ أهْلِ الجَنَّةِ، حتَّى ما يَكونُ بيْنَهُ وبيْنَها إلَّا ذِراعٌ، فَيَسْبِقُ عليه الكِتابُ، فَيَعْمَلُ بعَمَلِ أهْلِ النَّارِ، فَيَدْخُلُ النَّارَ.} [9]

فكرة البوذيين والهندوس (الكارما) تمثّل العدل: في داخل كل إنسان ذاكرة عميقة لأفعاله تؤثر في حياته؛ فيكافأ ويعاقب كل امرئ تلقائيًا وفقًا لأفعاله، وإذا مات قبل إتمام ذلك يتمه في حياته التالية، (حيث أنهم يعتقدون بانتقال النفس عند الموت إلى جسد جديد.)

وحتى في بعض المذاهب الإبراهيمية.. يعتقدون بأن الخلود للأخيار، وأن الأشرار يوم القيامة.. يحكم الإله عليهم بالهلاك، فيُطرحون في النار، فيهلكون (هلاك فَناء وعدم) وينتهي أمرهم.

هذه الفكرة أقرب إلى العدل من الفكرة الرديئة الفاسدة التي رددها مؤلفو القرآن الهَمَج.

أما اللاربوبية.. فهي تقتضي أن العدل هو كأي شيء في العالم، من شأن البشر. عليهم إقامته بينهم لردع الجريمة، وللحفاظ على بقائهم وسلامتهم وصلاح معيشتهم، وأن ينمّوا قدراتهم ومهاراتهم في العمل على تحقيقه ومنع إفلات المجرمين منه.

وقد تفوّق اللادينيون على أتباع الأديان في إقامة العدل، فصار أتباع الأديان يهاجرون إلى أوروبا وكندا، ويثقون في عدل ونزاهة تلك الأمم، بينما العكس غير صحيح.

النفاق والتقاة

كان النفاق مشكلة كبرى عانى منها مؤسسو الإسلام، فاضطروا إلى شغل جزء كبير من القرآن بها. لكن ما الفرق بين المؤمن وغير المؤمن، إذا اضطر المرء إلى إخفاء ما يعتقده.. تحرّزًا من البطش أو الاضطهاد؟ كلاهما يعتقد أنه على حق، لكنه يتجنب مواجهة خصومه المستبدين، فينافقهم، ويتّقي منهم تقاة.

هذا نص يبيح ما يسمى التقاة (التقيَّة):
{لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً ..} 3|28
(الطبري: إلا أن تكونوا في سلطانهم، فتخافوهم على أنفسكم، فتظهروا لهم الولاية بألسنتكم، وتضمروا لهم العداوة)
(ابن كثير: إلا من خاف في بعض البلدان أو الأوقات من شرهم، فله أن يتقيهم بظاهره، لا بباطنه ونيّته، كما حكاه البخاري عن أبي الدرداء أنه قال: إنا نبشّ في وجوه أقوام، وقلوبنا تلعنهم.)

وهذا ما يمكن تسميته النفاق الإسلامي. وهو يجوز فيه للمؤمن حتى السجود لصنم، لو اضطر إليه. إذن، النفاق مباح للمؤمن تجاه الآخرين.

محمد نفسه مارس النفاق:
{عن عائشة: أَنَّ رَجُلًا اسْتَأْذَنَ على النبيّ ..، فلَمَّا رآهُ قالَ: بِئْسَ أَخُو العَشِيرَةِ، وبِئْسَ ابنُ العَشِيرَةِ. فَلَمَّا جَلَسَ تَطَلَّقَ النبيُّ ... في وجْهِهِ وانْبَسَطَ إلَيْهِ. فَلَمَّا انْطَلَقَ الرَّجُلُ قالَتْ له عائِشَةُ: يا رَسولَ اللَّهِ، حِينَ رَأَيْتَ الرَّجُلَ قُلْتَ كَذا وكَذا، ثُمَّ تَطَلَّقْتَ في وجْهِهِ وانْبَسَطْتَ إلَيْهِ؟ فَقالَ رَسولُ اللَّهِ ..: يا عائِشَةُ، مَتى عَهِدْتِنِي فَحّاشًا، إنَّ شَرَّ النّاسِ عِنْدَ اللَّهِ مَنْزِلَةً يَومَ القِيامَةِ مَن تَرَكَهُ النّاسُ اتِّقاءَ شَرِّهِ.} [10]

العفة

لا يكمل الحديث عن الأخلاق بدون التطرق لفكرة.. «العفّة». وما هذه إلا فكرة وضعها قدماء اليهود في دينهم، وتبناها العرب وغيرهم من ذوي الطبع المحافظ. وهي تتمحور حول النشاط الجنسي؛ فإن كان محصورًا في عَقد نكاح (مِلكة) فهو عفة وفضيلة، وإن كان بلا عقد فهو زنى ورذيلة.

الدافع لتعظيم هذه الفكرة وجعلها من صميم الدين.. هو طبع الطمع وحب الامتلاك الذي استفحل عند الرجل اليهودي، ثم الرجل العربي؛ استفحل حتى شمل المال والأرض والنساء والعبيد والإماء والبنين والبنات. قال محمد: «أنتَ ومالُكَ لأبيكَ.» [11]

في قديم الزمان، استغل بعض الرجال قوّتهم العضلية، ففرضوا السيطرة على النساء والأطفال بالقوة والعنف، وتبلور ذلك في قيام النظام الأبوي، وهو نظام اجتماعي يمسك فيه الرجال بالسُلطة الأساسية ويسودون في أدوار القيادة السياسية والسُلطة الخلُقية والامتياز الاجتماعي والسيطرة على الممتلكات، ويتبع لهم النساء والأطفال قانونيًا ويعتمدون عليهم، ويكون الانتساب إلى الأب لا إلى الأم.

تشير الأدلة النفسية الأنثروبولوجية والأثرية والتطورية إلى أن معظم المجتمعات في ما قبل التاريخ كانت تتصف بالمساواة الجنسية نسبيًا، وأن الهياكل الاجتماعية الأبوية لم تتطور إلا بعد سنين عديدة من نهاية العصر الجليدي، بعد تطورات اجتماعية وتكنولوجية كالزراعة والتدجين. في مصر القديمة، كان لدى النساء حقوق مماثلة للرجال، تشمل أن تكون قاضية في محكمة محليّة. ويشير بعض الباحثين إلى حوالي 4000 قبل الميلاد، عندما تجذّر مفهوم الأبوّة، كبداية لانتشار الأبويّة. اليونانيون، ومنهم أرسطو، تبنّوا النظام الأبوي، ومنعوا عن المرأة هذه الحقوق، ثم انتشر التأثير اليوناني عالميًا مع غزوات الإسكندر الأكبر. [12]

وقد انبثقت من ذلك الحاجة إلى «حفظ الأنساب» الذي يمكّن الرجل من السيطرة على أملاكه، والتأكد من أن الولد يخصه ولا يخص رجلاً آخر، فهو سيطعمه ويؤيه ويربّيه ثم يورثه أملاكه، ويمكّنه أيضًا من التفاخر بنسبه، وهذا نوع من العنصرية.

وبناء عليه.. فإن البنت مِلك أبيها (سلعة مكلفة في تغذيتها وتربيتها وإنضاجها)، ثم تغدو مِلك زوجها الذي يشتريها بعقد تمليك (مِلكة)، مثلها مثل الناقة والعبد وباقي الأملاك، أخذُها من المالك إما يكون أخذًا شرعيًا أو سرقة يعاقب عليها. ولهذا يتطبع بطبع الغيرة المفرطة (الحرص على أملاكه)، ويسمي المرأة «حرمة» ويغلّفها ويحفظها لكي لا تكون مشاعًا تُشتهى وتُستخدم من الآخرين، ويتبنى أفكار الشرف والعِرض والعار والعورة والفاحشة، ليتقوى بها في إبقاء المرأة الحرة خاضعة مملوكة له. ما توافق مع هذا النظام عفة وفضيلة، وما خالفه زنى ورذيلة. وقد أمعن اليهود والعرب في غيهم هذا حتى شرعوا التعذيب والقتل من أجله، عقابًا أو انتقامًا، رجمًا أو بيد أقرب الأقرباء.

أي نفوس لدى هؤلاء، وأي عقول؟ يرون البنات يتقدّمن في السن عند أهاليهن، ولا يبالون بحرمانهن من الحياة الطبيعية (الحُب، الجنس، والأمومة،) ولا يفعلون شيئًا لتغيير هذا الواقع البئيس.

هذه الأفكار المتطرفة لا وزن لها عند من يحترمون المرأة ويعتبرونها إنسانًا مكافئًا للرجل، لا مِلكًا من أملاكه. إن هذه الأفكار التي استحسنها أهل الأديان الإبراهيمية وقاموا بنشرها في غلاف ديني.. دخيلة على البشر ليست أصيلة فيهم.

المنع والكبت الجنسي يسببان الهوس، لأنهما يضادّان غريزة في الإنسان. يخضع له الناس لسنين عديدة بحجة أنه لا يسبب الموت مثل منع الماء والغذاء، لكن الحقّ أنه عناد للطبيعة، له تأثير سلبي على الحالة النفسية والبدنية

للأفراد، ومن ثم على المجتمع. في سن البلوغ وبداية الشباب (مرحلة النشاط الجنسي الأكبر).. تكون ممارسة الجنس ممنوعة أو عسيرة أو مسببة للأذى من المجتمع. لهذا يعاني أكثر البشر من أمراض نفسية وبدنية ظاهرة أو باطنة.

أما الزواج.. فهو علاقة عمل وليس علاقة شخصية، والأُسرة شركة لإنتاج البشر، تحضر فيها الغريزة ويغيب عنها الشغف والحيوية، حتى لو حضرت في البداية. وهي شركة صغيرة جدًا ليست مؤهلة أصلاً لهذا العمل. والإنسان ليس سلعة، ولا تصلح العلاقات الشخصية على أساس المال والماديات.

أيضًا، الامتلاك و«عقد النكاح» وأن «الأُسرة نواة المجتمع».. هذا يقتضي استفراد الرجل بامرأته وأطفاله بمعزل عن الجماعة أكثر الوقت. لو تغاضينا عن السأم من مقابلة نفس الشخص دائمًا، والاضطرار لتحمّل عيوبه من أجل العيال والاستقرار، فإن في أكثر الحالات، الفرد (أب أو أم) بطبيعة الحال لا يقدر على تلبية حاجات الأُسرة -مادية ومعنوية- كاملة كل الوقت، بل قد يكون متعسفًا أو مؤذيًا لأفراد الأُسرة. وينشأ بعض الأفراد بشخصية منحرفة مريضة (قليل تربية) نتيجة إهمال الأبوين أو عجزهما أو علة فيهما أو في الإخوة الأكبر. الأبوة والأمومة والأخوّة لا تكون صالحة لدى كل الناس، وحتى لو صلحت، تبقى محدودة قاصرة متفاوتة الجودة.

بناء على عمل 20 سنة في علوم النفس، الاجتماع، وظائف الأعضاء، والبيولوجيا، كتب العالم فيلهلم رايخ في كتابه وظيفة النشوة: [13]

«ان بنية شخصية الإنسان المعاصر، الذي يستنسخ ثقافة سلطوية أبوية عمرها ستة ألف سنة، تتمثل في اتخاذ درع مرتبط بخصائص الشخصية، ضد طبيعته الداخلية وضد البؤس الاجتماعي الذي يحيط به. هذا الدرع هو أساس العزلة، العوز المادي والمعنوي، اشتهاء السُلطة، الخوف من المسؤولية، التوق الروحاني، البؤس الجنسي، والتمرد العصابي العاجز، وكذلك القابلية للأمراض. الإنسان غرّب نفسه عن الحياة ونمت لديه عدوانية نحوها. أصل هذه الغربة ليس بيولوجياً، إنه اجتماعي-اقتصادي. هي لا توجد في مراحل تاريخ البشرية قبل تكوّن النظام الأبوي. منذ ظهور الأبوية، استبدلت المتعة الطبيعية للعمل والنشاط بالواجب الجبري. في العموم، تحولت بنية الجماهير إلى بنية مشوهة تتصف بالعجز والخوف من الحياة. [...] الكارثة العالمية التي نعيشها هي نتيجة نهائية لهذه الغربة عن الحياة. [...] يمكن أن يعزى السبب المباشر للعديد من الأمراض المدمرة إلى حقيقة أن الإنسان هو النوع الوحيد الذي لا يلبي القانون الطبيعي للنشاط الجنسي. [...]

للتمكن من علاج العصاب الجماعي واللاعقلانية في الحياة الاجتماعية، أي، لتطبيق النظافة العقلية الحقيقية، لا بد من هيكلية اجتماعية، تقوم أولاً بالقضاء على المعاناة المادية وحماية التطور الحر للطاقات الحيوية في كل فرد. [...]

القانون الداخلي وليس الخارجي هو المعيار للحرية الحقيقية. التعصب الخلُقي لا يمكن أن يحارَب بشكل آخر من

الأخلاق الجبرية، وإنما بالمعرفة بالقانون الطبيعي للعملية الجنسية. السلوك الخلُقي الطبيعي يفَترض أن عملية الحياة الطبيعية يمكن أن تتطور بحرية. في المقابل، الأخلاق الجبرية والنشاط الجنسي السقيم يسيران جنباً إلى جنب.»

لذلك فإن هذا النظام هو سبب للمشاكل النفسية والاجتماعية، وهذه لها أكبر أثر سلبي على الحال العام للفرد والجماعة. إنما هو عادات شائعة ضررها أكبر من نفعها. ليس هذا هو النظام الاجتماعي الأفضل.

بعض القبائل والمجتمعات التي لم تتأثر بالحملات المسيحية والإسلامية.. حالها مختلف. هذه الأفكار المتطرفة ليست سائدة فيها. المبدأ السائد فيها هو «المشاركة».

المشاركة

المشاركة هي النظام الاجتماعي الأفضل والأجمل: أن نعيش أفرادًا في جماعة، يعمّها تعاطف وتآلف وتراحم وتعاون وتفاعل وحيوية، بنظام عضوية وتوافق على مبادئ وأحكام (مجتمع متعمَّد)، بلا زواج ولا أُسرة، ولا خصوصية إلا في غُرَف النوم والحمّامات، الأشياء تتوزع على الكل، والجماعة كلها ترعى الأطفال، (بدلاً من اعتمادهم على أبوين أو أحدهما أو جد أو جدة أو أخ أو أخت،) ولا دور للأبوين غير الدور البيولوجي (حمل وولادة وإرضاع)، بالإضافة إلى امتياز الأم بقربها من الطفل بسبب الإرضاع. كل ما عدا ذلك يكون بالمشاركة بين أفراد الجماعة، سواء في المنافع أو الأعمال. ومن يعطي أكثر له أن يأخذ أكثر. لا قيمة لنسب الشخص إلى أب وجد وأبي جد وجد جد. القيمة في الفرد بذاته، وفي الجماعة لأنها اتحاد فيه قوة الأفراد والتعاون على مصالحهم.

إن في ذلك مصالح عظيمة:

- يختار كلٌ منا الجماعة التي يعيش فيها على أساس مبادئ وأحكام، بدلاً عن الوراثة والانتماء الجبري.
- تنتفي الحواجز والعقَد، وتعم الألفة والبهجة وطيب النفوس.
- تنعدم قضايا الأرامل والمطلقات والمهجورات والمعلّقات واضطهاد النساء والعنف الأُسري.
- تنتفي معاناة كبار السن والمشردين والأيتام واللقطاء و»عيال الحرام» وحالات الإجهاض المتعمد.
- تُحل مشاكل العقم والعنوسة والزواج متبلّد العاطفة، لأن أفراد الجماعة أصحابك وأطفالها أطفالك.
- ينعدم الذل والحرمان، حيث تُحفظ كرامة الأعضاء وتُوفّر حاجاتهم.
- حين يموت الفرد يقسّم إرثه على الجماعة بالتساوي أو يوجّه لمصلحتها، فلا يتمنى أحدهم موت آخر ليرثه، وتنتفي مشاكل التوريث، ومشاعر الحقد والحسد.
- تنتفي كثير من الأمراض النفسية والبدنية، وأمراض بدنية ناتجة عن سوء تغذية وعادات لا-صحّية.
- يدعم التفاعل وتنوع الشخصيات تطور الإنسان، بدلاً عن تأثير شخصية الأبوين أو أحدهما فقط.

• يتربى الكل في شمل الجماعة، ويتأثرون بأفضل شخصيات فيها، فتقوى شخصياتهم، ويعم فيهم حسن الخُلق والتربية، والمهارات التخاطبية الاجتماعية وغيرها من أسباب النجاح.
• التربية هي تأثير الكبار على الصغار. يجب ألا تُحصر في من قد لا يجيدها (الأبوين؟)؛ وقد يتركهم لمربّية لا يهمّها إلا المال، وللأجهزة التي ضررها أكبر من نفعها؛ وحتى لو أجادها، تبقى أضعف من التربية في جماعة.
• نعيش في مكان واسع فسيح (قصر، بستان، مزرعة) بدلاً عن الأقفاص والصناديق التي تعيش فيها الأُسَر (شقّة، بيت صغير)، ونتعاون على امتلاكه وتأثيثه وتجهيزه وصيانته، وزراعة نباتات الغذاء والزينة، وتربية الدواجن والمواشي.
• الأمن والسلامة.. في جماعة، أفضل مما لدى أُسر صغيرة متفرقة.
• المصلحة الاقتصادية تحقق بالتشارك وبشراء الأشياء بالجملة.
• مشاركة الأشياء تحررنا من التعلق بها، وتمنحنا بهجة تنعكس علينا ممن يعيشون معنا.
• يستفيد أفراد الجماعة من توفر الإمكانيات والمهارات، حيث يسهم كل فرد في رفاهيتها، ويقوم بكل عمل من يناسبه؛ فمن يناسبه الطهي يصنع طعامًا صحيًا شهيًا للجميع، ومن يناسبه رعاية الأطفال يرعاهم.
• نتوزع المهامّ على جماعة بدلاً عن حصرها في من قد يعجز عنها أو لا يجيدها (الأبوين؟) ويحيلها إلى غرباء.
• تنتفي إشكالية استئجار غرباء للعمل في بيت لا يخصهم، وما قد يكتنفه من لا-مبالاة أو إيذاء بإهمال أو تعمد. والأغراب يغيبون عن أُسَرهم كثيرًا، وهذه أيضًا مشكلة.
• تحق متطلبات أفراد الجماعة بالجملة وباختصار الوقت والجهد، بدلاً عن انشغال كل فرد في متطلبات أُسرة من شخصين أو ثلاثة؛ فيتوفّر لهم الوقت للتفكّر والتطوّر والإنتاج والإبداع والارتقاء.

هكذا تتحد حرية الفرد وكرامته مع قوة الجماعة. لذلك فإن الجماعات التي تعيش بهذا النظام.. لا تعاني من المشاكل بحجم ما لدى الآخرين، وتتمتع بقدر أكبر من السعادة. إذن، هذا النظام (الجماعة نواة المجتمع) أفضل لصحة الإنسان وعافيته على مستوى الفرد والمجتمع البشري عامّة.

إذا تحولنا إلى هذا النظام، لن تبقى أهمية للقرابة الجينية، وسيحل التمايز بالأعمال محل التمايز بالأنساب. هذا التوجه ليس بجديد، فقد دعى إليه بعض الأديان:
{.. لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمۡ وَإِخۡوَٰنَكُمۡ أَوۡلِيَآءَ إِنِ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡكُفۡرَ عَلَى ٱلۡإِيمَٰنِ} 9|23
يُنسب لعلي بن أبي طالب أنه قال [14]:

كن ابن من شئت واكتسب أدبًا • يُغْنيكَ محمودُهُ عَنِ النَسَبِ
فليس يغني الحسيبَ نسبتُهُ • بلا لسانٍ له ولا أدبِ
إن الفتى من يقول ها أنا ذا • ليسَ الفَتَى مَنْ يقولُ كان أبي

الختام

كما قال ستيفن واينبرغ، الحائز على جائزة نوبل في الفيزياء:
«الدين إهانة لكرامة الإنسان. به أو بدونه، سيكون لديك أناس طيبون يفعلون أشياء طيّبة وأشرار يفعلون أشياء شريرة. لكن أن يفعل الطيبون أشياء شريرة.. هذا يتطلب ديناً» [15]

المفاضلة هي في الحقيقة بين مرجعية العلم والمنطق ومبدأ النفع والضرر.. ومرجعية دين بشري أساسه الجهل والدجل. المفاضلة هي بين مبادئ أصيلة.. ومبادئ دخيلة. مهم جدًا التمييز بين هذين النوعين؛ فالأول موافق للطبيعة التي ننتمي إليها وتعتمد عليها حياتنا وسعادتنا، بينما الثاني غالبًا مخالف لها وسبب لشقائنا وتعاستنا.

وحتى لو وُجدت مرجعية دينية جيدة حكيمة، فهي ليست الخيار الأفضل، لأنها محصورة في علم وحكمة الأشخاص الذين أسسوا الدين في زمن سابق، بينما البشر يتطورون وتتراكم معارفهم وتتغير ظروفهم؛ وما كان يناسب الأجيال السابقة قد لا يناسب اللاحقة؛ وهذا يستدعي اللجوء إلى العلماء والحكماء المعاصرين، الذين يستفيدون من الخبرات التراكمية المتاحة ويمزجونها بخبراتهم ومعطيات زمانهم، فينتجون للناس ما يناسب أحوالهم وحاجاتهم.

الإنسان هو مصدر الأديان وهو مصدر الأخلاق. إذن، ما علينا إلا تنشيط ضمائرنا، ونشر ثقافة الحياة والمحبة والسلام، واتخاذ من نحترمهم من حكماء وعلماء وأدباء.. مستشارين لنا، والتوافق على نظام علماني أساسه العلم والمنطق ومبدأ النفع والضرر، ينظّم معاملات الناس والحقوق والواجبات، وتعديله وتطويره ليواكب المستجدات العلمية والعملية.



المرجعية الخلُقية المثلى.. هي الضمير النشط، والعقل الجمعي؛ أي ما نتوصل إليه من خلال النقاشات المفتوحة للأمور في ميزان المفهوم الشامل للنفع والضرر، وفي ضوء العلوم الإنسانية.. بعد ضمان حرية التعبير والاعتقاد للجميع.

الأديان تفرّقنا.. والإنسانية تجمعنا.

من أجمل ما في الإنسانِ
مشاركته في الإحسانِ

يتعاون فيه الجنسانِ

لا أنساك ولا تنساني

[^][1] السلسلة الصحيحة للألباني 45

[^][2] Wikipedia – Baron d'Holbach

[^][3] صحيح مسلم 2553

[^][4] Einstein A. Religion and science. N Y Times Mag. 1930:1–4

[^][5] معجم الرائد

[^][6] معجم الغني

[^][7] معجم اللغة العربية المعاصر

[^][8] Wikipedia – Conscience

[^][9] صحيح البخاري 3332، 7454، صحيح مسلم 2643، صحيح أبي داود 4708، صحيح الترمذي 2137، صحيح ابن حبان 6174، صحيح ابن ماجه 61، مسند أحمد 3924

[^][10] صحيح البخاري 6032، 6131، صحيح مسلم 2591، صحيح ابن حبان 5696، صحيح أبي داود 4791، صحيح الترمذي 1996، مسند أحمد 24106

[^][11] صحيح ابن حبان 410، صحيح ابن ماجه 1869، سنن أبي داود 3530، مسند أحمد 6902

[^][12] Wikipedia – Patriarchy

[^][13] Wilhelm Reich, The Discovery of the Orgone, 1973, v1 (The Function Of The Orgasm) p7-18

[^][14] كن ابن من شئت واكتسب أدبا – ويكي مصدر

[^][15] Steven Weinberg – Wikiquote.org

^ ^ ^ ^

22. كأس نبيذ .. صحي لذيذ

يزعم بعض المسلمين أن دينهم إنما حرّم الخمر لأنها ضارة، وأنا أزعم أنه حرمها لغرض جاهزية الرجال ويقظتهم للغزو والاستحواذ على البلاد والغنائم والنساء.

ضرر الخمر إنما يكون بالإفراط فيها -مثل غيرها-، أما تناولها باعتدال.. فهو نافع للصحة.

حجة المنع والرد عليها

في أحد نقاشات منتدى الشبكة الليبرالية الحرة.. احتج أحدهم بدراسة من نوع التحليل البعدي استنتجت أن «المستوى الآمن للكحول هو صفر»، نُشرت في مجلة The Lancet في أغسطس 2018، [1] واحتج كذلك بأن جمعية السرطان الأمريكية في يونيو 2020 أرشدت بأنه «من الأفضل عدم شرب الكحول».

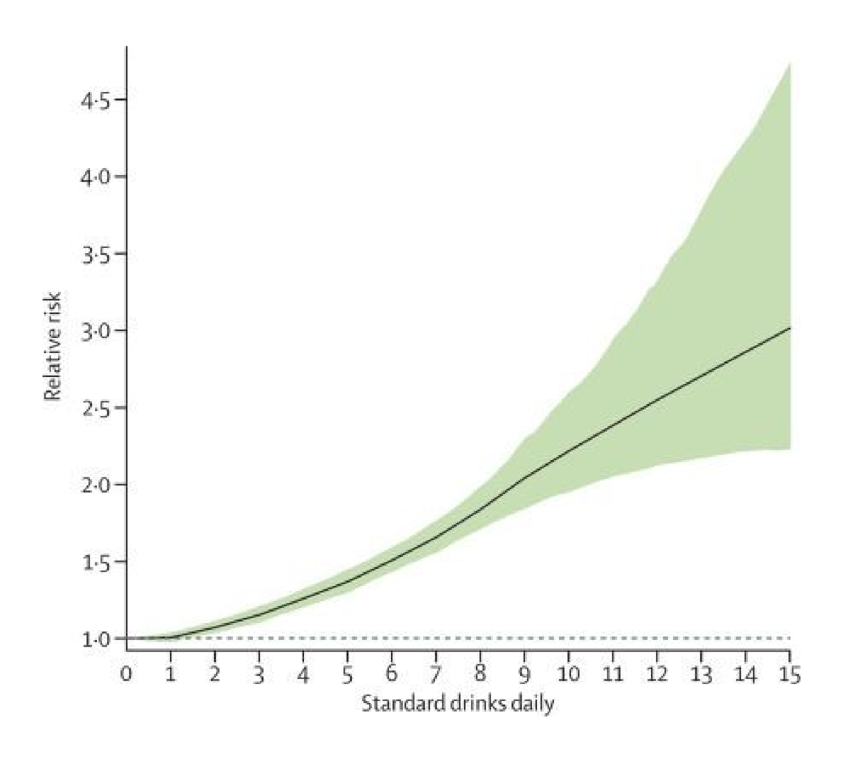
الدراسة المذكورة هي مجرد بحث تحليلي لدراسات سابقة، وفيها عيوب منهجية، وبزعمها أن «المستوى الآمن للكحول هو صفر» تنتطح لدراسات عديدة قوية. وباعتراف الدراسة نفسها.. هي تعارض أكثر المراجع الطبية وإرشاداتها:

»يتعارض هذا المستوى مع معظم الإرشادات الصحية، التي تتبنى فوائد صحية مرتبطة بتناول ما يصل إلى مشروبين يوميًا.«

»This level is in conflict with most health guidelines, which espouse health benefits associated with consuming up to two drinks per day.»

وهي يعيبها التعميم في شأن صحة الناس التي تتأثر بعوامل كثيرة. فهي -مثلاً- لا تحتسب تأثير التدخين الذي يتميز به من يشربون الكحول أكثر من غيرهم؛ وهي لا تميز بين من اعتاد الشرب المنتظم المعتدل ومن اعتاد الشرب المتقطع المفرط، ولا تميز بين أنواع المشروبات الكحولية. شتان بين البيرة والكحول المقطر وبين النبيذ الأحمر. والدراسات في هذا الشأن يعيبها أن الاستهلاك يُقاس عادةً من خلال عادات الشرب المبلغ عنها ذاتيًا، فتكون

البيانات عرضة للتذكر المتحيز. مثلاً، الذين يكثرون الشرب تزيد لديهم احتمالية الإبلاغ المنقوص عن استهلاكهم، أو نسيانه، فيُحتسب ضررهم على الاستهلاك المعتدل.
الرسم البياني في الدراسة المذكورة يُظهر أن الخطر لا يبدأ بالارتفاع إلا بتجاوز عدد كأس واحد يوميًا (وليس صفر):



موقع متخصص في أبحاث الكحول علّق على الدراسة بما يلي [2]:
«بدمج البيانات من مجموعات سكانية متباينة على نطاق واسع في تحليل واحد، يجعل المحققون من المستحيل النظر في التأثيرات القوية للعوامل الاجتماعية والثقافية للسكان الأفراد في تعديل تأثيرات الكحول على الصحة. مثلاً، من خلال دمج البيانات من البلدان التي تعتبر فيها أمراض القلب والسكتة الدماغية من الأسباب الثانوية للموت (حيث زيادة بنسبة 10% في الموتات الناجمة عن الكحول) مع بيانات من بلدان صناعية غربية حيث هذه الأمراض هي الأسباب الرئيسة للموت (حيث انخفاض بنسبة 10% في الموتات الإجمالية عن الكحول)، سينتهي بك الأمر إلى نسبة 0% في تأثير الكحول على معدلات الموت. مثل هذا التقدير لا يوفر معلومات ذات صلة بأي من البلدان. في الواقع، هو لا ينطبق على أحد.»
«نحن نعلم مسبقًا أن المستويات العالية من الشرب تؤدي إلى مشاكل صحية. ما نفضله هو تقديم المخاطر على مستويات الشرب العادية في مجموعات سكانية مختلفة، من صفر حتى 2 أو 3 مشروب في اليوم؛ هذه هي مستويات الاستهلاك التي ستكون البيانات مفيدة لها. لا يمكن تقييم المعلومات التفصيلية حول هذا المستوى من الشرب (مثلاً، الاختلافات في النتيجة بين عدم الشرب ومشروب واحد في اليوم) من البيانات المقدمة في هذه التحليلات. وفي هذه الورقة البحثية، أدرج المؤلفون استهلاك ما يصل إلى 0.8 مشروب يوميًا في فئة «صفر».

0.8 مشروب/يوم قريب من المستوى الذي يعتبر «معتدل» في العديد من الإرشادات، وهذا يسبب مشكلة في استخدام بياناتهم للبحث عن أي فوائد محتملة للشرب الخفيف. لا أحد ينصح الناس بشرب المزيد، وإذا تبعنا نصيحة هؤلاء المؤلفين بالامتناع تمامًا، فسيمتنع عن الشرب المعتدلون الذين ثبت أنهم يتمتعون بصحة أفضل من الممتنعين.» «هنالك بعض التوترات بين النصيحة التي تهدف إلى الحد من انتشار سوء الاستخدام فقط والنصيحة التي تأخذ أيضًا بالأدلة على الآثار الصحية المفيدة للاستهلاك المعتدل.»

صحيفة نيويورك تايمز نشرت مقالة ناقدة للدراسة، كتبها آرون إي كارول، طبيب وأستاذ جامعي، بيّنت أن استنتاجها بأن الأفضل للصحة الامتناع عن الشرب استنتاج خاطئ [3]:
»يمكن أن تكون بيانات الرصد المتعدد مشوّشة جدًا، بمعنى أن العوامل غير المقاسة قد تكون السبب الفعلي للضرر. ربما الذين يشربون يدخنون أيضًا. ربما يكون الذين يشربون أشد فقرًا أيضًا (لديهم سوء تغذية). ربما تكون هناك اختلافات جينية أو صحية أو عوامل أخرى قد تكون السبب الحقيقي. هنالك تقنيات لتحليل بيانات الملاحظة بطريقة أكثر سببية، لكن لا يمكن استخدام أي منها هنا، لأن هذا التحليل جمع دراسات سابقة لم تستخدمها.»
»مستوى الخطر لمن يتناولون كأسًا يوميًا لا يُذكر. 4 فقط من كل 100,000 منهم قد يعانون مشكلة صحية بسبب الشرب مقارنة بالذين لا يشربون، وفقًا لهذه الدراسة.»
»بالنسبة لأمراض السكري والقلب -مثلاً- يخفض الخطر في الواقع مع الشرب المعتدل. يجادل المؤلفون بأن هذه النتيجة تجاوزتها أخطار كالسرطان والسل، التي ترتفع. لكن بالنسبة للعديد من الأفراد، خطر الإصابة بأمراض السكري والقلب أعلى بكثير من خطر الإصابة بالسرطان والسل.»

أما إرشاد جمعية السرطان «من الأفضل عدم شرب الكحول» فهو من الاحتياط المتشدد (باب سد الذرائع). وقد بني على نفس الدراسة الشاذة المذكورة أعلاه. نجد أن إرشادات الجمعية في قسم استهلاك الكحول تتحدث عن الخطر في كثرة الشرب أو بدون تحديد للكمية، وفي التدخين المصاحب له، ثم تختم بذكر تلك الدراسة:
»مؤخرًا وجد تقرير من دراسة العبء العالمي للأمراض أن عدم تناول مشروب عادي يوميًا يقلل من الخطر الكلي على الصحة.»

».. recently a report from the Global Burden of Disease Study found that consuming zero standard drinks daily minimizes the overall risk to health.»

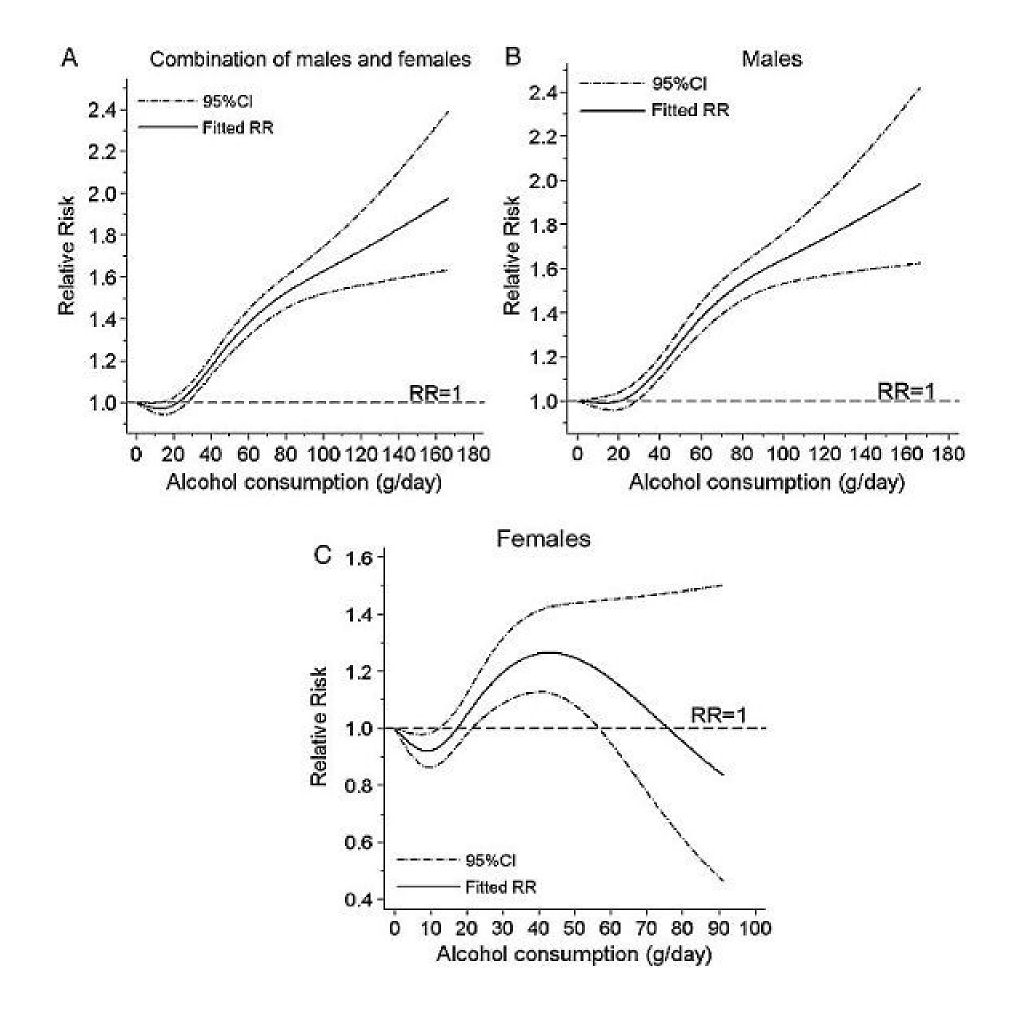
صحيفة نيويورك تايمز نشرت مقالة بهذا الشأن من نفس الكاتب. [4] هذه مقتبسات منها:
«المرأة البالغة من العمر 40 عامًا معرضة لخطر الإصابة بسرطان الثدي بنسبة 1.45%. قد يجادل هذا الإعلان بأنها إذا كانت تشرب الخمر، فإن هذا الخطر سيصبح 1.51%. هذه زيادة بنسبة 0.06%. باستخدام ما يُعرف

بالرقم المطلوب للأذى، يفسر ذلك بأنه إذا أصبحت 1667 امرأة تبلغ من العمر 40 عامًا من شاربات الخمر، فقد تصاب امرأة إضافية واحدة بسرطان الثدي. أما الـ 1666 المتبقية فلن ترى أي فرق.»
»نظر التحليل التلوي الكبير الذي استند إليه هذا الإعلان في 23 نوعًا من السرطان فيما يتعلق باستهلاك الكحول. ووجد علاقة ضارة بين ثلاثة منها والشرب الخفيف. لكنه وجد أيضًا علاقات وقائية -ما يعني انخفاض الخطر- بين ستة منها وشرب الخمر.» «تتيح لك الانتقائية الوصول إلى استنتاجات مختلفة.»
»من الانتقائية كذلك النظر في السرطان بمعزل عن باقي الأمراض الخطرة التي يقي منها الشرب المعتدل.»
«تظهر التجارب ذات الشواهد أن الشرب الخفيف إلى المعتدل يؤدي إلى تقليل عوامل الخطر لأمراض القلب والسكري والسكتة الدماغية. قد تكون عوامل الحماية هذه أكبر من جميع عوامل الخطر السلبية الأخرى (حتى السرطان) التي قد تترافق مع الشرب الخفيف أو المعتدل. يموت الناس في الولايات المتحدة بأمراض القلب أكثر من السرطان.»
«التحذيرات الرهيبة لها عواقب. كثير من الناس الآن يرفعون أيديهم من الإحباط أو السخط من هذه الأخبار، إذ يبدو كما لو أن كل شيء يسبب السرطان.» «الأخطار المطلقة للشرب الخفيف والمعتدل قليلة، بينما يستمتع الكثير من الناس بالكوكتيل العرضي أو كأس النبيذ. حتى في حالة وجود خطر -والأخطار الإجمالية جدلية- من المعقول تمامًا أن نقرر أن جودة الحياة المكتسبة من ذلك المشروب أكبر من الأضرار المحتملة التي قد تترتب عليها. هذا صحيح بالنسبة للعديد من الأطعمة، وليس فقط الكحول.»
»يجب أن يكون لدينا فهم أفضل للمخاطر حتى لا يتسبب كل إعلان جديد في ذعر: ضع في اعتبارك المخاطر المطلقة. إن زيادة الخطر بنسبة 30% تبدو مخيفة، لكن الزيادة من 1% إلى 1.3% ليست كذلك، بالرغم من أن هذه هي نفس الأشياء.»

في المقابل، صدرت في ديسمبر 2020.. الإرشادات الغذائية الأمريكية الرسمية التي تصدر مرة كل 5 سنين. [5] جاء فيها:

»**يمكن للبالغين الذين هم في سن الشرب القانوني أن يختاروا عدم الشرب أو الشرب باعتدال،** بالحد منه إلى مشروبين أو أقل في اليوم للرجال ومشروب واحد أو أقل في اليوم للنساء عند تناول الكحول. شرب الأقل أفضل للصحة من شرب المزيد. بعض البالغين يجب ألا يشربوا الكحول، مثل النساء الحوامل.» «يُعرَّف ما يعادل مشروب كحولي بأنه يحتوي على 14 غرامًا (0.6 أونصة سائلة) من الكحول النقي.»

دراسات عديدة نُشرت في مجلات علمية محترمة موثوق بها.. تُثبت وتؤكد أن شرب الكحول، خاصة النبيذ الأحمر، باعتدال.. أفضل للصحة من الامتناع عنه أو الإسراف فيه. أمثلة:



دراسات عن الكحول

• دراسة نشرتها جامعة أكسفورد نيابة عن الجمعية الأوروبية لطب الأورام تقول:

اقترحت الدراسات الوبائية وجود علاقة غير متسقة بين شرب الكحول وخطر جميع الموتات الناجمة عن السرطان. لا يوجد إجماع على المستوى «الآمن» لاستهلاك الكحول في عموم السكان.

تم تضمين 18 دراسة تبعية مستقبلية. ولوحظ ما مجموعه 48,178 موتة من جميع أنواع السرطان.

يُظهر هذا التحليل التلوي علاقة على شكل حرف J بين استهلاك الكحول وكل موتات السرطان (في الصورة أعلاه). هذا يؤكد أن للشرب المفرط أخطارًا صحية (≤50 غرام\يوم) وأن للشرب الخفيف فوائد صحية (≥12 غرام\يوم).

Alcohol drinking and all cancer mortality

• لفحص العلاقة بين استهلاك الكحول وخطر الموت من جميع الأسباب والسرطان والأمراض القلبية لدى البالغين في الولايات المتحدة، تم الحصول على البيانات من خلال ربط 13 جولة من استطلاعات الرأي الصحية الوطنية (1997 إلى 2009) بسجلات مؤشر الموتات الوطني حتى 2011. تم تضمين ما مجموعه 333,247 مشاركًا فوق سن 18 عامًا.

النتيجة: بالمقارنة مع الممتنعين مدى الحياة، كان لمستهلكي الكحول بإقلال أو اعتدال، خطر الموت أقل، لجميع

الأسباب وأمراض القلب والشرايين (تأثير وقائي). في المقابل، كان هناك زيادة كبيرة في خطر الموت لجميع الأسباب عند البالغين الذين يشربون الكحول بكثرة. كما ارتبط الشرب بإفراط ≤ 1 يوم\أسبوع بزيادة خطر الموت لجميع الأسباب والسرطان.

Relationship of Alcohol Consumption to All-Cause, Cardiovascular, and Cancer-Related Mortality in U.S. Adults

• يزيد خطر السكتة الدماغية النزفية بشكل رتيب بزيادة استهلاك الكحول، في حين أظهرت السكتة الإقفارية علاقة منحنية، مع تأثير وقائي للكحول للاستهلاك المنخفض إلى المتوسط.
يبدو أن الاستهلاك المعتدل يقي من السكتة الإقفارية، لكنه ضار قليلاً أو في أفضل الأحوال محايد للسكتة النزفية.

Alcohol consumption and the risk of morbidity and mortality for different stroke types

• التغييرات المستحبة في العديد من المؤشرات الحيوية تمنح تأييدًا غير مباشر في فيزيولوجيا المرض لوجود تأثير وقائي لاستخدام الكحول المعتدل على أمراض القلب التاجية.

Effect of alcohol consumption on biological markers associated with risk of coronary heart disease

• من بين 38،077 من المهنيين الصحيين الذكور الذين كانوا خالين من أمراض القلب والأوعية الدموية والسرطان، قمنا بتقييم استهلاك البيرة والنبيذ الأحمر والنبيذ الأبيض والمشروبات الكحولية بشكل فردي كل أربع سنوات باستخدام استبيانات تم التحقق من صحتها.. من 1986 إلى 1998.
بالمقارنة مع الذين تناولوا الكحول أقل من مرة في الأسبوع، استهلاك الكحول على الأقل 3-4 أيام في الأسبوع كان مرتبطًا عكسيًا مع خطر احتشاء عضلة القلب. (قلّ الخطر) لم يغير نوع المشروب ولا الحصة المستهلكة مع الوجبات هذا الارتباط بشكل كبير. الذين زادوا من استهلاكهم للكحول بمقدار معتدل أثناء المتابعة قل لديهم الخطر.

Roles of Drinking Pattern and Type of Alcohol Consumed in Coronary Heart Disease in Men

• حققت هذه الدراسة في العلاقة بين استهلاك الكحول والوظيفة المعرفية في دراسة مجموعات في المملكة المتحدة (4272 رجلًا، 1761 امرأة) بمتوسط متابعة 11 عامًا.
بالنسبة للأشخاص في منتصف العمر، ارتبطت زيادة مستويات استهلاك الكحول بوظيفة أفضل فيما يتعلق ببعض جوانب الإدراك (الذاكرة قصيرة المدى، الاستدلال الاستقرائي، الطلاقة الصوتية، الطلاقة الدلالية، والقدرة على التعرف على الكلمات وفهمها).

Alcohol Consumption and Cognitive Function in the Whitehall II Study

• أظهرت العديد من الدراسات وجود علاقة على شكل حرف J أو U بين تناول الكحول والموتات بكل أسباب الموت. معدل الموتات هو الأدنى بين من يشربون الكحول بكميات قليلة إلى معتدلة، مع ارتفاع خطر الموت من أمراض القلب التاجية بين من لا يشربون، وخطر الموت من السرطان أعلى بين من يشربون بإفراط. درسنا ما إذا كانت التغييرات في تناول الكحول لدى الأفراد تؤدي إلى تغييرات مقابلة في معدل الموتات. في دراسة طولية على 6644 رجلاً و 8010 امرأة أعمارهم بين 25 و 98 عامًا، والذين حضروا على الأقل مسحين صحيين بفاصل 5 سنوات بينهما، تناولنا خطر الموت بعد تغييرات في تناول الكحول.
النتيجة: الأشخاص الذين لديهم أنماط مستقرة من تناول الكحول الخفيف والمتوسط لديهم أدنى معدل موتات لكل الأسباب. تبعت التغييرات الفردية في تناول الكحول تغييرات مقابلة في معدل الموتات.

Changes in Alcohol Intake and Mortality

• من بين 490,000 رجل وامرأة (متوسط العمر: 56 عامًا؛ المدى: 30-104) الذين أبلغوا عن تعاطيهم للكحول والتبغ في عام 1982، مات 46000 خلال 9 أعوام من المتابعة. قمنا بمقارنة معدلات الموت الخاصة بسبب ما ومعدلات الموت من كل الأسباب عبر فئات الاستهلاك الأساسي للكحول، والتعديل لاحتساب عوامل الخطر الأخرى، وعادات الشرب والتدخين ذات الصلة بالاحتمال التراكمي للموت بين سن 35 و 69 عامًا.
النتيجة: أدى استهلاك الكحول المعتدل إلى انخفاض طفيف في معدل الموتات الإجمالي. اعتمدت الفائدة جزئيًا على العمر والخلفية للأخطار القلبية الوعائية، وكانت أقل بكثير من الزيادة الكبيرة في الأخطار الناتجة عن التبغ.

Alcohol Consumption and Mortality among Middle-Aged and Elderly U.S. Adults

• تشير الدلائل المتزايدة في علم الأوبئة إلى أن الاستهلاك المعتدل للكحول يرتبط بانخفاض معدل الموتات الإجمالي بين البالغين في منتصف العمر وكبار السن. قمنا بفحص العلاقة بين استهلاك الكحول وجميع أسباب الموتات على مدى 20 عامًا في 1824 من كبار السن (55-65)، والتحكم في مجموعة واسعة من عوامل الخلط المحتملة المرتبطة بالامتناع عن الشرب.
النتيجة: حتى بعد أخذ المتغيرات المشتركة التقليدية وغير التقليدية في الاعتبار، استمر استهلاك الكحول المعتدل في إظهار تأثير مفيد. فكان لدى الممتنعين والمسرفين زيادة في معدلات الموت بنسبة 51% و 45% على التوالي، بالمقارنة مع الذين يشربون الكحول بشكل معتدل.

Late-Life Alcohol Consumption and 20-Year Mortality

• أجرينا دراسة مجموعات متتبعة على 22,071 رجلاً ضمن دراسة صحة الأطباء، أعمارهم بين 40 و 84 عامًا، لم يكن لديهم تاريخ من الإصابة باحتشاء عضلة القلب أو السكتة الدماغية أو النوبة الإقفارية العابرة أو السرطان.

النتيجة: يختلف خطر الموت من كل الأسباب بحسب مستوى استهلاك الكحول. في هذه المجموعة التي يبدو أنها تتمتع بصحة جيدة، كان للذين تناولوا 2 إلى 6 مشروبات أسبوعياً سجل الموتات الأفضل، وللذين تناولوا مشروبين أو أكثر في اليوم سجل الموتات الأسوأ. قد يعني الفرق بين استهلاك كميات صغيرة وكبيرة من الكحول الفرق بين الوقاية من والتسبب في موتات زائدة.

Prospective Study of Moderate Alcohol Consumption and Mortality in US Male Physicians

• هذه دراسة متتبعة للموتات فيما يتعلق بعادات شرب الكحول في عام 1978، مع البحث عن أسباب الموت على مدى السنوات الـ 13 التالية (حتى 1991) لـ 12,321 طبيباً بريطانياً.

النتيجة: بين البريطانيين في منتصف العمر أو أكبر، يرتبط استهلاك متوسط وحدة أو وحدتين من الكحول في اليوم بانخفاض كبير في الموتات لكل الأسباب مقارنة بعدم تناول الكحول، أو استهلاك كميات كبيرة. فوق 3 وحدات تقريباً (وحدتان أمريكيتان) من الكحول يومياً، ترتبط مستويات الاستهلاك الأعلى تدريجياً بزيادة الموتات لكل الأسباب تدريجياً.

Mortality in relation to consumption of alcohol

دراسات عن النبيذ

• لاحظت العديد من الدراسات الوبائية أن تناول الكحول بشكل معتدل بما في ذلك النبيذ يرتبط بانخفاض خطر الإصابة بأمراض القلب والشرايين. ومع ذلك، وفقًا للعديد من المؤلفين، فإن الاستهلاك المعتدل للنبيذ أنفع من تناول البيرة أو الكحول المقطر. أظهرت بعض الدراسات أن الاستهلاك المعتدل للنبيذ يمكن أن يقلل الموتات الناجمة عن الأمراض القلبية الوعائية وأسباب أخرى. تمت دراسة الارتباط بين شرب النبيذ ومخاطر الموت الإجمالية (بكل الأسباب مجتمعة). تظهر نتائج عدة دراسات سكانية متتبعة أن تناول البيرة والكحول المقطر من الامتناع إلى التناول الخفيف إلى المتوسط يومياً لم يؤثر على معدل الموتات، بينما يبدو أن للنبيذ تأثير مفيد على جميع أسباب الموتات. أفاد عدة مؤلفين بأنه في الأشخاص الذين يتناولون النبيذ باعتدال، يكون خطر الموت من كل الأسباب أقل بنسبة 20-30 ٪ من الممتنعين.

يبدو أن استهلاك النبيذ المعتدل له تأثير مفيد على عدة أنواع من السرطان وعلى إجمالي الموتات.

Overview of epidemiological studies on wine, health and mortality

• يقلل تناول الكحول الخفيف إلى المعتدل من خطر الموت بأمراض القلب والشرايين. تم التحقيق في تأثير تناول الكحول على المدى الطويل والأنواع المستهلكة على معدل موتات القلب والشرايين ومتوسط العمر المتوقع في سن 50 في مجموعة من 1373 رجلاً ولدوا بين عامي 1900 و 1920 وتم فحصهم مرارًا بين عامي 1960 و

2000. نسب المخاطر لإجمالي تناول الكحول والكحول من النبيذ والبيرة والكحول المقطر تم تحصيلها من نماذج معتمدة على الوقت.
النتيجة: كان تناول الكحول الخفيف على المدى الطويل، ≥20 جم في اليوم، مقارنة بعدم تناول الكحول، مرتبطًا بشدة وعكسيًا مع الموتات من الأوعية الدموية الدماغية (0.43) وإجمالي أمراض القلب والشرايين (0.70) وجميع الأسباب (0.75). (قلّت الموتات.) وكان استهلاك النبيذ على المدى الطويل، في المتوسط، أقل من نصف كوب في اليوم مرتبطًا بقوة وعكسيًا مع الموتات الناجمة عن أمراض القلب التاجية (0.61) وإجمالي أمراض القلب والشرايين (0.68) وجميع الأسباب (0.73). (قلّت الموتات.) لا يمكن تفسير هذه النتائج بالاختلافات في الوضع الاجتماعي والاقتصادي. كان متوسط العمر المتوقع أطول بحوالي 5 سنوات لدى الذين تناولوا النبيذ مقارنة بمن لا يتناولون مشروبات كحولية.

Long-term wine consumption is related to cardiovascular mortality and life expectancy independently of moderate alcohol intake

• لدراسة تأثير استهلاك النبيذ والبيرة والكحول المقطر على إجمالي الموتات والموتات من أمراض القلب والشرايين، تم تقييم استهلاكها في 1828 فردًا بواسطة طبيب نفسي، أعمارهم 18-65 سنة. تم تسجيل الموتات بعد 22 سنة.
النتيجة: يبدو أن تناول كميات منخفضة إلى معتدلة من النبيذ، على عكس استهلاك الكحول المقطر والبيرة، يرتبط بانخفاض معدل الموتات الإجمالي وتقليل الموتات من أمراض القلب والشرايين.

A moderate intake of wine is associated with reduced total mortality and reduced mortality from cardiovascular disease

• تم جمع بيانات ديموغرافية وتاريخية من 128،934 بالغًا خضعوا للتقييمات الصحية في 1978-1985 لتحديد تقديرات الخطر النسبي وفقًا لإجمالي تناول الكحول وعدد أيام شرب النبيذ أو أنواع النبيذ أو البيرة أو الكحول المقطر في الأسبوع. كانت علاقة الكحول-الموتات على شكل حرف J مستقرة لمدة 20 عامًا.
النتيجة: بشكل مستقل، كان تكرار شرب النبيذ مرتبطًا بانخفاض خطر الموت، ويرجع ذلك بقَدر كبير إلى انخفاض خطر الإصابة بمرض الشريان التاجي. ارتبطت تخفيضات المخاطر المماثلة بالنبيذ الأحمر والنبيذ الأبيض وأنواع أخرى من النبيذ وتوليفات من أنواع النبيذ. الكثير من المخاطر المنخفضة المرتبطة بالشرب الخفيف ارتبط بشرب النبيذ.

Wine, Liquor, Beer, and Mortality

• هذه الدراسة فحصت العلاقة بين تناول أنواع مختلفة من المشروبات الكحولية وخطر الموت، بمتابعة 10-12 سنة للموتات في 6051 رجلاً و 7234 امرأة تتراوح أعمارهم بين 30-70 عامًا.
النتيجة: انخفض خطر الموت بشكل مطرد مع زيادة تناول النبيذ، من الخطر النسبي 1.00 للأشخاص الذين لم يشربوه مطلقًا إلى 0.51 لأولئك الذين شربوا 3-5 كؤوس يوميًا. لم يرتبط تناول البيرة ولا الكحول المقطر بتقليل الخطر. أما المشروبات الروحية، فتناولها زاد الخطر النسبي للموت من 1.00 لمن لم يشربوا قط إلى 1.34 لمن يتناولون 3-5 مشروبات في اليوم. يبدو أن تأثيرات الأنواع الثلاثة من المشروبات الكحولية مستقلة بعضها عن بعض.

Mortality associated with moderate intakes of wine, beer, or spirits

• قمنا بتجميع دراسات المجموعات التي تم فيها تقييم تناول البيرة والنبيذ والمشروبات الروحية وحالة التدخين والمستوى التعليمي والنشاط البدني ومؤشر كتلة الجسم، بالمقارنة مع المستويات العادية، شملت 13064 رجلاً و 11459 امرأة تتراوح أعمارهم بين 20 و 98 عامًا.
النتيجة: لتناول النبيذ تأثير مفيد لخفض الموتات من كل الأسباب، يضاف إلى التأثير المفيد الناتج عن الكحول. قد يُعزى هذا التأثير إلى انخفاض الموتات الناجمة عن أمراض القلب التاجية والسرطان.

Type of Alcohol Consumed and Mortality from All Causes, Coronary Heart Disease, and Cancer

دراسات عن النبيذ الأحمر

• ثبت أن شرب النبيذ الأحمر باعتدال (كأس في اليوم) له تأثيرات نافعة متعددة لصحة الجسم.
يتمتع أهل فرنسا بمعدل منخفض لموتات أمراض القلب والشرايين مقارنة بغيرهم، بالرغم من كثرة الدهون المشبعة في طعامهم. يُعزى هذا إلى استهلاك النبيذ الأحمر.
حققت العديد من الدراسات في الارتباطات البيولوجية والسريرية الرائعة والإيجابية للغاية لاستهلاك النبيذ الأحمر، فتوصلت إلى تفسيرات لها، منها التأثيرات المجمعة أو المضافة أو التآزرية للكحول ومكونات النبيذ الأخرى على تصلب الشرايين والتخثر وانحلال الفبرين.

Moderate Red Wine Consumption and Cardiovascular Disease Risk: Beyond the «French Paradox»

• قام باحثون متعاونون من 21 دولة بدراسة أكثر من 7 ملايين رجل وامرأة من 37 دولة أعمارهم بين 35 و 64 عامًا خلال فترة 10 أعوام، فلاحظوا انخفاض معدل الموتات من أمراض القلب التاجية في فرنسا مقارنة بالمملكة المتحدة والولايات المتحدة، بالرغم من التشابه في استهلاك الدهون المشبعة وتركيزات الكوليسترول في الدم. وكذلك عوامل الخطر الأخرى مثل ضغط الدم ومؤشر كتلة الجسم وتدخين السجائر كانت متشابهة بين

البلدان الصناعية.

في عام 1992، وضع رينود وزملاؤه مصطلح «المفارقة الفرنسية» لإبراز ذلك الانخفاض في معدل موتات الفرنسيين بالرغم من ارتفاع كمية الدهون المشبعة في نظامهم الغذائي. وقد أرجعوا ذلك إلى استهلاك النبيذ الأحمر، بناءً على نتائج مشروع نظام مراقبة أمراض الأوعية الدموية التابع لمنظمة الصحة العالمية.

متوسط استهلاك فرنسا للنبيذ 67 لترًا للفرد سنويًا، وهذا أعلى بكثير من المملكة المتحدة والولايات المتحدة، حيث الاستهلاك حوالي 12 و 5 لتر للفرد سنويًا على التوالي.

The cardiovascular protective effect of red wine

• أُلزمت مجموعات من مرضى السكري عشوائياً بتناول 150 مل من المياه المعدنية أو النبيذ الأبيض أو النبيذ الأحمر مع العشاء لمدة عامين. تم توفير النبيذ والمياه. اتبعت جميع المجموعات حمية البحر الأبيض المتوسط دون تقييد للسعرات.

هذه التجربة المنضبطة العشوائية طويلة الأمد تدل على أن بدء تناول النبيذ بشكل معتدل، وخاصة النبيذ الأحمر، بين مرضى السكري الذين يتم التحكم فيهم جيدًا كجزء من نظام غذائي صحي، يبدو آمنًا ويقلل من مخاطر استقلاب القلب. تشير التفاعلات الجينية إلى أن الإيثانول يلعب دورًا مهمًا في استقلاب الجلوكوز، وأن تأثيرات النبيذ الأحمر تشمل أيضًا مكونات غير كحولية.

Effects of Initiating Moderate Alcohol Intake on Cardiometabolic Risk in Adults With Type 2 Diabetes

• بالرغم من عدم نفي الاستثناء، فإن الأدلة الحالية من الدراسات الوبائية والتجريبية تشير إلى وجود تأثير وقائي ضد تطور الأمراض القلبية الوعائية مع الاستهلاك المعتدل للنبيذ الأحمر. لا يزال يتعين تحديد الطبيعة الدقيقة للتأثير الوقائي؛ ومع ذلك، فإن الآليات التي تشمل أكسدة الكوليسترول الضار والتعديلات في متغيرات مرقئ يتزايد الاعتراف بها كعوامل مساعدة. المكونات الرئيسة للنبيذ الأحمر التي يعتقد أنها مسؤولة عن التأثيرات الوقائية تشمل مركّبات الفينول ومحتوى الكحول.

Alcohol, Red Wine and Cardiovascular Disease

• للتقييم المستقبلي للمخاطر الصحية لشرب النبيذ والبيرة لدى الرجال في منتصف العمر في منطقة نانسي بفرنسا، قمنا بدراسة 36،250 رجلًا يتمتعون بصحة جيدة وخضعوا لتقييم صحي شامل في مركز للطب الوقائي بين عامي 1978 و 1983. سجلنا أسباب الموتات لـ 3617 شخصًا خلال 18 عامًا من المتابعة.

النتيجة: ارتبط تناول النبيذ اليومي المعتدل (22-32 جم من الكحول) بانخفاض خطر الموت بسبب الأمراض القلبية الوعائية (40٪)، والسرطان (22٪)، وأسباب أخرى (42٪)، وجميع الأسباب (33٪). كما ارتبط

تناول الكحول المعتدل من البيرة بانخفاض خطر الموت من الأمراض القلبية الوعائية لكن ليس من السرطان وجميع الأسباب، بالرغم من استهلاك بعض النبيذ في 86٪ من شاربي البيرة.

Wine, Beer, and Mortality in Middle-aged Men From Eastern France

• في دراسة مجموعات، تابعنا 18394 مشاركًا إسبانيًا حتى 12 عامًا. أعددنا سجل درجات يقيم جوانب من استهلاك الكحول لالتقاط التوافق مع نمط شرب الكحول التقليدي لحوض البحر الأبيض المتوسط، أعطى درجات عن تناول الكحول باعتدال، وتناول الكحول على مدار الأسبوع، وانخفاض استهلاك المشروبات الروحية، وتفضيل النبيذ، واستهلاك النبيذ الأحمر، والنبيذ المستهلك أثناء الوجبات وتجنب الإفراط في الشرب. خلال المتابعة، تم تحديد 206 حالة موت.

ارتبط التقيد الأفضل بنمط شرب الكحول الصحي العام بانخفاض معدل الموتات عند مقارنته بالامتناع أو الابتعاد عن هذا النمط. يتجاوز هذا الانخفاض الارتباط العكسي الذي يتم ملاحظته عادةً عند تناول الكحول بشكل معتدل. يمكن حتى لمن يشربون باعتدال الاستفادة من النصيحة لاتباع النمط التقليدي.

Mediterranean alcohol-drinking pattern and mortality

• بعد دراسة التجارب السريرية الحديثة المتاحة، من الواضح أنه ليس الغذاء الصحي فقط، إنما أيضًا الاستهلاك المعتدل للنبيذ، لهما صلة بالوقاية من السرطان. ترتبط الآليات البيولوجية للوقاية من الأورام باستهلاك مضادات الأكسدة والبوليفينول الموجودة في الفاكهة ومنتجاتها، مثل النبيذ، والخضروات. يوصى بتناول النبيذ باعتدال يوميًا، مع الطعام بشكل رئيس.

أظهرت الدراسات الوبائية أن 5-7 حصص من الفاكهة والخضروات الطازجة وكأسين من النبيذ يوميًا يمكن أن تؤدي إلى حياة أطول وأكثر صحة. يُعزى التأثير المفيد للنبيذ غالبًا إلى خصائصه المضادة للأكسدة للعدد الكبير والكمية الكبيرة من مركبات البوليفينول الموجودة في النبيذ الأحمر.

Contribution of Red Wine Consumption to Human Health Protection

• أهل جنوب غرب فرنسا و سردينيا يتميزون بشرب النبيذ الأحمر المنتج بطريقة تقليدية، ويتميزون عن غيرهم بصحة جيدة وأعمار مديدة.

Red wine procyanidins and vascular health

الختام

بناء على ما تقدم، لا يصح التعميم في هذا الأمر. الخمر تطيل العمر. كأس نبيذ صغير في اليوم.. ينفع ولا يضر. وصدقت العبارة التي تقال عند الشرب: «في صحتك!»

هذه مسألة فرعية لمبحثنا الرئيس.. أن مؤسسي الدِين بشر، لم يأتهم وحي من خارج الكوكب. إذا كانت بعض قراراتهم صائبة فهذا لا يغير شيئًا من هذه الحقيقة. تحريمهم للخمر لم يكن لأنها ضارة بالصحة، بل لغرض الانضباط العسكري، فالعمل على إقامة دولة والخطط الحربية وتنفيذها كان يتطلب اليقظة والانتباه، والحذر الدائم من المتربصين، وانضباط سلوك الأفراد ومنع التراخي (كما يبيّن القسم 17). أما بعد الموت، فلا داعي لكل ذلك، فاستغلوا حب الناس للخمر ورغبتهم بها في إغرائهم وترغيبهم بالإقدام على القتال والغزو لكي يشربوها في «الجنة» المزعومة الخيالية. بتصوير القرآن.. الخمر من مشروبات الجنّة:

{.. وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ ..} 47|15

يعني، المسلم المسكين يتعبّد في حياته ويطيع الأوامر والنواهي.. لكي يشربها بعد موته.

كانوا مجرد بشر، يؤخذ منهم ويُرد. دينهم ربما كان مناسبًا لهم ولزمانهم. أما الآن في القرن 21.. علينا إقامة دين جديد (مفاهيم وقوانين) في ضوء العلوم الحديثة والمعرفة التراكمية التي حظينا بها ولم يحظ بها أهل القرون الماضية.

حصيلة هذا البحث تشجعني على احتساء كأس نبيذ أحمر صغير مع العشاء كل يوم. «في صحتك!»



[1] Alcohol use and burden for 195 countries and territories, 1990–2016 – The Lancet

[2] Critique 219: A global overview of alcohol consumption and health – 3 September 2018 – Institute on Lifestyle & Health

[3] Study Causes Splash, but Here's Why You Should Stay Calm on Alcohol's Risks – The New York Times

[4] A Link Between Alcohol and Cancer? It's Not Nearly as Scary as It Seems – The New York Times

[5] Dietary Guidelines for Americans

^ ^ ^ ^

23. وجدنا عليه آباءنا .. هيّا لنقول هذا أنا

جاء توجّه الناس قديمًا إلى الأديان والتعبّد ضمن مرحلة من التطور البشري، كنتيجة للشعور بالضعف والعجز، وشيوع الاعتقاد بالحاجة إلى الاستعانة بكائن قدير، لمواجهة المخاوف ولطلب الدعم المادي والمعنوي ولضبط سلوك الأفراد والجموع. كان الدين طريقة لإدارة الحياة وتحمّل الصعاب والصبر على المصائب، تضمّنت التحفيز والتقوية بمعتقدات إيجابية، والتنفير والتخويف من أفعال مكروهة. الطريقة نفعت البعض ونجحت نسبيًا بمقاييس زمانها، لكنها مرتبطة بالجهل والبدائية، قائمة على الدجل والخرافة، حيث أن الناس لم يكونوا قد تمكنوا بعد من تحقيق اختراق باتجاه الاكتشاف والمعرفة. وبعد زمن طويل، بتطور العلم والوعي، ابتكر الناس طرقًا جديدة لإدارة شؤونهم، تنحو بهم إلى القوة والتمكّن والثراء والتقدم المادي والفكري.

كان السياسيون ورجال الدين وما زالوا.. يستغلّون الدين لتطويعنا وتعبيدنا وتجنيدنا لتنفيذ رغبات ذوي النفوذ، كأحد أقوى السبل لتطبيق سياسة الترغيب والترهيب (العصا والجزرة)، بتنصيب إله عليّ عظيم يخشاه الناس ويطمعون في كرمه، مثلما ترغّب الأم طفلها العنيد بلعبة أو حلوى أو شخصية طيبة (بابا نويل) وترهّبه من شخصية مرعبة (البعبع، النمنم، أمنا الغولة، أم السعف والليف). المشكلة في الأديان وليست في من يستغلّونها. لم يتحرر أهل أوروبا من تسلّط السياسيين إلا بتحررهم من الدين، ولم يخضع العرب للسياسيين إلا بخضوعهم للدين. لم يكن ما فعله مؤسسو الإسلام سوى عمل سياسي توسعي. وبانتقاد الأديان.. يرى الناس عيوبها، ويتخلّصوا منها وممن يستغلّونها.

هنالك دائمًا أناس يخططون ويعملون سرًا ويحيكون المؤامرات والدسائس، فتبدو نتائج ذلك خارقة للعادة وكأنها من كائن أقوى من البشر. لو لم يُعلَن أن القنبلة الذَرّية صناعة بشرية.. لظن الناس أن إلهًا غاضبًا أسقطها.

وقد أثبت التاريخ مرارًا قابلية البشر للاستعباد بهذه الطريقة (خوفًا وطمعًا). وكمثال قريب على ذلك، نستذكر قصة جهيمان.. حيث انتشرت شائعات بوجود شخص تحققت فيها صفات الإمام المهدي المنتظر، فأدى هذا إلى تجنيد مليشيا قاموا باحتلال الحرم المكي معتقدين أنهم مجاهدون يمكّنون لإمامة المهدي، وبدأ الناس بمبايعته في الحرم. ثم انتهت العملية بقتل العديد من الأشخاص من بينهم المهدي المزعوم. هذا «المهدي» هو أنموذج مصغّر للأنبياء والرسل المزعومين، خاصةً الذين بسطوا نفوذهم بالسيف والعنف. الفرق الوحيد هو أن الثورة العلمية والصناعية في القرن العشرين مكّنت الدول الحديثة من مكافحة ودحر أولئك المجاهدين أو الجهاديين، جهيمان، القاعدة، داعش وغيرهم.

احتجّ الرافضون لاتّباع دين محمد بأنهم يتمسكون بدين الآباء، فرد مؤلفو القرآن بسؤال استنكاري:
{وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ} 5|104

وقالوا أيضًا ردًا على خصومهم: {وَمَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا} 53|28

الآن نحن أحقّ منهم بإبداء هذا الاستنكار، فمعتقَد الإسلام هو ما وجدنا عليه آباءنا، وقد أضحت نوافذ العلم والمعرفة والفكر المتنوّر مفتوحة لنا، فأصبح لدينا أدلّة علمية وبراهين منطقية، بينما يتّبع المتديّنون الظنون المتوارثة.

لا بد لنا من الاختيار بين الدين والعلم.. بين الإيمان بالغيب والخرافات، والوعي ومعرفة الحقائق. إن العاطفة غاشمة، والعقل عقالها. نحن وآباؤنا وأسلافنا استعبدنا لكائن خرافي أمدًا طويلاً، ألم يأن لنا أن نتحرر من هذا الوهم؟

ليس اللوم على أهل القرون الماضية، فقد كانوا ضحايا الجهل، إنما اللوم على المتديّنين الجدد الذين يرون الأدلة والبراهين ويتجاهلونها أو يجحدونها، ويصرّون على الرجعية. كما في القول المأثور، الأحمق.. هو من يريد أن ينفعك فيضرك. ليست المشكلة مع أتباع الأديان، إنما مع كلّ أحمق لديه نزعة للعنف أو إيذاء الآخرين أو التسلّط عليهم لكي يفرض معتقده وشريعته عليهم. إنه لو تأمّل بعمق في قرارة نفسه لوجد أنه لا يعلم هل ذلك ينفع أم يضرّ.

إن كنت لا تدري فتلك مصيبة، وإن كنت تدري فالمصيبة أعظم. لا أحد يدافع عن الدين.. إلا الذي لا يدري أن هذا دين باطل، وهو ما يقتضي أن لديه مشكلة في عقله (جهل بالأدلة أو عجز عن فهمها)، أو الذي يدري، وهو ما يقتضي أن لديه مشكلة في ضميره (إصرار على الباطل).

إنّ من نصّب نفسه حارسًا للدين.. لا يدافع عن الدين كما يزعم أو يتوهم، بل هو يدافع عن كيان قائم على نظام الامتلاك، قام مؤسسو الدين بتدعيمه وترسيخه تلبيةً لأطماعهم هم وأتباعهم. من يدافع ويهاجم حبًا في الامتلاك.. آمل أن يصحو ضميره.. أن يُشفى من ضمور الضمير، ويتخلى عن ذلك.

ربما بات كثير من الناس يعون أن دين آبائهم أُسّس على الخرافة والدجل، لكنهم يتجاهلون ذلك وينكرونه في العلن، خوفًا من الإرهاب والأذى والعقوبة ونبذ الأهل والأصدقاء. وحتى لو كتبوا بسم مستعار، قد يتمسكون بالدين حرصًا على أهليهم من الفوضى والانفلات، أو حفاظًا على منافع يمنحها الدين بنظام الامتلاك، وهُويةٍ مَجيدة (منتهية الصلاحية) بها عزة وكبرياء، وانتصارًا لذاتهم الفردية والجماعية ضد نقّاد دينهم، أو لكي لا يواجهوا الخوف الكامن ويتحملوا المسؤولية المصاحبة للحرية؛ (لذا عمّت الاتكالية على إله؛) فالدين قد يتضمن حالة تسمى «روحانية»، وهي طمأنينة تريح النفس من القلق بهواجس الموت والفناء والظلم والشقاء.
كل هذا يدفعهم للدفاع عن الدين، حتى لو أيقنت نفوسهم أنه باطل، دفاعًا يصل إلى مقاضاة الخصم وإقامة حد

الردة أو غيره من مسوغات إقصائه والتخلص منه، لأنه يهدد هذا الكيان المبني على باطل. هذا بالإضافة إلى قيامهم بتضليل الناس بالمنشورات والخطب الدينية المعدّة بانتقائية وحرص في تقديم النصوص المستحسنة الجذابة وحجب النصوص المستقبحة المنفّرة، ونشر أباطيل «الإعجاز». لماذا كل هذا الحرص على نشر وترديد ما يؤيد الإيمان لدى الناس، وحجب كل ما يدعو للشك؟ لمصلحة من هذا المكر والتدليس؟

كثير من الناس، ومنهم المسلمون، ليست الأولوية لديهم إحقاق الحق أو الاهتداء إليه. بل إن أكثر المسلمين الملتزمين لا يريد إحقاق الحق. لو كان ذلك لوجدنا باب النقاش والجدال في المعتقدات مفتوحًا لدينا على مصراعيه بلا إرهاب ولا إيذاء. إنما يريد الدفاع عن كيانه فقط. كذلك، هو عدوّ للحرية؛ يطالب بها لنفسه ولأتباع دينه فقط، ويحاربها إن كانت للآخرين. هذا ليس عدلاً؛ وليس من حقه المطالبة بشيء دينه مضاد له.

وحتى لو نظرنا في مجال القيم والأخلاق وانضباط سلوك الأفراد، في العموم، نجد انحطاط مستوى أتباع الأديان ذات الشريعة في هذا المجال بالمقارنة مع الشعوب المتحررة، وذلك لأن الشريعة حلت محل الضمير.
وما هذا التخلف والانحطاط إلا بسبب غياب حرية المعتقَد؛ فالبدائل الأفضل موجودة؛ ولا ينقصنا إلا نظام علماني يضمن حرية الاعتقاد والانتقاد والمساءلة للمعتقد السائد، ونشر الأفكار وأقوال الحكماء، والدعوة إلى البدائل ومناقشتها علنًا لبيان فوائدها وأضرارها واختيار أحسنها.

إنّ توريث المعتقدات ظلم، وخطيئة يمارسها البشر بحق أطفالهم. حرية المعتقد واختياره بلا وراثة ولا تلقين ولا إحراج أو إيذاء أو تهديد.. من أهم حقوق الإنسان.
لو كان هنالك إله يكافئ من يؤمن به ويعاقب الباقين، فليس من العدل أن يكون هذا الإيمان بالوراثة؛ العدل أن يهتدي إليه كل امرئ (أو لا يهتدي) بمفرده.

إنّ من أخطر مساوئ هذا الدين الخبيث هو تربية الناس على مبدأ الثبات حتى الممات، والخوف من الفتنة عن الدين والحرص على حفظه وحراسته. كيف لنا أن نرى الحق حقًا فنتّبعه وأن نرى الباطل باطلاً فنجتنبه إن كنا مبرمجين منذ الصغر على الثبات، وحراسة معتقد ورثناه من أسلافنا؟ لذا يتطلب الخروج من هذا الوهم.. قابلية الوعي، من خلال نشر وإيصال البراهين (بهذا الكتاب أو غيره)، واستقبالها واستيعابها.

إنّ عدم معرفة كل الأجوبة خير من اتخاذ أجوبة خاطئة وهمية. الأساس في هذا الشأن هو أن ينال الإنسان حقه الطبيعي في حرية الاكتشاف والاختبار والمعرفة والاختيار.

^ ^ ^ ^

24. الواجب يناديني .. لنشر الوعي اللاديني

شكراً للغزاة

خلال ربع قرن منذ دخول الإنترنت والقنوات الفضائية إلى بلاد العرب.. أتاح انتشار وسائل الاتصال الثقافي والمعرفي لكثير من الناس الاطلاع على خفايا كانت محجوبة عنهم حينما كانت الحكومات تسيطر على الإعلام والتعليم، ومن تلك الخفايا.. أن الأديان من صنع الإنسان ومرحلة من مراحل تطوره، أي أنه هو الذي خلق الإله، وكما تقول الحكمة المصرية، «ما عفريت إلا بني آدم.»

كان المحافظون يرددون عبارة «الغزو الفكري». وهي عبارة قديمة في قاموسهم، حتى قبل تلك الفترة.. كانوا يقصدون بها بعض الصحف والمجلات والإذاعات.. وحتى البرامج الأجنبية في التليفزيون السعودي.
كان أهل البلاد في القرون الماضية خاضعون لسياسة التجهيل المتعمد.. الذي شمل -مثلاً- منع الكتب والمجلات، والتشويش على الإذاعات، ومنع الإناث من تعلّم القراءة.

أنا من الشاكرين لأولئك الغزاة الذين أطلقوا البث الفضائي وشبكة الإنترنت.. وأعتبرهم فاتحين. وإنه لفتح عظيم ذلك الذي أنجزوه.. نجَم عنه انفتاح كثير من العقول والأنفس للحياة والمعارف والثقافات المختلفة، بدلاً عن ثقافة الانغلاق والموت. إن غزوهم حميد، ليس كغزوات العرب التي شُنّت لأخذ أراضي الآخرين وثرواتهم.
الحمد والشكر للعقول التي أوجدت هذه التكنولوجيا، فأخرجتنا من ظلمة التجهيل.. إلى نور التعلّم الذاتي من مصادر المعرفة.

وبناء على ذلك.. يمكنني أن أفترض الفرضية التالية:
أن نسبة كبيرة من الشعب أصبحوا غير مؤمنين بمعتقد آبائهم.
وبغياب حرية التعبير الآمنة لن يستطيع أحد أن يثبت خطأ الفرضية، فالمرء في هذه الصحاري يكتم عدم إيمانه

(تقاةً = نفاقًا)، إما لأنه مستفيد من الوضع، أو خوفًا من أهله والحكومة والإرهاب. وحتى مع الكتابة بإسم مستعار.. كثير منا لا يأمن على نفسه من العواقب، وكثير منا لا يجرؤ على كسر الحاجز الوهمي.. الخوف من «الله»، المغروس فينا منذ الطفولة، وحاجز الرهبة من مفارقة القطيع. حتى في الواقع الافتراضي.. كثير منا حريص على كسب المتابعين والإعجابات، وهذا يتطلب مجاراة الآراء السائدة والأفكار الرائجة في الوقت الحالي، والتي منها معتقدات موروثة لا تتغير إلا بصعوبة وعلى مدى طويل.

وقد ظهرت بشائر بتزايد نسبة اللادينيين في الأعوام الماضية. إنما هي مسألة وقت. بالرغم من أن المسلمين يتكاثرون كالأرانب.. ينبئ تسارع التقدم في المعارف ووسائل نشرها بأن في القرن الحاليّ مرحلة انتقالية تاريخية تتضمّن تخلّي الأجيال القادمة تمامًا عن الأديان القديمة، وخاصة الإبراهيمية منها، وانحصارها في المتاحف وعلم الأنثروبولوجيا.

الحقّ لا دين له

إن الأديان من صنع الإنسان. الحجج والبراهين الموثقة في هذا الكتاب.. تطال الأديان الإبراهيمية الثلاثة، إذ أن فيها نفس المثالب. وهذه الأديان هي الأكثر انتشارًا، والأكثر رجالاً يتحمسون لها، ويبذلون الوقت والمال في الدفاع عنها والدعوة إليها، وإصدار ما لا يُحصى من منشورات في تعظيمها ومدحها والتنقيب في محاسن شخصياتها وكتبها المكدسة.

كان أهم ما دعى إليه مؤسسو هذه الأديان.. هو الإيمان بالغيب، وتصديق مدّعي النبوة؛ وقد مارسوا الترغيب والترهيب لدفع الناس إلى ذلك، إذ أنه السبيل الأمثل للطاعة العمياء وتسخير الآخرين لتنفيذ الأوامر والرغبات. لقد أفسدوا عقول أكثر البشر بأن جعلوا تصديق الادّعاءات بلا برهان (الإيمان).. موقفًا حسنًا يستحق الإكرام والإنعام، وتكذيبها موقفًا سيئًا يستحق العقاب والعذاب؛ بينما العكس هو الصحيح بموجِب العلم والعقل والمنطقية والضمير؛ إذ أن تتبّع البرهان هو الضمان ضد الكذب والتضليل، في سبيل الاهتداء إلى الحقّ. ولا يليق بخالق أن يطلب منا ما ينافي هذه المعايير.. إن كان هو من وضعها في أدمغتنا وفي عالمنا.

مثلما أن الشخص الذي يرتكب جريمة واحدة مخلة بالشرف.. يفقد الأهلية لتولي منصب قيادي، فإن خطأً واحدًا في أصل الدين يكفي ليفقد القداسة والنزاهة والأهلية لاتّباعه واعتقاد أنه الحقّ.

لا داعي لإضاعة الوقت بالخوض في اليهودية والمسيحية، فهذا دور تاركيهما الذين لم يقصروا في فضح زيفهما. و«الكتاب المكدّس» مثله مثل القرآن: خطأ واحد يكفي لإثبات بطلانه، وهذا متحقق في النص الأول منه، وهو من «العهد القديم» الذي يمثّل كلتا الديانتين. وهو يمثّل الإسلام أيضًا، لأنه دين يعتبر هذا الكتاب صحيحًا باستثناء ما حُرّف منه؛ وهذا الجزء يتحدث عن الكون والتكوين، لا مبرر ولا مصلحة لأحد في تحريفه:

{فِي الْبَدْءِ خَلَقَ اللهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ. وَكَانَتِ الأَرْضُ خَرِبَةً وَخَالِيَةً، وَعَلَى وَجْهِ الْغَمْرِ ظُلْمَةٌ، وَرُوحُ اللهِ يَرِفُّ عَلَى وَجْهِ الْمِيَاهِ. وَقَالَ اللهُ: «لِيَكُنْ نُورٌ»، فَكَانَ نُورٌ. وَرَأَى اللهُ النُّورَ أَنَّهُ حَسَنٌ. وَفَصَلَ اللهُ بَيْنَ النُّورِ وَالظُّلْمَةِ. وَدَعَا اللهُ النُّورَ نَهَارًا، وَالظُّلْمَةُ دَعَاهَا لَيْلاً. وَكَانَ مَسَاءٌ وَكَانَ صَبَاحٌ يَوْمًا وَاحِدًا.} سفر التكوين 1|1-5

نور النهار ليس كائنًا مستقلاً بذاته، فهو يصدر من الشمس؛ وهو لم ينشأ بعد الأرض، فالشمس كانت مشتعلة منيرة قبل تكوّن الأرض. عجَز مؤلفو سفر التكوين عن معرفة حقائق بسيطة، مثل أن نور النهار من الشمس، وأنه يخص كوكب الأرض وباقي كواكب المجموعة الشمسية، وأن هنالك ما لا يُحصى من المجموعات والأنوار، وأن النور والظُلمة ليسا شيئين يُفصل بينهما، فالظلمة ليست شيئًا، وإنما هي غياب النور أو احتجابه.

إذن، هؤلاء المؤلفون كانوا مجرد أشخاص جهلة لم يأتهم وحي من خارج الكوكب.

وبما أن العهد الجديد يحكي أن يسوع، المسيح المزعوم، كان مصدِّقًا لما كتبوه، بما فيه من أخطاء علمية، وما فيه من ادعاء بني إسرائيل أن الإله الأب أمرهم بإبادة أهل فلسطين.. فيسوع معهم في الهواء سواء.

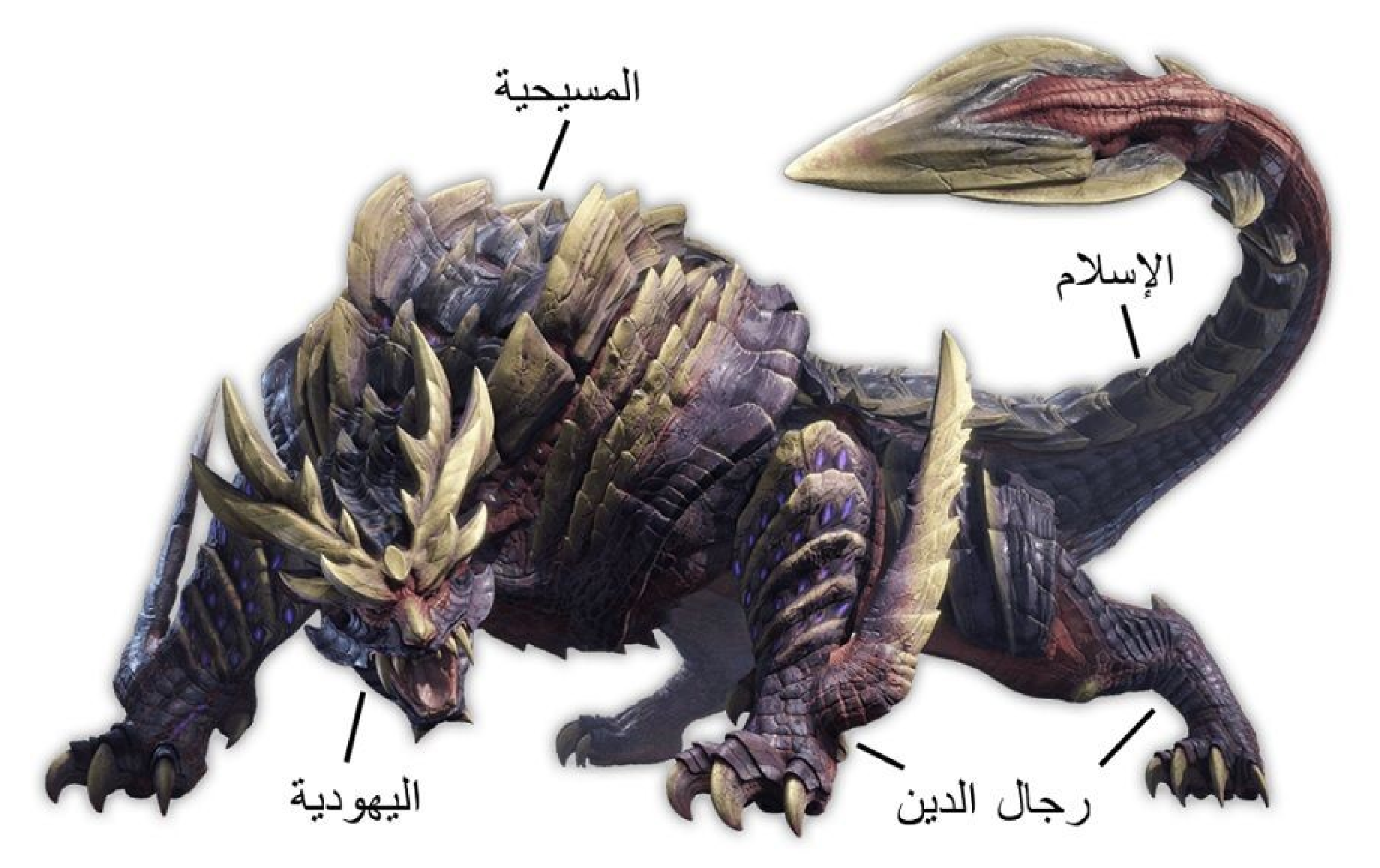
أما مقولة أن نبوءات في العهد القديم تحققت في قصة يسوع الناصري (ابن مريم)، فقد دحضها الباحثون منذ زمن، باستنتاجهم أن قصة يسوع كُتبت في أسفار العهد الجديد بتفاصيل كاذبة (أحاديث موضوعة)، لكي يبدو أنها مصداق لتلك النبوءات، لغرض حشد الناس للإيمان والتبعية للكنيسة، والتخلص من أعباء الشريعة على لسان المسيح المزعوم. [1]

ومما يؤكد زيف المسيحية.. اكتشاف لفائف البحر الميت، وهي عدد ضخم من المخطوطات، تخص جماعة عاشت في فلسطين، حيث يقول «الكتاب المكدّس» أن يسوع عاش ومات وقام، وانطلق رُسُله الإثنا عشر لدعوة الناس إلى الإيمان به. تلك المخطوطات كُتبت في حقبة امتدت بعد زمن يسوع المزعوم بعشرات السنين، ومع ذلك.. ليس فيها أي ذكر له ولا لرُسُله، لا بالمدح ولا بالقدح. [2] ولم يقصّر منتقدو «الكتاب المكدّس» في فضح أخطائه وعيوبه بما يغنينا عن الخوض فيه.

وقد تسببت المسيحية بالعديد من الجرائم ضد الإنسانية، وبقتل العلماء أو سجنهم وإتلاف كتبهم لأنها ناقضت كتابها المكدّس، وبصد الناس عن سبيل العلم والوعي.

هذه الأديان المتراكمة بدأت عندما نسج زعماء بني إسرائيل القصص لكي يوهموا الناس أن قبيلتهم.. لها إله أعظم من آلهة كل القبائل، اسمه يهوَة، وأن نسبها شريف، امتد عبر سلسلة ذهبية من الأنبياء والأولياء، من موسى كليم يهوة، مرورًا بيعقوب الذي تصارع مع يهوة، وإبراهيم خليل يهوة، وصولاً إلى آدم الذي خلقه يهوة بيديه، وأن يهوة منحهم أرض فلسطين، وأمرهم بإبادة أهلها لكي ينالوها.

الأديان الإبراهيمية كانت (وما زالت) القوة الغاشمة التي أبقت الناس في جهل وانحطاط إلى أن تحرروا منها. هذه الأديان يمكن تمثيلها بوَحشٍ هائل، اليهودية رأسه، والمسيحية جذعه، والإسلام ذيله الذي يمصع به يمنة ويسرة، ورجالها هم أرجُله. حتمًا سوف يموت مهما طال عمره، ثم يُحنّط ويُنصب في متحف.



[صورة 1]

باتت الأديان الموروثة سبباً رئيسًا لانقسامنا، والإيذاء والقتل بيننا، والقمع والاستبداد ومنع حق التعبير، وإهدار الوقت والمال. لنكن صادقين مع أنفسنا، هل نريد إحقاق الحق أم التعصب لديننا؟ هل هذه الأديان الإبراهيمية صالحة لكل مكان وزمان؟ هل هي من الطبيعة في شيء؟ وهل يصح اتّباعها والدفاع عنها بوجود النصوص التي تثبت زيفها وجهل وهمجية مؤسسيها؟ إن هذا النوع من الأديان هو نقيض الطبيعة، العلم، السلام، المحبة، والجمال.. نقيض الإنسانية.

كان مؤسسو هذه الأديان قتَلة، سفّاحين. أتعي معنى ذلك أيها القارئ؟ لا يليق بامرئٍ بكامل وعيه أن يمجّد أولئك الأشخاص ويتّبعهم. تخيّل نفسك أو أحد أحبائك، اقتنعَ بأن معتقد الإسلام خاطئ ورفَضه، فيؤخذ ويُقطع رأسه، أو اضطرته الحاجة لأن يسرق، فيؤخذ وتُقطع يده من مفصلها. وإلى زماننا هذا يستمر سفك الدماء، وبتر الأطراف، وتمزيق الأجساد، وارتكاب المجازر وقتل المعارضين السلميين غِيلةً، من قِبل مسلمين التزموا بدينهم وأرادوا فعل ما يحرّضهم عليه كما فعل مؤسسوه، طمعًا في نعيم وهمي يعدهم بنَيله بعد الموت. الإسلام ليس هو الحل؛ إنه المشكلة. كلما زاد التزام الناس به زاد حالهم سوءًا.

إن الأديان الإبراهيمية هي في ذاتها وأصلها تطرّف. التطرف هو أن نبني مبادئنا وحياتنا على ادعاءات بلا برهان. يحكم أكثر الناس على فكرة ما بالتطرف بالمقارنة بأفكاره هو أو مجتمعه، والصواب هو أن نحكم عليها بالمقارنة مع ما يوافق الطبيعة والعلم والمنطق. إذا أدركنا الحقائق واستوعبناها، يصبح بوسعنا أن نرى.. أن مجرّد التديّن بهذه الأديان هو تطرّف، إذ أن بنيانها مؤسس على أفكار متطرفة (افتراض وجود كائن خفيّ يستحق عبوديتنا مقابل أجر يعطينا إياه بعد موتنا، ويبيح لنا الأفعال السيئة والإجرامية -كما تبين الأقسام السابقة- ويُضل من يشاء منا، ثم يعذبهم على ضلالهم بالنار، ويستمر في تعذيبهم بتحريقهم وتبديل جلودهم بلا نهاية.)

أما الاعتدال.. فهو أن نكون موافقين للعلم والمنطق، طبيعيين.. نعي ونعتني بطبيعتنا وطبيعة ما حولنا، وأن نبني مبادئنا وحياتنا على الدليل والبرهان والنفع والضرر.

وبما أن البراهين على بطلان هذه الأديان وافرة سافرة.. فالأديان الأخرى الأضعف منها.. إلهيتها أقل احتمالية. لكننا لا نتحدث عنها ولا نحكم على ما لا نعرفه، وهي لا تعنينا، إذ لم يأتنا منها دعوة ولا اعتداء. كلامنا يركّز دائمًا في الأديان الإبراهيمية، خاصة الإسلام، بسبب معاناتنا من جَوره وتسلطه وطغيانه علينا من المهد إلى اللحد، وبناء على دارستنا له ومعرفتنا ما يكفي للحكم عليه.
الأديان والعبودية مرحلة من التاريخ انتهت صلاحيتها. الإنسان في مرحلة العلوم والتكنولوجيا. الأديان والعبودية تخلّف ورجعية.

معارضة الدين

اللادينية.. هي أحد خيارات الإنسان (أن لا يختار). ومن اسمها يُفهم أنها ببساطة.. معارَضة للدين. البعض منا معارض نشط يتكلم، يكتب، ينتقد، ويناقش، بينما البعض الآخر (الأكثرية) معارضته كامنة، منشغل بشؤونه الخاصة أو شؤون غير دينية.

معارضة الدين مثل المعارضة السياسية. ولا مثيل للإسلام في العالم.. في أنه سياسي بأصله وطبعه، يفرض نفسه على الناس بشتى الطرق: بالقوة الجبرية (الغزو و«اسلم تسلم»)، بالإضافة إلى التسويق بالدعوة (الدعاية والإعلان) والدعاة (مندوبي المبيعات).. لتحقيق أغراض سياسية وشخصية لمؤسسيه ورجاله.
لم أسمع عن دين غير هذا.. يستدعي وجود معارضة كالمعارضة السياسية، وحتى المعارضة المسلحة. نعم، بعض أتباعه يشجب ويستنكر قيام جهات عديدة بالحرب عليه، ويغفل أو يتغافل عن أن هذا دين حربي متسلط:
{وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ ..} 8|39
وهو يضطر المعارضين إلى محاربته، كما فعل الرعيل الأول.. سادة قريش، وبنو أمية الذين بنوا دولتهم ومجدهم على معارضة الإمام علي (ابن عم محمد وزوج ابنته) والإمام الحسين (حفيد محمد) ومحاربتهما وقتلهما.

البراهين على بشرية القرآن وتعاليمه السيئة المخالفة للطبيعة.. أصبحت متاحة لكل من يريد، ووعاها كل عاقل محايد اطلع عليها، بينما كثير من المسلمين في حالة إنكار.. يتعامون عنها أو يحاولون تبريرها أو تحريف معانيها.

بات تخصصنا ونشاطنا في الإنترنت يتركز في معارضة الإسلام وظلمه وعدوانه واضطهاده.. بل مكافحته، كأي داء خبيث، بسبب ما يفعله بواسطة المطاوعة والملالي وطالبان وجماعة الدولة الإسلامية وغيرهم ممن يطبقون تعاليمه الأصلية، ولأنه استعبدنا، ولأنه على مدى 14 قرنًا.. حض الناس على الزهد بالحياة، والعمل لما بعد الموت بدلاً عن العمل لها (لغرض أخذ أموالهم وتجنيدهم وليقاتلوا ببسالة، كما يبيّن القسم 17)، وجعَلهم يحتقرونها، وأوهمهم أن في ما بعد الموت حياة عظيمة أبدية؛ وهذا أدى بهم إلى البلادة، وإهمال الحياة، وعدم الأخذ بأسباب ازدهارها ورغد العيش فيها، بالعمل والتفكير والإبداع وطلب العلم؛ هذا هو السبب الرئيس للتخلف والضعف؛ ولأننا ما زلنا نرزح تحت سلطته الجائرة، ولا ننعم في بلادنا بعلمانية كاملة راسخة، ولأننا لا نرضى أن يظل الخطأ مسكوتًا عنه، فكيف به إن كان عامًا وطامًا وكارثيًا، ولكي لا تبقى الحقيقة طي الكتمان.

وبغياب حرية التعبير والمعتقَد، ولأننا نعي قيمة الحياة ولا نريد الانتحار ولا التعرض للقتل أو الجلد والسجن، أو الأذى من المسلمين والاضطهاد والنبذ.. فإن هذا العالم الافتراضي ووسائل الاتصال هي السبيل المناسب لمعارضة الدين، مثلها مثل المعارضة السياسية في بلاد الاستبداد.

نشاط معارضة الدين هو نقاش الأديان، وإزالة سطوتها. أهدافها:

• هدم البناء القديم المتهالك الآيل للسقوط، وإخلاء المكان وإتاحته لزراعة شجر مثمر (بمعنى آخر، تنظيف العقل من المخلفات الموروثة المتراكمة عليه، ليتمكن من رؤية الأمور بوضوح وإيجاد بديل أفضل من أجل سعادة الإنسان)
• وقف هدر الوقت والمال والطاقة على عادات وطقوس لا معنى لها، بعضها أمر به زعماء حرب لتدريب الجنود وتجهيزهم، كما يبيّن القسم 17 (تشييد مساجد مكيفة، 5 صلوات يوميًا، صيام، قيام، حج وعمرة، إلخ)
• تحرير النفس والعقل والوجدان من الأغلال الوهمية.. للانطلاق نحو الوعي والانفتاح للحياة
• تحرير اللادينيين من الاضطهاد والإرهاب، وتمكينهم من عيش حياتهم كما يريدون، طبيعية علنية لا ازدواجية فيها

المشاكل من الدِين ليست في العداوات والاقتتال فحسب. فيه تضييع الأوقات والجهود والأموال. كل تلك الموارد كان يمكن أن يستغلها الناس في أمور نافعة لهم وللأجيال القادمة. فيه عمل غير نافع (ركوع وسجود وترديد كلام أجوف) في سبيل جنة وهمية، بدل العمل النافع بزراعة جنة حقيقية. (الدين أفيون الشعوب.) فيه التجهيل ومحاربة العلم. وهذا سبّب إعاقة التقدم العلمي لقرون عديدة. فيه الزهد بالحياة واحتقارها، الناتج عن توهم حياة أبدية بعد الموت. وهذا سبّب التخلف الحضاري. فيه تقييد للحريات ومضايقات وإزعاج مستمر، إلخ.

الرد على حجة «لا يضرنا البقاء على ديننا لنسلم من عذاب الآخرة»:

• أكّدت البراهين يقينيًّا أن هذا دين باطل؛ والباطل يجب اجتنابه.

• لا يرضى عاقل ذو كرامة أن يخضع لخديعة نفذتها عصابة إجرامية في القرن السابع لاستعباد الناس وتجنيدهم.

• لا داعي لهذه العبودية والتقيد بقيود مشددة والحرمان من الحياة الطبيعية ومُتَعها ومباهجها، لمجرد أن بعض القدماء أرادوا ذلك.

• يجب التخلص من دين يسبب التخلف الفكري، ويعيق العقل، ويصد عن سبيل الوعي والاستنارة، وعن استقبال كلام الحكماء المستنيرين الذي ينافي هذا الإرث الشرق-أوسطي.

ماذا عن البديل؟ ليس من مسؤوليتنا أن ندعو إلى بديل، ولا من حقنا أن نحدده للناس. بعد أن يتحرر المرء من عبودية الوهم، والخوف من الذبح والبعث إلى عذاب الحريق.. يصبح حرًا، له أن يطّلع على الثقافات والفلسفات والمعتقدات بذهن منفتح متجرد حيادي، وأن يختار منها ما يشاء، أو أن لا يختار.. فيبقى على الطبيعة والسجية النقية. هذه هي الحرية.

هذا الكتاب يترك المجال مفتوحًا لاختيار البديل بعد ترك الدين. لكن من اللائق هنا التطرق إلى بعض البدائل.

أوشو

أوشو (راجنيش) يوصف بأنه لم يولد، لم يمت؛ زار هذا الكوكب فقط بين عامي 1931 و 1990.

لمدة 20 عامًا، قام بالتحدث -باللغة الإنجليزية- لجماهير بكلام أكثر حكمة من كلام أي متحدث سمعته وأي نص ديني قرأته على الإطلاق.

أقيم له منتجع في الهند تطبّق فيه علاجاته النفسية الروحانية (أنشطة عملية للتأمل النشط والعلاج النفسي التحضيري والتلمذة). سافر إليه آلاف الأشخاص، اعتاد أن يسميهم «أصدقاء»، وكان من بينهم بعض أغنى الناس وأكثرهم نجاحًا في أوروبا وأمريكا واليابان. على ما يبدو، أحبوه جميعًا، وعلى الأرجح اعتبروه أفضل قائد روحاني. سُجّلت آلاف الساعات من أحاديثه، وهي متاحة كفيديوهات وصوتيات وكُتب. [3]

الموضوع الرئيس للأحاديث هو الفكر كآلية للبقاء، وكعائق أمام الوعي، (بأفكار عديمة الفائدة ومعتقدات وأخلاق وهوية كلها زائف، والأنا، ورواسب الماضي وهواجس المستقبل،) وكيفية إسقاط الأوهام والأقنعة والإدمان، والعيش بطريقة حقيقية في الحاضر، وتجاوز الفكر، والجمع بين وعي وروحانية بوذا وشغف وحيوية زوربا. [4]

كان يدعو الناس إلى التجربة الذاتية كمراقبين لما حولهم، مع استقلال ذهني وانفصال معنوي عنه، وقابلية لتلقّي الحقّ من الوعي الكوني، بدلاً من الاعتماد على كلام أشخاص حاليّين أو سابقين. وكان يرى وجوب أن تكون

الغاية النهائية لكل فرد.. كسْر دورة الولادة والموت (انتقال النفْس عند الموت ثم حلولها في جسد جديد) والخروج منها. [5]

في ثمانينيات القرن العشرين، انتقل راجنيش والعاملين معه إلى الولايات المتحدة الأمريكية وأقاموا بلدة كاملة في ولاية أوريغون، واجتمع الآلاف، وعاشوا فيها بطريقة طبيعية صحية وفقًا لرؤية راجنيش. لكن مواطني الولاية كانوا ذوي عقلية مسيحية محافظة، فحاربوهم بعملية تفجيرات إرهابية وحملات إعلامية ومعارك قانونية تدخلت فيها الحكومة الفيدرالية، أدت إلى تهجيرهم منها بعد مرور 5 سنوات. وقد منعت حكومات عدة دول دخوله إليها. تدهورت صحته البدنية، وقال أنه يعتقد أن الأمريكيين دسوا له سم الزرنيخ حينما كان معتقلاً عندهم.[6]

المنتجع الذي في الهند ما زال يعمل، وله فروع كثيرة في العالم.

ديفد آيك

في 1990 أعلن الباحث ديفد آيك أنه بدأ يتلقى رسائل من كائنات خفيّة، وأنه استيقظ روحانيًا، وبدأ نشاطه التوعوي؛ وذلك بتأليف كتُب والتحدث في محاضرات ومقابلات، وإنتاج مواد مصورة مع أبنائه وآخرين، ونشْرها في مواقعه وفي حسابه في منصة أكس (davidicke)، وهو ما زال ناشطًا حتى وقت إعداد إصدار عام 2024 من هذا الكتاب. تم حظره من عدة كيانات؛ منها منصة يوتيوب، وأستراليا و29 دولة (شنغن). فيما يلي بعض الأفكار في كلامه (كما فهمتها). [7]

• الكون مكوَّن من طاقة، ذات ذبذبات مختلفة السرعة. وهو مكوَّن أيضًا من وعي يتدرج من المطلق إلى مستويات أدنى. كل مستوى هو حصيلة تجارب وخبرات كائنات المستويات الأدنى. وكلما زاد وعي الكائن زادت سرعة ذبذبته.

• في الكون كائنات عاقلة وعوالم كثيرة، لا نحسّ بها (خفيّة)، لأن ذبذباتها أسرع من المدى الذبذبي الذي يمكن لنا استقباله بحواسّنا الخمس المحدودة.

• كل الأشياء والكائنات والأفكار هي أجزاء من طاقة واحدة ووعي واحد. والعناصر المكونة للمجال المادي هي طاقات ذات ذبذبات بطيئة جدًا مناسبة لحواسّنا.

• الإنسان هو جزء من الوعي الكوني الأبدي، يمر بتجربة قصيرة محدودة، بأن يتجسد في نفْس، تحتل الجسد، وعند الموت تنتقل منه بكامل وعيها إلى عالَم آخر (البرزخ)،ثم تَحِل في جسد جديد(جنين)

• يكون حلول النفْس في جسد جديد بناءً على إقناعها من قِبل كائنات تظهر في البرزخ بأن الغرض هو إنفاذ قانون كارما والارتقاء في مستويات الوعي باكتساب خبرات والتقلب بين تجارب إيجابية وسلبية.

• لكل إنسان (ولكل شيء) هالة مغناطيسية مميزة، ناتجة عن استقبال طاقة مغناطيسية كونية وإطلاقها بعد تغيّر طبيعتها بتطبّعها بنمط مجال طاقة الشخص، النمط الذي يمثّل مشاعره وأفكاره وحالته الروحانية. هذه الهالة هي سر

قانون الجذب، حيث أنها تجذب مثيلاتها أو تنجذب لها، سواء في أشخاص، أشياء، أماكن، أو أحوال. هذا يعني أن حياة الشخص هي انعكاس مادي لأفكار وتصورات عقله الباطن عن نفسه وعن العالم، وأنه يصنع واقعه بنفسه، وأن تغييره لحياته يبدأ من تغييره لمشاعره وأفكاره وتصوراته وحالته الروحانية. هذا الوصف متحقق على المستوى الجماعي أيضًا.

• صحتنا نحن وباقي الأحياء، (وكذلك كوكبنا) تعتمد على توازن الطاقة وذبذباتها ومساراتها، ويمكن استخدامها للاستشفاء، بدلاً عن الطب الكيميائي الذي يتربح من علاج أعراض الأمراض ويتجاهل أسبابها.

• يمكن الحصول على طاقة مجانية تكفينا وتغنينا عن الطريقة البدائية الحاليّة (التي تلوث البيئة وتخلخل بنية الأرض)، وذلك بجهاز صغير يستخلصها من مجالات طاقة الكوكب.

• النظام العالمي غير قادر على البقاء. الوضع الطبيعي هو أن تكون الحياة ممتعة للجميع. سيتحقق هذا حينما يعود اتصالنا بالوعي الكوني، وتعمّ المشاعر والأفكار الإيجابية (طاقة راقية)، ويسقط نظام تلبية الجشع (باستهلاك جائر لموارد الكوكب وتلويثه لتنمية شركات كبيرة بينما يشقى أكثر الناس)، ويقام نظام تلبية الحاجة (باقتصاد محلي لا عالمي وبالتعاون لا بالمنافسة).

• الشعور بالذنْب والخوف هما شعوران سلبيان (طاقة هابطة) يجعلان المجتمع سلبياً لا يحفِّز تفعيل القدرات الكامنة اللامحدودة لدى الإنسان. ولخلق مجتمع مثالي، يجب استبدال ذلك بالأساس الأمثل، وهو الشعور الإيجابي (طاقة راقية) المتمثل في الاحترام.. احترام الذات واحترام كل شيء.

• أكثر الكائنات العاقلة يعملون لصالح نظام الكون (المتوازن المتناغم)، وأقلية يعملون ضده تمرّدوا عليه (شياطين) منخفضو الذبذبة، يتغذون على الطاقة الهابطة (منخفضة الذبذبة) ويتقوون بها. بعض الكائنات يأتون إلى عالمنا (أو يعيشون فيه) ويوحون للبشر ذوي الحسّ القوي برسائل لأغراض إيجابية وسلبية، وهُم الذين اتخذ الناس بعضهم آلهة.

• بعض الزوّار من خارج الكوكب جاءوا بعِلم متطور قبل آلاف السنين، فقامت حضارات قديمة عليه، منها حضارة أطلنطس المفقودة، التي كان زوالها نقطة تحول من مسار الرقي إلى الانحطاط. هنالك جماعات عريقة توارثت بعض هذا العِلم سِرًّا، ولديها علماء ومعامل سرّية تحت الأرض تنتج أشياء بتقنيّات أكثر تقدمًا بكثير من المتاح في العلن.

• عالمنا خاضع لمؤامرة شيطانية قديمة، للسيطرة على مداركنا وتصورنا للوجود، وعزلنا عن الاتصال بمستويات أعلى من الوعي (ببث ذبذبات تشويش). وهنالك شبكة عالمية من الجماعات السرية، ذات هيكل هرمي، يمارس قادتها السحر الأسود، تعمل على تسليط السياسيين وغيرهم للسيطرة علينا، والتحكم بالاقتصاد والطب والإعلام والتعليم، وتضليلنا (باتجاه الدروشة أو باتجاه المادية العدمية)، وإلهائنا وإيذائنا (بالأمراض والأديان وإثارة النعرات والنزاعات)، واستعبادنا وإعاقة وعينا وقدراتنا الكامنة، وأخيرًا استخدام الذكاء الاصطناعي والأقمار

الصناعية واللقاحات للسيطرة التامة على عقولنا. غرضهم من ذلك هو المال والهيمنة (بإقامة حكومة عالمية؛ وغرض آلهتهم (الشياطين) هو توليد الطاقة الهابطة الناتجة عن المشاعر والأفكار السلبية.
• المؤامرة أقدم وأعمق من ذلك؛ فهذا العالم ليس هو الواقع الحقيقي؛ إنه محاكاة ثلاثية الأبعاد منخفضة الذبذبة محدودة بسرعة الضوء، خلقتها لنا تلك الشياطين. ونحن أرواح أبدية لا-محدودة، أي أننا وعي خالص؛ ولسنا نفوسًا، فالنفس هي هُويّة محدودة أيضًا تكون في هذا العالم وعالم البرزخ؛ وأجسامنا هي كمبيوترات بيولوجية بحواس خمس تعالج البيانات المتولدة من هذه المحاكاة، ونحن عالقون فيها وفي دورة الموت والحلول، لغرض توليد الطاقة الهابطة. يمكن لنا كسر هذه الدورة (الحلقة المفرغة) والخروج منها وتجاوزها إلى ما هو أرقى منها، بأن نستوعب ذلك ونقتنع به، ونتخذ القرار الحازم -بناءً عليه- بعدم الانتماء إلى العالم، ونصبح مراقِبين له، مع الاستقلال الذهني والانفصال المعنوي عنه. (سبق أن قال أوشو مثل هذا الكلام.)

اللاأدرية واللاربوبية

اللاأدرية: هي عدم الاعتقاد بشيء بلا برهان حقيقي؛ أن تدري أنك لا تدري، وتتجنب التوهم والمكابرة، فتصبح منفتح الذهن للوعي ولتلقّي الحقّ ومعرفته. هي مصطلح، وليست تعني «أنا لا أدري بشيء»؛ بل معناها مخصوص، هو الاعتراف بأننا لم نبلغ من العلم ما يكفي.. لنُثبت أو ننفي.. أن للكون صانع، أو أنه ذاتيّ الوجود؛ أي أننا لا ندري (وكذلك أتباع الأديان الإبراهيمية يتوهمون ولا يدرون) بالحقائق الوجودية التي لا سبيل لإثباتها، مثل أصل الحياة والكون وجوهرهما وهل لهما خالق أم لا.

اللاربوبية (وتسمى الإلحاد).. لها نوعان [8]:
• إيجابية (حاسمة): الاعتقاد بعدم وجود رب للكون، لأن في الكون دلائل وقرائن كافية لنفيه.
• سلبية (متجردة): عدم الاعتقاد بوجود رب للكون، لأن الحقائق والأدلّة ليس فيها ما يكفي لإثباته. وتُعتبر من اللاأدرية.
قد يجد المرء في اللاربوبية الرضى وراحة النفس، وقد يعتبرها مرحلة انتقالية إلى أن يجد بديلاً أفضل.
في القسم 7 «الكون بلا مكوِّن .. والدِين لم يدوِّن» ما يؤيدها.

اللاربوبيون عددهم ليس بقليل في العالم. فبالإضافة إلى اللادينيين منهم، البوذيون (نصف مليار) [9] وكثير من الهندوس (مذاهب سامخيا، يوغا، ميمامسا - نسبة كبيرة من المليار وربع المليار هندوسي) [10] هم لاربوبيون أيضًا.

وقد اطلعت على حجج منشورة لدعم فكرة الربوبية (وجود رب خالق للكون)، ولم أقتنع بها. وبرأيي، الاعتقاد بالربوبية بلا دين.. عبثي، فرب كهذا، لا يتدخل ولا يتكلم ولا يتفاعل.. وجوده كعدمه.

مرحبًا بوجود رب خالق.. إذا كان حقيقة وليس وهمًا. حتى الآن هو مجرد فرضية، بعض الحجج يؤيدها وبعضها يعارضها. وبما أن الأديان قد ثبتت بشريتها.. فهذا يدل على عدم وجود رب، أو أنه لا يريدنا أن نعبده، أو أنه عاجز عن استعبادنا.

يوصف الخالق المزعوم بأنه الرحمن الرحيم، وأنه «كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ» 6|12 هذا يناقض الاعتقاد بأنه خلق الطفل الذي يولد وهو يعاني من مرض مؤلم أو إعاقة جسدية أو ذهنية، وخلق حيوانات مفترسة (برية وبحرية وجوية) تعتدي على الحيوانات الأخرى (ومنها البشر) وتقتلها وتقتل صغارها، وأنه يقبل القُربان (الأُضْحية، الذبح) كعمل صالح واجب أو مستحب، وأنه سوف يعذب الناس بالنار عذابًا أبديًا.

لا داعي لـ«الإيمان بالغيب»، ولا بوجود حياة أبدية عظيمة بعد الموت، ولا بوجود رب خالق.. لم يعلن عن نفسه ولم يطلب منا الإيمان ولم يكلّفنا بشيء. هذا الفكر الضال المتطرف يجعل بعض الناس يحتقر الحياة والأحياء، (غرور وتكبر) ويتعامل معها على هذا الأساس، فتكون العواقب وخيمة عليه وعلى غيره.

ومن ناحية ثانية، إن من الغرور والتفكير الرغبوي أن نعتقد أننا لسنا مجرد أحياء تموت وتتحلل وتتحول إلى سماد ثم إلى كائنات جديدة. البشر بالنسبة للكون هم ذرات ضئيلة على كوكب صغير من مليارات الكواكب. حتى لو كان للكون رب فلن يهتم بهذه الذرات، بل لن يلحظ وجودها، فضلاً عن أن يهتم بأن تؤمن به.

المسلم الذي ينتقد اللاربوبية.. أقول له ببساطة: دعها عنك. لم يدعُك أحد إلى تبنّيها. أنت من يُلزمك دينك بالدعوة إليه والقتال لكي يهيمن على الناس؛ والبيّنة على من ادّعى وليست على من أنكر. لذا من الأَولى أن تخبرنا أنت.. لماذا تتمسك بهذا الدين بالرغم مما في القرآن من براهين على بشريته وتعاليم تخالف الطبيعة والقيم الإنسانية.

البوذية

من الأقوال الخالدة للمرشد البوذي تك نات-هان: «المَخرج هو إلى الداخل.» بتصوري هذا يعني أن مَخرجك من الشقاء.. هو بحضورك الذهني أولاً، ومواجهة واقعك، وإخراج الطاقة السلبية، ثم بدخولك إلى عمق ذاتك، بالتأمّل والتحرر من الهُويّة المكتسبة والمعتقدات والمؤثرات، للوصول إلى ذاتك الحقيقية، حيث يمكن لك الاتصال بالوعي الكوني.

من إرشادات الحضور الذهني الأربعة عشر (من المذهب البوذي التطبيقي الحديث) [11]:
1. الانفتاح: إدراكًا للمعاناة التي أنشأها التعصب، نحن مصممون على ألا نعكف على أو نتقيد بأي عقيدة أو نظرية أو أيديولوجيا، حتى البوذية. ملتزمون برؤية التعاليم البوذية كأداة استرشاد تساعدنا على تعلم النظر بعمق وتطوير الفهم والرحمة. إنها ليست مذهبًا نقاتل أو نقتل أو نموت من أجله. نتفهم أن التعصب هو نتيجة لإدراك الأشياء بطريقة ثنائية أو تمييزية. سندرب أنفسنا على النظر إلى كل شيء بانفتاح وبرؤية وحدانية الحياة، من

أجل تغيير التعصب والعنف في أنفسنا والعالم.

2. عدم التعلق بالآراء: إدراكًا للمعاناة التي أنشأها التشبث بالآراء والتصورات الخاطئة، نحن مصممون على تجنب أن نكون ضيقي الأفق مقيدين بالآراء الحالية. ملتزمون بالتعلم وممارسة عدم التصلب في الآراء وبالانفتاح على تجارب الآخرين ورؤاهم من أجل الاستفادة من العقل الجمعي. ندرك أن المعرفة التي نملكها في الوقت الحاضر ليست حقيقة مطلقة لا تقبل التغيير. تنكشف الرؤية من خلال ممارسة الاستماع الوجداني، والنظر العميق، والتخلي عن المفاهيم، وليس من خلال تراكم المعرفة الفكرية. توجد الحقيقة في الحياة؛ وسنرقب الحياة داخلنا وحولنا كل لحظة، جاهزين للتعلم طوال حياتنا.

3. حرية الفكر: إدراكًا للمعاناة الواقعة عندما نفرض آراءنا على الآخرين، نحن مصممون على عدم إجبار الآخرين، حتى أطفالنا، بأي وسيلة -مثل السلطة أو التهديد أو المال أو الدعاية أو التلقين- لتبني وجهات نظرنا. ملتزمون باحترام حق الآخرين في أن يكونوا مختلفين، في اختيار ما يجب تصديقه وكيفية اتخاذ القرار. ومع ذلك، سنتعلم مساعدة الآخرين على التخلي عن التعصب والضيق من خلال الكلام الودي والحوار الوجداني.

ومن تعاليم البوذية أنه لا نعيم أبدي خالص، وأن السعادة والشقاء ثنائي لا ينفصل أبدًا، وأن الشقاء ضروري لتطورنا. وفي تصوري أننا لو عشنا في نعيم أبدي خالص.. فإننا سنملّ منه بعد فترة مثلما نملّ من العطلة الطويلة، وسنشتهي التحديات والأعمال لننشغل بها ونُحسّ بقيمتنا ونفعّل قدراتنا ومهاراتنا. إنّ تحرُرنا من الإيمان بنعيم أبدي خالص يخلّصنا من الاتكالية، ويحفزنا لنسعى إلى أن يكون عالمنا جنة ونعيمًا لنا وللأجيال التي تلينا.

الإنسانوية

الإنسانويّة (humanism)، هي توجّه حياتي فلسفي عام يركز على قيمة وكفاءة الإنسان، سواء كان فردًا أو جماعة، ويفضّل عمومًا التفكير والاستدلال (العقلانية، التجريبية) على العقائد الثابتة (الإيمانية). [12] وهو يرجع إلى منظور يؤكد حرية الإنسان وتقدمه، وأن البشر هم المسؤولون عن تعزيز وتطوير الأفراد، ويتبنى الكرامة المتساوية والملازمة لكل الناس، ويُبرز الاهتمام بالإنسان في علاقته بالعالم. [13]

تعرفها المنظمة الدولية للإنسانويين بأنها «موقف حياة ديمقراطي وأخلاقي، يؤكد أن لدى الإنسان الحق والمسؤولية عن إعطاء معنى وشكل لحياته الخاصة. يقف مع بناء مجتمع أكثر إنسانية من خلال أخلاقيات تقوم على قيم إنسانية وطبيعية ضمن روح العقلانية والبحث الحر من خلال القدرات البشرية. وهو لا يتوافق مع الإيمان بوجود إله، ولا يقبل التصورات عن خوارق للواقع.» [13]

يكفي أن نحب الحياة ونحترمها ونعيشها بشغف وفضول لأن نعرفها ونعرف أنفسنا. هذه هي الطبيعة التي يكون عليها الإنسان في طفولته، وينحرف عنها أتباع المعتقدات الموروثة.

ليس لكِ أن تُديني
كُلَّ من هو لاديني
أَهديكِ أو تَهديني
ذا خير الميادينِ



[1] Smith, Homer W. (1952). Man and His Gods. p.385

[2] The Dead Sea Scrolls and the New Testament – Biblical Archaeology Society

[3] Osho World

[4] Wikipedia – Rajneesh

[5] محاضرات أوشو

[6] Netflix Documentary - Wild Wild Country

[7] كتُب ومواد مصورة لديفد آيك

[8] ويكيبيديا – إلحاد

[9] ويكيبيديا – البوذية

[10] ويكيبيديا – إلحاد هندوسي

[11] The Fourteen Mindfulness Trainings | Plum Village

[12] ويكيبيديا – إنسانية (فلسفة)

[13] Wikipedia – Humanism

[صورة 1] من nintendo.co.uk

^ ^ ^ ^

خاتمة

إنّ من البيان لسحراً، وإنها لَلخديعة الكبرى. بقراءة متأنّية للتفاصيل الموثّقة، يتضح لنا أن الانتقادات للدِين ليست مجرد شبهات، وأن محمدًا كان كاهنًا.. استخف قومًا فأطاعوه، وأن الكتّاب المسمى قرآنًا.. مصدره أشخاص.. جهلة، انتحلوا صفات «العليم» و«الخبير» و«علّام الغيوب»، لمجرد أنهم قاموا بترجمة ما وجدوا من علم بدائي واستغلوه بدهاء ومكر.. لصوص أتوا بنصوص، زعموا أنها من «رب العالمين» ورفعوا شعارات الألوهية والقداسة، وبها أقدموا على تقتيل الناس، نهبوا أموالهم، خطفوا نساءهم، احتلّوا أراضيهم، وسرقوا حياة أتباعهم وحياة أجيالٍ عديدة بعدهم.

لو أنهم امتنعوا عن الخوض في شأن الظواهر الكونية.. لقامت الحجة بأن هذا الامتناع هو لمصلحة ما أو لحِكمة، لكنهم خاضوا فيه، وجاءوا بنصوص في القرآن تبرهن يقينيًا وبما لا يدع مجالاً للشك.. على أن مصدره جاهل وليس عليمًا.

بُني الإسلام على باطل وكذب وخداع وتضليل؛ وكان غرض مؤسسيه هو اختلاق سلطان إلهي وهمي، (بادعاء أن الحكم «لله» بينما الحقيقة أنه لهم،) واستغلاله في الطغيان، وتجييش الناس، واغتصاب بلاد الآخرين وثرواتهم ونسائهم، والاستحواذ عليها، والاستمتاع بها وبالعزة والكبرياء والجاه والنفوذ. هذا يعني أن عقيدة الإسلام مجرد أفكار وتصورات بشر، وأن شريعته وضعية كغيرها من الشرائع والقوانين الحكومية. من البراهين على ذلك.. جهل مصدر القرآن بما يلي:

- الأرض كوكب يدور حول نفسه وحول الشمس وليس العكس (القسم 2)
- سبب حركة الرياح هو تفاوت الضغط الجوي مع دوران الأرض وتفاوت حرارة الشمس (القسم 2)
- البَرَد يتساقط من السحاب، لا من جبال في «السماء» (القسم 2)
- في القطب الشمالي ملايين البشر، وفيه مشكلتان تنقضان ركنين من أركان الإسلام (القسم 4)
- المني يتكون في أسفل البطن، لا في الظهر (القسم 5)
- كيفية تكوّن الجنين وأن نمو أنسجته متزامن (القسم 5)
- الأحياء، ومنها الإنسان، تطورت من أصل واحد (القسم 6)
- ما يبقي الطائر معلّقًا في الجو هو الهواء وآليّة التحليق (القسم 8)
- الأحياء الدقيقة هي كائنات عظيمة الوجود والتأثير (القسم 8)
- القلب هو مضخّة الدم؛ أما الفقه والاعتقاد والعقل والذاكرة، فهي في الدماغ (القسم 8)
- في حساب المواريث من التعقيد والتشعب ما يتطلب مراجعات وتعديلات (القسم 12)

بعد كل هذا، هل بقي شك في بطلان الدِين؟ وهل بقيت حاجة إلى تبرير تركه؟ إنما الواجب الأدبي للتبرير هو على من يَدين بِدين كهذا. هل يليق بإنسان عاقل نزيه اطّلع على هذه البراهين والعيوب والمثالب.. أن يقبل بوجود دين كهذا في زماننا هذا؟ فضلاً عن أن يلتزم به ويبني حياته عليه ويدافع عنه؟

أما الذين يحاولون نفي وإنكار هذه العيوب والمثالب، ويسمّونها شبهات، ويعملون على النصوص الأصلية بتنقيحها وترشيحها وانتقاء ما يعجبهم ويخدم أغراضهم منها، أولئك ينسجون دِينًا فنطازيًا غير الذي جاء به محمد وأعوانه. وأما محاسن القرآن والأحاديث، فهي نتاج ما أراد مؤسسو الدِين إيهام الناس به؛ فالقيم النبيلة هي حق أريد به باطل، ليستحسن الناس الدِين ويروه خيرًا فيعتنقوه. وشخصية محمد في الأحاديث -وإن كان أصلها حقيقي كقائد كاريزمي ادّعى النبوة، فنصّبه أهل يثرب السُذّج مِلكًا عليهم- هي مثل شخصية البطل في أي رواية أو فيلم.. كل أقواله وأفعاله مستحسنة أو مستساغة، لأنه البطل، ولأن المؤلّفين أرادوا تصويره هكذا، ولأن المتلقّين أيضًا يريدون هذا.

أقول قولي هذا.. إحقاقًا للحق، ولأن ما بُني على باطل.. باطل. وحتى لو كان لهذا البناء عراقة ومتانة، وسكنه ملايين البشر، هو سوف ينهار حتمًا، عاجلاً أو آجلاً؛ وأراه حاليًا آيلاً للانهيار.

حينما يجلو نور العلم الظُلمة عن البصيرة، ويبطل هذا السحر، ونعي الحقيقة، ونتحرر من سيطرة الألوهية الوهمية.. يحق علينا واجب تجاه ضمائرنا.. أن نستدعي الشجاعة، وننعتق من أغلال الأديان الزائفة التي تخدّرنا وتوهمنا بالاكتفاء والاستغناء، وتتسبب في دمارنا بالنزاعات والحروب والأمراض الناتجة عن معاندة طبيعة الحياة ومجافاة الحياة الطبيعية.

وعندما يخلو الوجدان من الموروث المتراكم وينقشع عنه الغبار والتلوث، ويتوفر الوقت والذهن والإرادة.. علينا أن نسبر أغوار المجهول لكي نصل إلى الطمأنينة ونور البصيرة. أن نصل إلى الوعي والتحرر متأخرين خير من أن لا نصل. أما أن نصل مبكرًا في شبابنا.. فهذا حظ عظيم يجب أن نستشعر قيمته.

لا أزعم أني اهتديت للحق، لكني أؤكد أني أصبحت قادرًا على الاقتراب منه بعد أن كنت ضالاً باتجاه اكتشفت أنه خاطئ. الابتعاد عن الباطل اقتراب من الحق؛ ولقد أصبحت متاحًا لتلقّي الحق بعد أن انقشعت عن عقلي غشاوة المعتقد الخاطئ. الرجوع عن الطريق الخطأ ضروريّ لسلوك الطريق الصحيح.
ولا أرى من حق أحد الزعم باهتدائه. الحق مثل الكمال.. غاية يأمل الإنسان الحر الوصول إليها. ربما يكون غاية لا تُدرك، وربما يكون هو ما نراه حولنا ونكتشفه شيئًا فشيئًا بالعلم؛ بينما يتوهم أكثر المؤمنون أنهم اهتدوا وهم أضل الناس.
الحق المطلق لا علاقة له بتصورات الأشخاص. هو واحد والتصورات عديدة. حتى في الدين الواحد تفرّق الناس

إلى طوائف وفرق. لذا فإن الحرية هي الأهم، والعلمانية تمنع الطغيان بإسم الحق المزعوم، وتسمح لكل إنسان بأن يتأمل الكون ويراه بتصوره هو لا بتصور شخص آخر.

هنالك فرضية تقول أن الحياة كائن عاقل لا-شَكليّ (بلا شكل)، ليس له طريقة للتعبير عن ذاته. وفي يوم من الأيام، عندما توافقت الظروف، وجد فرصة للتعبير والتجسد في شيء مادي، بإنشائه للكائن وحيد الخلية، ثم التطور منه.. إلى ما هو أرقى وأذكى، ونحو المزيد من التعبير والإبداع. لذلك يموت الأحياء.. لكي يُخلوا المكان لكائنات أكثر تطورًا. الأمراض والعاهات والكوارث تدل على عدم وجود سيطرة عُليا أو عناية إلهية، وأن كل ما هنالك هو هذا الكائن اللا-شَكليّ الذي صار يتجسد ويتطور. تطور الحياة الذي استغرق مليارات السنين.. نحن البشر ذروته الحالية. حري بنا أن نكون جديرين بهذه المنزلة، وأن يكون علمنا وعملنا لصالح هذه الحياة، حافلاً بالتعبير والإبداع. الحياة هي الحقيقة التي نعيشها، تتجسد بنا وبغيرنا، وتتطور من خلالنا إلى أقصاها.

نحن البشر (الذين تطوّرنا عبر ملايين السنين من كائن وحيد الخليّة) خضعنا كغيرنا من الأحياء.. للاصطفاء الطبيعي، وهلك منا الكثير وبقي منا الكثير. لم تنفعنا الاتكالية والعبودية الوهمية للآلهة المتعددة ولا للإله الواحد، ولم تضرنا. إنما هي أسباب ونتائج طبيعية. لم ولن ينفعنا إلا ذواتنا الفردية والجماعية. بعقولنا وأبداننا، بالتعاون مع الآخرين وبالتناغم مع الطبيعة، نوجد النعيم أو الجحيم.

هذه الحياة هي كل ما حصلنا عليه يوم ولدنا، فيها الجنة الحقيقية، وعلينا أن نستكشفها ونستغلها ونعيشها بشغف ونتمتع بمباهجها كل لحظاتنا إلى أقصى مدى ممكن، وأن نعيش اللحظة بحضور وانتباه، ونلتمس فيها اللا-زمنية، لا يشغلنا عنها تفكير بذكريات الماضي ولا بهموم المستقبل، وأن نكون طبيعيين، وننطلق أحرارًا في الحياة الطبيعية، نحن وأطفالنا، موافقين للطبيعة وقوانينها، منسجمين مع الحياة، ولا نجعل همنا الموت وما بعده، حتى يكون الإنسان منا مكتملاً بالجسد والفكر والوعي والتواصل. لدينا كل الوقت لنعيشها بكل حواسنا ونشبع حاجاتنا الطبيعية، ونخوض غمار التجارب وتفاعلاتها، وبذلك يتحقق النضج والاتزان، ونرتقي بإنسانيتنا بالمشاركة والعطاء.. إلى أقصى ما يمكن من الرضى والهناء.

وربما نتلقى روحانية حقيقية. الروحانية هي اللافكر. الفكر له بنية، والروحانية لا بنية لها. المعتقد فكر. إذن.. لا يقترب المرء من الروحانية إلا بالتجرد من الفكر والمعتقد. الروحانية هي أن تتجاوز الفكر، فتتصل بجوهرك وجوهر الحياة، وتتعرف عليه. حينها يصبح ديدننا السعي لما هو خير لنا ولغيرنا، وأن نجعل جنّات الفردوس واقعًا نعيشه نحن ومن يأتون بعدنا، وأن نحلّق في فضاء الوعي متأملين في أنفسنا وفي الكون.. نحو مزيد من التطوير والتنوير، لنا وللأجيال التي تلينا.

الفضائيات والمواقع المحجوبة
أيقظت بعض المسلمين من الغيبوبة
ولكي لا تبقى إرادتهم مسلوبة
ضميرنا يدفع لتكذيب الأكذوبة
أنّى لعقيدةٍ أن تكون محبوبة
وهي قد جعلت البشر ألعوبة
افتراها قومٌ أجرموا بلا عقوبة
جاؤوا بأساطير وأشعارٍ مكتوبة
صاغوها لكي تصير لله منسوبة
حاشاه أن يكون مثلُ هذا أسلوبَه
جهلوا جهلاً مدقعًا الكونَ وغيوبه
وعلموا كيف يخوض المرء حروبه
ويقتل الخصمِ غيلةً بلا صعوبة
وإذا غزا القومَ ليلًا نال مطلوبه
هل أتاك خبر صفيّة المنكوبة
ذبح أهلها ونكحها مغصوبة
من جاء بالذبح وبالأعناق المضروبة
وحكّ مسامير في أعينٍ مغلوبة
وبتر أطرافهم فهم بالمجدوبة
لا يجد أحدهم من ماءٍ مشروبه
قد بنى مجده على أموالٍ منهوبة
وخلّف الأرض محروقةً ومخروبة
أيّ دِينٍ هذا يفتح السيف دروبه
آن الأوان لتصحوا يا أهل العروبة

^ ^ ^ ^



أيها القارئ، أيتها القارئة، يرجى منح القليل من لحظاتك.. لكتابة ملحوظاتك.. في موقع تقييم الكتب غود ريدز، والمساعدة في نشر الكتاب عبر وسائل التواصل وأية وسيلة. شكراً.

عن المؤلف

اتخذت هذا الاسم (شمس اللادين) للحماية من الأذى. كنت مسلماً بالوراثة، والآن أنا لاديني لاأدري. أنا عربي، من نجد، في جزيرة العرب (السعودية). حيث أن تجربة ترك الإسلام كانت مهمة في حياتي، فقد قادتني لكتابة هذا الكتاب.. الذي أرى أنه يستحق المخاطرة بتحدي متدينين متعصبين يقتلون من أجل ذلك، وحكومة توقع عقوبة شديدة. اهتمامي هو بالسلام والكرامة لكل الناس، ولا يمكن تحقيق ذلك إلا في ظل نظام علماني حقيقي. وهذا النظام لا يمكن له أن يتعايش مع الإسلام الحقيقي، إذ أنه يدّعي أنه دِين إله الكون.. الذي يريد فرضه بالجهاد على العالم كله. وهذا يستلزم نشراً واسعاً للمعلومات الواردة في هذا الكتاب، ليرى المسلمون أن الدِين من بشر وليس من إله.

 sunbelief@protonmail.com

 @sUnbelief

 smashwords.com/profile/view/sunbelief